

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

پیشکشی

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

بسم الله

نصرتك يا جبار

بسم الله الرحمن الرحيم



(سألتك يا جبار)

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهدى والتلميذ

الى الزميل في حلبة التعليم

صديقي الاستاذ الجليل

محمد البرقاوي



The above all the things can't be true
And it must follow, as the night the day,
They can't nor then be taken to any man

الكلمة شكر



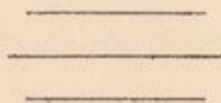
جعلنا قلبه في ربيعنا رداً

عزيزي القاري .

حين يشرع الطفل في الكلام، يتلعثم لسانه بنطق اكثر الاسماء التصاقاً بحياته وأشدّها مساساً بكيانه . فيذكر (الأم) و (الأب) و (الأخ) ، ويتدرج من ذلك الى التعبير عن حاجاته ، وعما يجيش في صدره الصغير من عواطف وافكار . وما أعذبها من لغة او ما أعمق تأثيرها في نفوسنا ! لأنها خارجة من قلب ناصع البياض ، لم تلوثه الحياة بعد .

انني بهذه الروح ، وبلسان الاطفال العاجز الصادق أقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان لعطوفة الاستاذ الكبير صباغ بك الرومانه (و كيل وزارة المعارف الاردنية الهاشمية) ، فلولا ما كنت أدري مني و كيف يمكن لهذا الكتاب ان يشاهد النور .

(ج . ص . ٠)



المقدمة

كان ذلك عام ١٩٣١ ، حين كنت طالباً في مدرسة الفرندز في رام الله ، سمعت مديرنا الاستاذ الجليل الدكتور خليل طوطاح ينشد مترنماً ، بيتاً من الشعر الانجليزي ، انشاداً اكد لفرط حلاوته اسمعه الآن يرن في مسعري ، ويتردد في قلبي ، فيغمر نفسي بالجدل الروحي والاشراق .

اما ذلك البيت الذي سمعت استاذنا الكبير يردده امام طلابه بنبرته الجذابة وعاطفته المخلصة الصادقة ، فيذكرني في نفوسنا للذة بأدب شكسبير ، فهو آخر النصائح (١) التي القاها بولونيوس (٢) على ابنه لآرتس (٣) وهو يتأهب للسفر الى فرنسا لانجاز تحصيله ، كما ورد في مسرحية « هاملت » (٤) ، اذ قال : -

« لكن فوق كل شيء ، كن صادقاً مع نفسك .

فانك لن تستطيع بعد ذلك أن تخدع الناس ؛

وهذا يتبع ذاك ، كما يتبع الليل النهار . »

منذ تلك الساعة لفت شكسبير نظري ، وشعرت برغبة قوية في الاطلاع على أدبه . فوقع في يدي اثنتان من مسرحياته ، هما « يوليوس قيصر » و« ماكبث »

١ - راجع توجمة هذه النصائح صفحة ١٣١ من هذا الكتاب

٢ - Polonius

٣ - Laertes

٤ - المشهد الثالث من الفصل الاول السطر (٧٨ - ٨٠) ، وهي في الاصل هكذا : -

« This above all . To thine own self be true

And it must follow , as the night the day ,

Thou canst not then be false to any man . »

اللتان عكفت على درسها بنهم وشغف، ولا سيما أولاهما التي استطعت أن أفهمها آنذاك، وأن أجد فيها متعة فنية وجمالاً خالصاً .

ثم أتاحت لي الأقدار أن التحق بجامعة بيروت الأميركية، وأن أدرس الأدب الإنجليزي على العلامة البروفسور بيرون سميث (١) . فاستمعت إلى محاضراته العديدة يلقبها عن شكسبير ؛ واعتزفت من تلك المياه العذبة الرقراقة بقدر ما وسعته حفتي ؛ واختزنت في فؤادي غداً ، ونوراً ، ودفاً ، وريبعاً لما قد تحببه الحياة من أيام نخبم فيها القحط والبرد والظلام . وما أظولها من أيام !

ذلك باختصار تاريخ صداقتي مع شكسبير . ويقيني أنها صداقة ثابتة، راسخة البنيان . وآمل أن لا تنتهي بهذا الكتاب . فقد أنفقت الليالي الطوال في انشائها ؛ ونسجتها من ضياء العين ، ومن خيوط العقل والقلب والروح .

وقد خطر لي أن أعرف أبناء أمي على شكسبير ، وأن اجعل بينهم وبينه صداقة كالتي بيني وبينه . فعزمت على اقتحام خصمه الزاخر غير وجل أو هباب . ومن لا يحجم، ويتهبب ، ويحسب للعاقبة ألف حساب ، حين يخطر له أن يخوض عباب شكسبير ؟ بيد أنني أقدمت على ذلك ، وجمت بهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم، بجوي بين دفتيه بعض ما تأثرت به وما انطبع في نفسي من أدب شكسبير . وأنه لبعض يسر إذا قيس بما في الذهن ، وبما يجب أن يقال عنه من شيء . كثير .

ولقد رأيت أن أقدم لك في الفصل الأول رسماً دقيقاً لحياته يجمع بين سلاسة القصة والاسلوب العلمي الرصين، وأن أراجع في الفصل الثاني مصادر حياة شكسبير وما أثاره انتاجه منذ وفاته من نقد ودراسة . وأي شيء عنه لم يصبح موضوع بحث ونقد ونقاش ، وتؤلف فيه مئات المجلدات ؟ أما الفصل الثالث فيتناول شرح المعالم الرئيسية لعبقريته كما لمستها بنفسي . ويتكون الفصل الرابع والآخر من أبحاث متنوعة قد تسد بعض الثغرات في هذا الموضوع الخطير .

ولست ادعي اني وفيت شكسبير بعض حقه، بما قدمته من ترجمة مقتضبة لحياته،
وعرض موجز لأدبه، وتحليل وتعليل لعبقريته، وبما استشهدت به من غرر شعره
ورائع نثره. بيد انني متيقن انني سأبعث في نفسك رغبة شديدة صادقة في الرجوع
الى مسرحياته، ففيها الذخيرة الفنية الوافية، والزااد الروحي الوافر لكل نفس
تتذوق الادب، وتكرع من ينبوع الفن الرفيع الخالد.

وانني ارجو، وألحف في الرجاء، ان تتذكر وأنت تطالع هذه الصفحات
يا قارئ، ان في مجرد التفكير بالكتابة عن شكسبير مغامرة شاقفة خطيرة؛ وانني
لهذا أحوج ما أكون لنظرتك الصافية، وتقديرك العادل المتزن. فها هذا الذي شغلني،
وأرجو أن يشغلك، الا شكسبير! وحسبي الله ونعم الوكيل.

المؤلف

كلية الحسين - عمان

الملكة الاردنية الهاشمية

٢١ آب ١٩٥٠

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

کتابخانه ملی

والد الشاعر

كان اسم شكسبير شائعاً في انكلترا منذ العصور الوسطى ؛ وأول من عرف به كما جاء في السجلات الرسمية رجل اسمه ولیم شكسبير اتهم بالسرقة وشنق سنة ١٢٤٨ ، وكان من قرية تبعد نحواً من سبعة أميال الى جنوب سترااتفورد بلد الشاعر . ثم عرف آخر من مقاطعة « كنت » « Kent » باسم جون شكسبير عاش سنة ١٢٧٩ . ثم شاع هذا الأسم في القرون التالية ، حتى ان عائلات كبيرة غديدة كانت تتسمى به في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وهناك ما يثبت ان أشخاصاً معاصرين للشاعر عرفوا باسمه .

« أما والد الشاعر فهو جون ريتشارد شكسبير ، نزع عن قرية سنترفيلد « Snitterfield » التي تبعد نحو أربعة أميال شمال سترااتفورد ، فقصده سترااتفورد التماساً للرزق فيها ، ولم يكن عدد سكانها في ذلك الحين يتجاوز الالفين . وكان معظم أهلها يشتغلون بمحاكاة الاقمشة الصوفية ، وقد أمل ان يلقى الحياة على أحسن ما تكون عليه في ذلك المحيط الجديد .

وقد جاء في سجل عثروا عليه في سترااتفورد ان الحكومة المحلية فرضت في أبريل سنة ١٥٥٢ غرامة مالية قدرها اثنا عشر بنساً على رجل اسمه جون شكسبير يقطن شارع هنلي « Henley » من بلدة ستانفورد من مقاطعة (ورك) « Warwickshire » لانه توانى في ازالة كومة من الاقذار كانت أمام بيته .

وقد زعموا ان جون هذا كان في اول عهده يتاجر بالحبوب والصوف ويتعاطى ببيع اللحوم والجلود ايضا ، وانه كان عدا ذلك يصنع القفازات ويبيعها للناس .

ثم يظل هذا شأنه ، رقيق الحال ، ليس لديه ما يزيد عن حاجته من المال حتى عام ١٥٦٥ . فقد أصاب في الثلاث عشرة سنة التالية سداداً من العيش و كسب بعض الشهرة ، فيخطر شأنه ويعظم أمره ، ويعين في وظائف (بلدية) مختلفة ، فيصبح سنة ١٥٦٥ عمدة « Alderman » ثم في سنة ١٥٦٨ « رئيس بلدية » « Bailiff » . ويختارونه ليكون بالاضافة الى ذلك شرطياً مع اربعة من بلده ، وكذلك أحد الموظفين الذين لهم حق فرض الغرامة وتقديرها حين لا يسعفهم القانون بنص على ذلك . وقد كان مشهوراً عنه أنه ظريف مرح « ذو وجنة باسمه مشرقة » حاضر البديهة ، حسن المعشر ، وانه رجل أعمال ، حاذق بارع ، كثير التردد على المحاكم في قضاياه العديدة . وانه الى هذا شعوف بالتمثيل يرحب بمقدم الفرق التمثيلية وخصوصاً فرقة أيرل أوف ورستر « Earl of Worcester » وفرقة الملايكة « Her Majesty's Co. » حين كانتا تؤمان ستراتفورد من حين الى آخر ، فهبي لها أسباب الراحة ويساعدهما على عرض المسرحيات للناس .

وقد ابتاع قطعتين من الارض في ستراتفورد سنة ١٥٥٦ وتزوج في خريف سنة ١٥٥٧ ماري آردن « Mary Arden » وهي صغرى بنات روبرت آردن . ووالدها من عائلة نبيلة واسعة الثراء ، وقد أوصى لها بعد وفاته بستة جنيات وثلاثة عشر شلماً واربعة بنسات ، وببيت وخمسين فداناً من الارض . وقد رزق جون ابنتين هما حنة ومرعريت ، الا انها توفيتا صغيرتين . ثم رزق ولیم شاعرنا العظيم ، اذ عثروا في ستراتفورد على سجل عماد مدون فيه اسم ولیم وتاريخ عماده وهو (٢٦ أبريل ١٥٦٤) . ومنه نستدل على ان تاريخ الولادة ربما كان في ٢٢ او ٢٣ أبريل ، اذ اعتادوا في ذلك الزمن ان يحتفلوا ببعاد الطفل بعد ولادته بثلاثة أيام . والآنكيز يحتفلون بعيد ميلاده في ٢٣ أبريل من كل سنة ، لان تاريخ وفاته ثابت في ٢٣ أبريل سنة ١٦١٦ ، كما هو منقوش على نصب تذكاريه في كنيسة ستراتفورد ، ولانهم ذكروا ايضا على النصب نفسه بأنه توفي عن ٥٤ عاماً . وقد ابتاع جون عام ١٥٧٥ بيتين في ستراتفورد ، غير ان حياته الاقتصادية بدأت منذ عام ١٥٧٧ تزداد ضيقاً وحرماً بازدياد أفراد عائلته ، فقد رزق عددا ولیم

ثلاثة صبيان هم جلبرت ورتشارد وادمند وكذلك ابنتين أخريين فلم ير مندوحة عن رهن عقاره الذي كسبه بجدته ونشاطه ، وجميع ما ورثته زوجته عن والدها أيضاً . وقد أقبل في ٦ سبتمبر عام ١٥٨٦ من بلدية سترااتفورد بسبب تغيبه المتكرر عن اجتماعات مجلسها . بيدانه لم يفقد منزلته الاجتماعية في بلده بالرغم من ضيق ذات يده وتراكم الدين عليه . وقد وافاه الأجل عام ١٦٠١ ودفن في ٨ سبتمبر في كنيسة سترااتفورد .

أما زوجته فقد عاشت بعده نحو سبع سنين وتوفيت في ٩ سبتمبر ١٦٠٨ ودفنت الى جانبه في الكنيسة الآتفة الذكر .

السّاعر في المدرسة

كان أقبال الأنجليز على التعليم في العصور الوسطى رائعاً منقطع النظير ، فقد أسست المدارس في أغلب المقاطعات ونظمت التنظيم الحسن .

وكانت عناية الملك ادوارد السادس بها عظيمة جداً . ولم يكن حظ سترااتفورد دون غيرها في ذلك ، فقد تأسست فيها سنة ١٥٥٣ مدرسة ابتدائية كاملة ذات مكتبة عامرة ومناهج يدرس فيه الأدب الكلاسيكي القديم ، والكتاب المقدس على الأخص . وقد عرفت بمدرسة الغراماطيق « Grammar School » نسبة لتعليم الحرف والنحو اللاتيني فيها ، وكان بين اساتذتها ثلاثة يشار إليهم بالبنان يحمل كل منهم شهادة (ب . ع .) من جامعة أو كسفورد ، وهم ولتروتش « Walter Rochs » وسيمون هنت « Simon Hunt » وجون كتن « John Cotton » . وقد كان لمجلس البلدة الأعلى حق اختيار الاساتذة لهذه المدرسة ، ثم لا بد لكل منهم من الحصول على توصية من أسقف ورستر تشهد له بالمقدرة وحسن الاخلاق حتى يتسنى له العمل في هذه المدرسة .

وأغلب الظن ان شكسبير دخل هذه المدرسة ودرس فيها اللاتينية وبعض

الاجريقية والفرنسية ، وألم بعض الشيء بالادب الكلاسيكي القديم في لغتيه الاصليتين ، او مترجماً . والذي يطالع مسرحياته بامعان يجد أثر الكتاب المقدس فيها واضحا جلياً ، بما يدل على دراسة عميقة متقنة لهذا الكتاب العظيم ، وهذا أما ان يكون قد حدث في أثناء وجوده في المدرسة او خارجها .

ولم يطل عهده بالمدرسة ، فقد جاء في احد النصوص التاريخية أن والده وقع في عسر مادي وألمت به فاقة ارغمته على اخراج ولیم من المدرسة في سنة ١٥٧٧ لیساعده على الاضطلاع بأعباء العيش وتكاليف الحياة .

من هذا نرى كيف ان الزمان لم يأذن لولیم أن ینجز تحصيله كما فعل غيره من الشعراء المعاصرين . ولست ادري ما كانت تصنع الاقدار به لو تم له ذلك ! أعساها تسلك به سبيلا غير ذلك السبيل الذي أفضى به الى ساحة المجد والحارث ، أم كانت تزوده بثقافة عالية تسد ما يبدو في ادبه من نقص علمي وفني ، فلا يجزو على انتقاده صديقه الشاعر بن جونسون « Ben Jonson » « ١٥٧٣-١٢٣٧ » او يلقبه فولتير « Voltaire » بعد زمن طويل (بالمتوحش السككران) ؟ .

وهكذا نجد ان ولیم قد خرج من المدرسة تحت ضغط الظروف القاسية ليصبح مثل أبيه قصباً يجيد ذبح العجول ، ويطيب له احبائنا ان يلقي في أثناء ذبحها خطاباً بليغاً .

مدرسة ثانية

لم تطغ الحياة المادية الحرجة على تلكم الروح العريذة الطلقة ، او تهيمن على نفس ولیم الواسعة المتأملة الحاملة هيمنة تامة بالرغم من انصرافه للعمل ليعين والده على مواجهة متاعب الحياة وشدايدها . فإنه بعد ان غادر المدرسة كان يختلس من النهار ساعات يأخذ فيها بقسط وافر من وسائل التسلية الشائعة بين أترابه من شباب ستراتفورد . زد على ذلك انه لم تكن لتفوته مشاهدة المسرحيات التي كانت تعرضها فرقنا الملحنة والايرون أوف ورسترخين تزوران ستراتفورد بين آونته واخري .

فقد كان والده بوصفه رئيس البلدة يجيز لها التمثيل ويجعل بها الترحيب ، ويمنعها كل مساعدة تزين لها العودة إليها مرات في كل عام تقريباً . وبما لا ريب فيه ان وليم من التاسعة حتى الحادية والعشرين من عمره أدمن مشاهدة التمثيل ، وأمتلأت نفسه بما تلقاه من خالد العبر وبما كان يشهده من رائع المناظر والصور .

ثم قدر له ان يصحب أباه في يوليو من سنة ١٥٧٥ للترحيب بمقدم الملكة اليزابث ، وقد جاءت في موكب حافل لتزور حديقها الأيرل اوف ايبستر في قلعة كانلورث « Kenilworth » التي لا تبعد عن ستراتفورد كثيراً . وبما لا شك فيه ان تلك الزورة وما صاحبها من احتفالات باهرة قد خلبت له ، وانطبعت في نفسه وامتلاً بها فؤاده ، ولهذا ترى كيف أشار إليها على لسان أوبرون « Oberon » في مسرحية « حلم ليلة في منتصف الصيف » (١) .

اما المدرسة الحقيقية التي زودت وليم بالزاد الروحي الخالد فهو ما كان يحيط ببلده من جنات فاتنة . فالشجر النضر الجميل يغمره من كل ناحية ، والرياض الغناء والمروج المرعة الخضراء تمتد مع انهار تلك المقاطعة (٢) ، وتكتنف ذلك البلد من جميع جوانبه .

فلا بد انه كان يقصد تلك الغابة الساحرة المسحورة وتلك الرياض والمروج الجميلة الخلابية ، فينشق فيها أمتع الوقت وأطولها ، يداعب معسول الآمال آنناً ، ويهدد المهوم والآلام أخرى ، وهو في خلال ذلك كله دائم التفكير ، دائم التأمل ، ويظل هذا شأنه حتى تسلمه أمه (الطبيعة) ذلك القلم السحري العجيب وبه يدون أدبه ويلونه ويژهه .

وانك لتلمح في مسرحياته التي ألفها في أول اطوار انتاجه الأدبي ما يدل على انه كان يلاحظ الطيور والازهار والاشجار ويدرسها ويلم بها أماماً تاماً ، وانه

(١) المشهد الاول من الفصل الثاني سطر (١٤٨ - ١٦٨) حصواً السطر ١٥٨ .

(٢) «مقاطعة» «وولك» وقد سبقت ذكرها .

كان عدا ذلك خبيراً بأصناف الحيوانات الداجنة كالخجول والكلاب وغيرها ، ثم فيها ما يشير الى انه كان يصطحب معه الأهل والرفاق الى الحقول والبحار والانهار فينفقون الوقت في الترفيه عن انفسهم بشئ انواع اللهو والعبث . وفي بعض مسرحياته الرومانسية اوصاف طريفة مسهبة لانواع الصيد المختلفة وهي تعكس بعض الشيء من مظاهر حياته مما قد لا يعثر عليه في غير أدب الذكريات .

ولقد عرف عن شكسبير انه كان لبقاً عبقياً ، متواضعاً دمثاً ، يكثر من الاختلاط بأهل الريف ، فيستوقف الفلاح وقد هرع لاستقبال حقله قبل ان يستقبل الشمس ، ويجالس الزراع في اكواعهم وحول مواقدهم ، فيصفي لاحاديثهم الساذجة الشائقة ، ويستعرض اصناف انطبقات البشرية التي تمثل مختلف الادوار على مسرح الحياة ، يفعل ذلك كله بقلب حي نابض وذهن صاف متقد وعين نافذة حادة ، كالعدسة تسجل كل ما تقع عليه بدقة متناهية . ناهيك عن روح عميقة شاعرة تسبغ على هذا كله ألواناً زاهية من واسع الخيال المطبوع ورقيق الحس وصادق الشعور . وقصارى القول ان الطبيعة ومدرسة الحياة التي لامدرسة بعدها هما اللتان صاغته وصنعتاه وجعلته كما قال عنه كولردج (١) « Coleridge » (ذا نفس واسعة كال محيط (Oceanic) بل ذا عقل لا يضاويه ألف عقل) .

زواجه

لا بلغ شكسبير الثامنة عشرة من عمره أقدم على مشروع زاد في عسر أبيه وضيق ذات يده . فقد جاء في بعض اوراق أسقف ورستر « Worcester » أن وجهين من مزارعي سترا تفورد هما جون ريتشاردسن « Richardson » وفلك ساندلز « Fulk Sandells » قطعا على نفسها عهداً في ٢٨ نوفمبر سنة ١٥٨٢ بأن يتحملا أية

(١) الشاعر والناقد الانجليزي المشهور وزميل وردزورث « Wordsworth » باعث الحركة
« الابداعية » في بريطانيا - « ١٧٧٢ - ١٨٣٤ » .

مسؤولية قد تقع على عاتق ذلك المطران وموظفي أبرشيته ، وأن يدافعوا عنهم لاجازتهم زواج ولهم شكسبير بأن هاناوي « Anne Hathaway » من مدينة شوتري « Shottery » التي تقع الى جوار سترانفورد . والمصادر التي لدينا تؤرخ وفاة والدها في شهر تموز من تلك السنة ، وتذكر انه كان يمتلك البيت الذي أصبح فيما بعد حجة الزائرين ، والمعروف الآن بكوخ آن هاناوي « Anne Hathaway's Cottage » . ويستدل من تاريخ النصب التذكارى على ضريح آن انها كانت تكبر زوجها بشماني سنوات .

والنصوص المتعلقة بزواج شكسبير تغفل اي ذكر لرضى والدي العروس عن هذا الزواج او موافقة والدي ولیم عليه ، بل معرفتهم له في حينه . وعة ما بين ان شاعدي عقد الزواج الذين وعدا بصون المطران اسرعاً في انجاز العقد للشاعر على صديقتها (آن) لانها كانت تكبره سناً ، ويخشى عليها من البوار الاكيدات هي فشلت في هذه المرة . ويلقي ضوءاً ساطعاً على سبب آخر خطير لهذا الاسراع ما حدث مؤخراً من أن الشاعر رزق بعد ستة أشهر من حفلة زواجه ابنة سماها سوسانا « Susanna » ، فقد كان عمادها حسب النص الكنسي في ٢٦ مايس سنة ١٥٨٣ ، بيناجرت حفلة زواج والدها في نوفمبر من السنة المنصرمة !

وآخر ذكر لاقامته في سترانفورد انما هو تاريخ عماد توأميه هامنت « Hamnet » وجودث « Judith » ، وكان هذا في فبراير سنة ١٥٨٥ . وقد سماهما بهذين الاسمين نسبة لجاريه الصديقين هامنت وزوجه جودث سادلر (Sadler) . وقيل ان سادلر هذا كان عراب هامنت وقت عماده ، وانذ الشاعر اوصى له بعد وفاته ببعض المال لبيتاع به خاتماً للذكرى .

الى لندن

تضاربت الآراء في البواعث التي حفزت ولیم لمغادرة سترانفورد ، فمن قائل انه لم يكن موفقاً بهذا الزواج ، بل شقياً به ، متبرماً منه . واكبر الظن ان

التفاوت في العمر بينه وبين زوجته هو أهم علة لما كان يقع بينهما من مشاحنة او ملاحاة كانت تتطور في اغلب الاحيان الى خصام حاد عنيف . فلا بد انه ضاق ذرعاً بالحياة الزوجية التي لم يمض عليها غير اربع سنوات ، فأحب ان يبيع نفسه من عبء ثقيل لا قبل له به ولا طاقة على حمله . زد على ذلك سوء حال والده الاقتصادية ، ذلك بما حدا شكسبير الى التطلع الى عالم غير هذا العالم الذي ألفه وعرفه ، يأمل ان يشق فيه طريقاً جديداً ويبدأ حياة جديدة ايضا .

ومنهم من يزيد على ذلك سبباً آخر لا نستطيع الجزم بصحته . وهو ان الشاعر وصحبه اتفقوا على اصطياذغزال، كان يرعى في منزله يقع في ارض شارلكوت (Charlecoote) القريبة من ستراتفورد ، وهو يخص نييلا واسع السلطة قوي النفوذ، اسمه توماس لوسي (Thomas Lucy) ، ففعلوا ذلك ، فقبض عليه واحتبسه ليلة في قصره ، وقيل انه امر بجلده ، بل زعموا انه رفع الامر للقضاء وتابع ذلك بعنف وقسوة ، فلم يزل شكسبير بدأ من الفرار اذ كانت عقوبة مثل تلك الجريمة السجن ثلاثة اشهر ، ودفع غرامة تقدر قيمتها بثلاثة أمثال ما أتلف . على انه لم يقف ذاهلاً امام هذا العنف والارهاب او حائراً مكتوف اليدين ، بل نظم مقطوعة من الشعر فيها قدح وسخرية وهزؤ بهذا الخصم النبيل ، والصقها على باب قصره قبل ان يغادر ذلك المكاث . ومن المتفق عليه انها باكورة انتاجه الادبي ، بيد انه لم تقع المؤرخين عليها يد .

وقد خشي ولم عاقبة ما صنع ، فازداد عزمًا وشوقاً الى تبديل تلك البيئة بأخرى غيرها . ولم ينس الحادثة هذه كما يزعمون حتى في الظور الثاني لانتاجه الادبي ، اذ صور توماس لوسي خصمه في شخصية القاضي شالو (Shallow) في مسرحية (ازواج ونسر المرحات) وفي القسم الثاني من (هنري الرابع) .

ولم يكن امامه ما يقصده من المدن غير لندن العظيمة ، فقد كانت كبيرة واسعة تعج باصناف الخلق وبكثير من الصناعات العديدة ، وقد بلغ عدد سكانها في ذلك الحين زهاء المئتي الف نسمة ، فلا غرر - تكون مطمح انظار الشباب ،

يقبلون عليها من كل أوب، ويهرعون اليها من كل فج ، فينجز بعضهم تحصيله ؛
ويلتمس البعض الآخر عيشه بأيسر السبل وأقرب الطرق .

كانت اسباب الاتصال بين ستراتفورد ولندن غاية في السهولة واليسر ، واهمها
الحيل . مع هذا كنت تلقى من الناس من يعرض عن ركوبها ويقبل على السفر
مشياً ، وعلى الاخص الادباء ، فقد كانوا يفضلونه على ركوب الحيل ، أما نجسباً
للتبذير او تواضعاً وجرياً على عادة السواد الاعظم من الناس ، او لكلا السببين
مجتمعين .

وهكذا يعتزم الشاعر الرحيل عن ستراتفورد مخلفاً فيها عائلة تنصور جوعاً
وتتمزق أماً ، واضعاً نصب عينيه العاصمة العظيمة ، وكل امله ان يعود الى اهله
عشيره بعد ان يحقق آماله واطمائه التي قد لا تتعدى في ظاهرها حد الرغبة
ليستقر في بلده ولينفق بقية العمر على أهنا وضع واسعد حال .

ولا بد للمسافر من ستراتفورد الى لندن من ان يسلك احدى طريقين جليلين
الواحدة منها عشرون ميلاً تقريباً ، الاولى تمر ببلدة بانبري (Banbury) وتشق
الثانية او كسفورد .

ولا ندري أيهما سلك في رحلته الاولى ، لكن الثابت انه كان يختار في معظم
الاقوات طريق كسفورد حيث كان يعرج على فندق التاج (Crown's Inn)
لصاحبه جون ديفانت (John Davenport) ويتخذ منه ومن ابناؤه اصدقاء الحياة .
على ان بعض الروايات تزعم انه غادر ستراتفورد قاصداً احدى القرى المجاورة
ليشتغل معلماً في احدى مدارسها ، ومن ثم قصد لندن بعد فترة وجيزة .

في لندن

هبط ولیم لندن عام ١٥٨٦ مع ثلاثة من ابناء بلده هم : روجر لوك
(Roger Locke) وألن اوربان (Allan Orman) وريتشارد فيلد (Richard Field)

وكان هدفهم جميعا الاشتغال بفن الطباعة والنشر . وقد بسم الحظ لهم جميعهم وخصوصاً لريتشارد فيلد ، فلم ينس هذا الشاب رفيقه وليم او يدعه وشأنه ، بل اقبل عليه اقبال الأخ على أخيه ، فيأخذ بيده ويعينه على حياة شاقة غريبة لم يألف لها من قبل مثيلاً .

والروايات متفقة في ان شكسبير ، لما له من كلف وشغف بالتمثيل ، انصل توأ بأحد المسارح في لندن ، لكنها متضاربة في الكيفية التي بها بدأ حياته فيه . فمنهم من يرى انه استهل عمله كمناد للمسرح ، ومنهم من يقول انه كان يعين الملحن اثناء التمثيل ، وآخرون انه عهد اليه بمراقبة خيول الذين يجيئون ليشهدوا التمثيل ، وانه ألف لهذا الغرض فرقة من الصبيان اطلق عليها اسم (صبيان شكسبير)

« Shakespeare's Boys »

ولا نعلم بالتأكيد اسم المسرح الذي التحق به في بدء الأمر ، ومن المرجح ان يكون التياترو « The Theatre » الواقع في شوردتش « Shoreditch » من أحياء لندن بيد انه لم يقتصر عليه بل ظل ينتقل من مسرح الى آخر طوال اشتغاله بالتمثيل . وهكذا يقطع الشاعر مرحلة كبيرة من النجاح ، فيصبح في أول عهده بمثابة شيطان لا شأن له ولا خطر . ثم يلتحق بفرقة الايرل اوف ليستر التي عرفت فيما بعد بفرقة اللورد تشمبرلن « Lord Chamberlain's Co. » ، فيدخل طور التمثيل العالي ويراجع المسرحيات قبل ان تعرض ، فينمق هذه ، ويدبج تلك ، ويراجعها جميعاً ويكسبها لونا من الادب ومن الفن يلائم ذوق الناس ، ويبلغ بعد مران طويل وجهد عنيف شأواً بعيداً ، حتى يصبح ذلك الشاعر العالمي الخطير والكاتب المسرحي النابه الذكر .

ولا أحب ان استأنف البحث بغير مناقشة الرواية التي تقول باشتغاله كاتباً عند أحد الحمامين في أول حياته في لندن . والذين يزعمون ذلك يبنونه على ما يجدون في مسرحياته من تعابير ومفردات ذات مسحة وطابع قانونيين . وهذا الامر لم يصدر في رأيهم عن رجل لم يارس القضاء او يحترف الحمامة ولو بعض الحين . والسر

سدني لي « Sir Sidney Lee » لا يقر الزاعمين على زعمهم هذا . ذلك لان معلومات الشاعر في القانون كما هو جلي من مسرحياته ، مفعمة بالاخطاء العديدة التي لا تقبل التساؤل ، بما يدل على جهل . مطبق للقانون وعدم ممارسة طويلة منظمة لخرافة المحاماة . ثم ان ما تقع عليه في مسرحياته من اشارات ومفردات وتعبيرات تتعلق بالقانون لم تكن ملك الشاعر أو حيساً عليه ، وانما كانت شائعة في بعض آداب المعاصرين ممن لم يكن لهم اي اتصال بالقضاء أو المام بالقانون . وهذا واضح من كتاب (الملكة الجنية) « Faerie Queene » لسبنسر ، ومن مؤلفات بن جونسون و فليب ماسنجر « Massinger » (١٥٨٣ - ١٦٤٠) وجون وبستر « Webster » (١٥٨٠ - ١٦٢٥) . فهي لا تخلو من تعابير قانونية وأوصاف لمحاكمات قضائية ، وانما بأخطاء أقل مما اقترفه شكسبير في هذا الباب .

ويعلل السر سدني لي المام شكسبير ومعرفة بعض القانون بسبب زيارته المتكررة للمحاكم وتردده عليها مع والده في قضاياها الخاصة ايضاً . ناهيك عما امتاز به من ذكاء نادر ونسوج باكر وأدراك واسع ، فلا عجب ان تراه يملك ناصية كل فن ويتقن دراسة كل باب ، وكل مظهر من مظاهر الحياة الكريمة .

اعوانه الشاعر

لقد اهتم القدر لوليم حين تعرف برينشارد فيلد ، وهو - كما مر - من أبناء سترااتفورد الذين صجبه في رحلته الى لندن . كان السعد حليف هذا الفتى منذ ان وطى ارض العاصمة .

فكان الزمان ساقه الى تلك المدينة ليكون معاوناً لوليم على الحياة هناك . فكان حقاً صديقاً وفعالاً مخلصاً ، له اليد الطولى في بلوغ شكسبير تلك المرتبة الادبية السامية . اذ اتصل فيلد حال وصوله الى لندن بزجسل فرانسوي الاصل بروتستي المذهب ، اسمه فوتروليو « Voutrollier » كانت العاصمة الفرنسية قد لفظته عبر القنال في الحين الذي اشتدت فيه وبلاء الكنيسة على طائفة البروتستانت المعروفين

أنداك بالهيوجنث « Huguenots »

شرع هذا الفرنسي حين استقر به الأمر في لندن يمارس أعمال الطباعة والنشر ،
فيوفى في ذلك ويصيب نجاحاً لم يكن ليحلم به من قبل .

ولقد أحب فوترويلير الشاب فيلد إذ توسم فيه الأمانة والاخلاص . فاتخذه اجيراً
عنده في بدء الأمير ، ثم أناط به الإشراف على العمل كله . وبشاء القدر ان يتوفى
سيده الفرنسي فيتزوج فيلد ارملته ويرث معها جميع ماله بما في ذلك أدوات الطبع
والنشر ، فيقبل على عمله بهمة لا تعرف السكال وحماس فائق عظيم .

والى فيلد هذا يعزى نشر كتاب (تراجم بلوطارخ) « Plutarch's Lives » الذي
ترجمه نورث « North » من الفرنسية ، واتم طبعه سنة ١٥٩٥ . وكذلك قصيدة
اورلاندو فيوريوزو « ORLANDO FURIOSO » للكاتب والشاعر الايطالي العظيم ارياستو
« ARIOSTO » (١٤٧٤-١٥٢٣) الذي ترجمه السرجون هارتفتون « HARTINGTON »
سنة ١٥٩١ . وبهنا من هذا ان فيلد نشر لشكسبير ايضاً في تباشير شاعريته
قصيدتين ، الاولى هي (فينس وأونيس) لاول مرة في ١٨ ابريل سنة ١٥٩٣ ،
وبعد ذلك بعام أي في ٩ مايس ١٥٩٤ ، نشر قصيدة (لو كريس) .

وكلتا القصيدتين مهدتان للنيل الايرل اوف ساوثمبتن « Earl of Southampton »
ومذيلتان باسم شكسبير .

ولم يقف الامر بفيلد عند هذا الحد من الرقي والنجاح ، فقد عين بعد برهة
رئيساً للجمعية الورقية (Master of Stationer's Co.) فزاد ذلك في نفعه
وسيطرته الادبية .

من هذا نستطيع ان نقدر مدى المعونة التي أسداها لصديقه الشاعر في أول
اطوار انتاجه . وقد ظل فيلد عائشاً حتى سنة ١٦٢٤ أي بعد وفاة شكسبير
بنحو ثمانية اعوام .

اما الصديق الآخر وما هو في الواقع بصديقي اذا افترضنا الصداقة الحقة الخالصة

لا تكون بين غير الانداد ، فهو السيد هنري ريوثسلي (WRIOTHESLEY) ذلك النبيل الذي عرف فيما بعد بالايول اوف ساوثمبتن (THIRD EARL OF SOUTHAMPTON) وكان الشاعر قد أهدي اليه قصيدته السالفي الذكر .

كان هذا النبيل ظهير شكسبير ولنصيره ، ولم يكن ذلك مستغرباً في عصر كانت فيه مناصرة الشعراء ومزازرتهم تقليداً شائعاً مستجاباً عند السواد الاعظم من النبلاء . فالنبيل هو سند الشاعر وعضده الاشد ، يمدّه بكل مساعدة ويسدي اليه كل ما يمهده له سبل الاطمئنان والراحة والهناء ، وبحق له جمع ما يصو اليه من آمال في الحياة . والشاعر هو لسان حال النبيل وبوق شهرته ، فالقائد اليه تهدي وبفضله تنظم وبدكره تشيد وتترنم . وقد كان شكسبير حقاً موقفاً حطيظاً باتصاله بهذه الشخصية القوية وهو في اول اطوار شاعريته .

فقد كان هذا النبيل طلاق اليدين ، سخي النفس ، وقد روى الاديب (روا) « NICHOLAS ROWE » بالاستناد الى وليم ديفانث ان هذا النبيل وصل شكسبير في حين من الزمن بنحو الف جنيه ، وهو مبلغ ضخم تمكن به شاعرنا من الاستقرار والانقطاع لتأليف المسرحيات . ولا يبعد ان تكون هذه الصداقة من اهم العوامل التي اشهرت شكسبير في الاوساط العالية وسهلت له ولفرقة سبل الاتصال باللاط ، وعرض بعض المسرحيات فيه ، في مختلف المواسم والمناسبات .

من المحقق تاريخياً ان الايول اوف ساوثمبتن ، بعد الإفراج عنه من السجن بسنة واحدة ، دعا الى قصره الملكة (آن) « ANNE » وأحب ان يجتفي بها ، فلم ير خيراً من استدعاء ريتشارد بروج « BURBAGE » ورفاقه الممثلين ومنهم شكسبير لعرض ملهاة (جهد الحب الضائع) ، فسرت الملكة بها وابتهجت كثيراً . ولم يفد الشاعر كثيراً من صديقه النبيل في آخر حكم اليزابث ، اذ اشتهر النبيل وصديقه الايول اوف اسكس « ESSEX » في اواخر سنة ١٦٠٠ بالملكة نفسها ، فاحققت المؤامرة ، وقبض عليهما ، وحكم عليهما بالموت فنفذ ذلك في الايول اوف اسكس . اما ساوثمبتن فاستبدل حكمه بالسجن المؤبد لاسباب تخففة ، فمكث فيه حتى اعتلى جيمس الاول العرش سنة ١٦٠٣ ، فأفرج عنه نظراً للصداقة بينه وبين

الايول اوف أسكس شريك ساوثبتن في المؤامرة .

بيد ان هذه الحادثة لم تضعف من مركز الشاعر او تززع شهرته في الاوساط الاجتماعية والادبية . وانما ظل كشأنه يفتح المسارح بمسرحياته ويقارع الادب ويتأفرهم اني تسنى له ذلك ، ولا سيما في حانة مرميد (١) « MERMAID TAVERN » في شارع الخبز « BREAD STREET » من لندن .

واقدم اغتبط الشاعر بالافراج عن صديقه النبيل ونوه بذلك في مقطوعة شعرية (صونية ٥٧) . ومما لا ريب فيه أن هذه الصداقة المتينة وذاك الوداد المتبادل بين النبيل والشاعر ، وما كان للنبيل من حظوة ومكان رفيع في نفس الملك ، كانت من اكبر الاسباب لما لاقاه الشاعر من عطف القصر وحده وتشيجه .

ومع أننا لا ننكر ما للنبيل من أيداع عند الشاعر وما بذله له من عطايا جزيلة الا اننا حين نوازن بين ما قدمه للشاعر وما أفاد منه نجد الكفة بلا شك راجحة في جانب النبيل . فقد اشتهر أمره باتساع شهرة شكسبير في عالم الأدب ، وخلد ذكره في تلك المقطوعات الشعرية (الصونيات) « SONNETS » التي تعد من عر الشعر العالمي .

وخلاصة القول أن اسمه أضحي مقروناً باسم شكسبير ، يذكر هذا حينما يذكر ذلك على مدى الدهور .

الشاعر وديفانت

ذكرنا في السابق ان الشاعر كان يعرج على فندق التساج في اكسفورد حين يذهب الى لندن او يأتي منها فيلقى من صاحبه جون ديفانت « DAVENANT » حفاوة

(١) من أقدم النوادي الادبية في انجلترا ، اسمه على ما يقال السرولتر والي « SIR WALTER RALEIGH » وكان يؤمه شكسبير مع الشعراء الاخرين كبن جونسون ودون « DONNE » ويمونت « BEAUMONT » . وبنشر (FLETCHER) وغيرهم . وقد ورد ذكر هذا النادي في أشعار الكيرين ، وعلى الأخص في قصيدة للشاعر الشاب كيتس عنوانها « أسطر عن حانة مرميد »

[LINES ON THE MERMAID TAVERN]

بالغة وأكراماً زائداً . وديفانت هذا كلف بالدراما شغوف بها ، وهذا مما زاد في حبه لشكسبير واكباره له . وكان الشاعر يسر بالاجتماع الى جين « JANE » زوج ديفانت الثانية ، فيعجب بدكائها الحاد وتخلبه احاديثها العذبة ويستبي عقله جمالها البارع الفتان .

ويروي روبرت كبير انجال جون ديفانت بكل جدل وافتخار أن الشاعر طبع على وجنتيه وهو طفل مائة قبلة !!

وقد روى اوبري « AUBREY » اشاعة غريبة لا نستطيع قبولها والتسليم بها بغير تحفظ وفحص دقيق ، وهي زعمه ان ولیم ثاني ابناء هذه العائلة هو في الواقع ابن شكسبير وليس ابن جون ديفانت . ويستند في ذلك الى ما كان بين شكسبير و (جين) زوج ديفانت من حب وصلة وثيقة ، الى العطف والمودة الخفية القوية المتبادلة بين شكسبير وبين ولیم الطفل على شكل لا يكون بين غير الآباء والابناء .

ومع ان هذه الاشاعة ظهرت في كتب تاريخية متعددة منذ القرن السابع عشر ، الا أن أنطوني وود (١٦٣٢ - ١٦٩٥) « ANTHONY WOOD » مؤرخ بلدة او كسفورد يدحض هذه التهمة وينفيها نفياً باتاً .

ليس هذا فحسب بل زعموا أن وفاة جون ديفانت بسبب حزنه الشديد على فقدان زوجته (جين) التي لم يمض على وفاتها غير أسبوعين فقط لدليل قاطع على ما كان بينها من رابطة قوية ومحبة فائقة . وانه لبرهان ساطع ايضاً على بطلان هذه الوصية الشنيعة التي يطيب لبعض الادباء الصاقها بالشاعر العظيم .

وفي ٣ مارس ١٦٠٦ احتفل بهامد ولیم ديفانت وربما كان الشاعر عزابه عند تعينده . ولقد اصبحت ولیم هذا شاعراً وكاتباً مسرحياً وسياسياً خطيراً في عهد شارل الاول وكان يلقب بالسرو ولیم ديفانت ، وقد سجله كرومويل « CROMWELL » لكن الشاعر ملتن « MILTON » توسط بالافراج عنه .

وكان فضلاً عن ذلك شاعر الدولة منذ سنة ١٦٣٨ ومن المعجبين بشكسبير والغر من بادبه . فزعموا انه في الثانية عشرة من عمره نظم مقطوعة من الشعر رثى

بها شكشير وما يبيض على وفاته سوى عامين تقريباً ، وانه ادخل تعديلاً على هجاء اسم عائلته فصار يكتبه على هذه الشاكلة : « D'AVENANT » ، ليربط هذا الاسم بأهون « AVON » النهر الذي يمر بستراتفورد بلد شكشير .

ولسوف تقدر قيمة هذه الصداقة وتدرك اثرها في تاريخ الادب الانجليزي وفضلها عليه حين البحث في تراجم الشاعر . فقييد كان ولیم ديفاننت من اهم المصادر وارثي المراجع التي اعتمدها الاديب ريو (ROWE) حين الف تلك الترجمة الدقيقة الواغية للشاعر ونشرها مع مسرحياته ، ولولاه لما عثرنا على الكثير من الحلقات المفقودة في حياة شكشير .

الشاعر والتثيل

لقد فتن التمثيل شكشير واستهواه منذ نعومة اظفاره . ويزعم بعضهم أن زيارة اربع فراق تمثيلية لستراتفورد في اواخر عهده بها هي التي حببت اليه القدم الى لندن ليتسنى له ارتياد المسرح انى شاء وكيفما شاء . وقد كان في لندن حين هبطها مالا يقل عن سبع فراق تمثيلية ، تتألف كل منها من اثني عشر عضواً تقريباً ، اغلبهم رجال والآخرون من الصبيان الذين يجنون محل النساء في الادوار التمثيلية ، ماذلم تكن تقضي التقاليد والعادات آنئذ بظهور النساء على المسارح والاشراك مع الرجال بالتمثيل .

مما كانت اربع فراق منها تتمتع برعاية اربع نبلاء ، منهم الايرل اوفه ليستر (LEICESTER) ، اما الخامسة فقد كانت تتمتع بعطف الملكة نفسها ، وقد تشكلت الاخريتان من الصبيان الذين كانوا في الوقت ذاته يؤلفون جوقة لتراتيل اجداهما في كاتدرائية القديس بولس ، والاخرى في الكنيسة الملكية (ROYAL CHAPEL) . وتمتد لوقت هانان الفرقتان تشجيعاً ، وما تعرضه من مسرحيات رواجاً عظيماً ، وكانت المنافسة بينهما وبين فرق الرجال حادة عنيفة كلى العنيف .

قد التحق الشاعر سنة ١٥٨٨ بفرقة الايرل اوف ليستر وظل يعمل فيها طوال اشتغاله بالتمثيل . وقد تعاقبت عليها أسماء عديدة مختلفة بعد وفاة الايرل اوف ليستر لا بأس من بسطها وايضاها في الجدول التالي : -

LORD STRANGE'S CO.	- ١٥٩٣ - ١٥٨٨	فرقة اللورد سترينج من
LORD DERBY'S CO	- ١٥٩٤ - ١٥٩٣	» دربي من
LORD CHAMBERLAIN'S CO.	- ١٥٩٤ - يوليو ٩٦	» تشمبرلن من
LORD HUNSDON'S CO,	- آذار ٩٧	» هنسدن من
LORD CHAMBERLAIN'S CO.	- ١٦٠٣ - ١٥٩٧	» تشمبرلن من
HIS MAJESTY'S CO.	- -	» جلالته من ١٦٠٣

ويظن ان شكسبير التحق في بدء الامر بمسرح (التياترو) « THE THEATRE » كما بينا ، بيد انه لم يقتصر عليه بل مثل بعض الادوار من مسرحياته في مسرح الورد « THE ROSE » ومسرح بتس « NEWINGTON BUTTS » وكذلك مسرح (الستار) « THE CURTAIN » وبعد سنة ١٥٩٩ التحق بمسرح (الكرة) « THE GLOBE » الذي اشار اليه في افتتاحية (هنري الخامس) (بالحلقة الحشبية) « WOODEN O » .

ويشك في انه اعتلى المسرح كثيراً بعد ان اصبح شريكاً في مسرح البلاكفراير « BLACKFRIARS » من سنة ١٦٠٨ ، او انه ساهم في التمثيل في البلاد التي كانت فرقته تجوبها بين دوفر وبرستل ، وبين ريتشمند وكنتري . بل ليس ثمة ما يثبت انه رافقها الى اسكوتلندا او اوروبا ، او انه عبر البحر خارج انكلترا على الاطلاق . اما عن قدرته وبراعته في التمثيل فجميع المصادر وفي طبيعتها الاديب والمؤرخ اوبري « AUBREY » تشيد بذلك . وانك لناس من تلقين هاملت للممثلين ما يشهد اشكسبير بطول الباع في هذا الفن الرفيع وفهم حاذق تام له (١) . وفي رواية ان اسمه كان في رأس قائمة تسعة ممثلين ساروا في موكب حافل لاستقبال جيمس الاول حين دخوله لندن في ١٥ مارس سنة ١٦٠٤ . وقد ورد

في مجموعة المسرحيات التي ألفها بن جونسون ونشرها سنة ١٦١٦ ، ما يفيد ان شكسبير مثل بعض الادوار في مسرحيتين لبن جونسون ، هما « كل رجل حسب مزاجه » « EVERY MAN IN HIS HUMOUR » و « سيجانوس » « SEJANUS » .

وقد زعموا انه مثل دور شخصين من مسرحياته هما الشبح « The Ghost » من مأساة (هاملت) ، و آدم « ADAM » من ملهامة (كما نشاء) . بيد انه انقطع عن التمثيل بعد موت الملكة بوقت قصير ، وأخذ يعد لفرقة حاجتها من المسرحيات ، فمنها ما يضعه وضعاً وهو قليل جداً ، واما الباقي فيقتبس قصته من الادب الكلاسيكي القديم ومن الادب الحديث والتاريخ ايضاً .

ولم يكن يؤذن لغير فرقة بتمثيل اي من مسرحياته ، خلا اثنتين هما « تيطس اندرونيكس » « TITUS ANDRONICUS » والنسخة الاصلية من الجزء الثالث من « هنري السادس » وقد كانت تعرف قبلاً (بالمأساة الحقيقية لريتشارد اوف يورك) (١) . فقد مثل الاولى فرقتا الايرل اوف بيمبروك « EARL OF PEMBROKE » والايرل اوف سسكس « EARL OF SUSSEX » اما المسرحية الثانية فقد مثلتها فرقة الايرل اوف بيمبروك ايضاً ، وربما ان الشاعر سمح لهاتين الفرقتين بتمثيل المسرحيتين المذكورتين لانهما لم تكونا من وضعه وحده بل ساهم في تأليفها شعراء آخرون .

وقد كانت فرقة الشاعر - فرقة اللورد تشمبرلن - أقرب الفرق الى القصر ، وتدعى وحدها لعرض مسرحياتها ، في المواسم والاعباد الرسمية . ففي عيد الميلاد من سنة ١٥٩٤ مثلاً دعى شكسبير وكب « KEMP » وبريج ، وكلهم ممثلون في فرقة تشمبرلن ، الى قصر الملكة في قرينج « GREENWICH » لعرض مسرحيتين كانتا تروقان جماعاً القصر المثقفين كثيراً ، هما (جهد الحب الضائع) و (كوميديا الاخطاء) . ويزعمون أن اثنين من زملاء الشاعر الممثلين نالا مكافأة من اللورد تشمبرلن قدرها ثلاثة عشر جنيهاً وستة شلنات وثمانية بنسات لكل منها ، وان الملكة منحت كلاً منها ايضاً ستة جنيهات وثلاثة عشر شلناً واربعة بنسات ، وهو

مبلغ لا بأس به اذا علمت ان مجموعهم يساوي في الوقت الحاضر نحو مائة وستين
جنبها تقريباً .

وهكذا ظلت الفرقة التي ينتمي اليها الشاعر تعرض المسرحيات في التسع
السنين الاخيرة من حكم اليزابث ، ولم تنضع تلك الفرقة بمجيء جيمس او يافل
نجم شكسبير كما قد تتوقع ، بل على العكس من ذلك ، فقد زاد تألقاً واشعاعاً
فأصبحت فرقته تعرف بفرقة الملك حسبا جاء في سجل مؤرخ في ١٧ مايس
سنة ١٦٠٣ كما ذكرنا في مكان آخر . ويزعمون ان شكسبير لم يمارس التمثيل منذ
اعتلاء جيمس العرش ، وان آخر دور مثله هو في مسرحية سيجانوس « SEJANUS »
ابن جونسون سنة ١٦٠٣ .

وقد بلغ عدد زملاء الشاعر في التمثيل نحو خمسة وعشرين ، وردت اسماؤهم
جميعا في قائمه يعاوها اسم شكسبير في المجموعة الاولى من مسرحياته « THE FIRST
FOLIO » ، ومن أشهرهم جون هممنغز « HEMINGES » وقد توفي سنة ١٦٣٠ ،
وهنري كوندل « CONDELL » الذي توفي سنة ١٦٢٧ ، وكذلك جيمس وابنه
ريتشارد بربج .

أما الممثلان الأولان فقد قاما - كما ستري - بجمع مسرحيات شكسبير
ونشرها سنة ١٦٢٣ ، وقد كانت قبل هذا موزعة في طبعات صغيرة تعرف الواحدة
منها بالربع « QUARTO » .

ويعتقد ان هممنغز هو أول من مثل دور فولستاف « FALSTAFF » . اما
جيمس بربج فقد كان عضواً في فرقة الايرل اوف ليستر سنة ١٥٧٤ ، وهو اول
من انشأ مسرحاً من الخشب في لندن سنة ١٥٧٦ ، وفي سنة ١٥٩٦ ابتاع مسرح
البلا كفراير « BLACKFRIARS » وهدم التياترو « THE THEATRE » في ديسمبر سنة ١٥٩٨
ونقل جميع ادوات بنائه الخشبية الى الضفة المقابلة من نهر التيمس لينشيء منها مسرح
الكرة « THE GLOBE » الذي حرق سنة ١٦١٣ .

اما ريتشارد بربج وهو ابن جيمس المشهور فقد ورث عن ابيه حصته في مسرح

البلا كفاير ، وما كان يملكه من أسهم في مسرح الكرة . وقد عشق التمثيل منذ صغره حتى أصبح بين سنتي ١٥٩٥ و ١٦١٨ ممثلاً حاذقاً كبيراً ، يمثل ادواراً رئيسية من مسرحيات شكسبير وبن جونسون وبيمونت (١) وفلتشر (٢) . وقد برع في تمثيل ابطال المآسي كهملت والملك لير « KING LEAR » وعطيل « OTHELLO » وغيرهم ، وكان جدم موفق في ابرازها على المسرح ، حية كما كانت الشاعر يحبها ان تكون ، بل اكثر .

شكسبير والشعراء المعاصرون

ظهر شكسبير في عالم الشعر ، واثلاق نجمه في الأوساط الادبية في لندن ، وهو الرجل العامي غير المثقف من معجزات ذلك العصر بل كل العصور بالحقيقة . فقد كان يتنازع الشهرة الادبية وزعامة الشعر فريقان ، الاول مكون من رجل واحد فرد هو كريستوفر مارلو (٣) « Christopher Marlowe » الشاعر النابغة الفحل . والثاني يتزعمه توماس ناش (٤) « Thomas Nash » ، واغلب أعضائه من الشخصيات العلمية الجامعية ، فناش وصحبه تخرجوا في جامعة كمبردج وغيرها من كبريات الجامعات في إنجلترا . وبالرغم من اشتداد التنافس والتناحر بين هذين الفريقين ، فقد كان من المسلم به أن مارلو هو الزعيم الادبي والشاعر العبقرى ، غير مدافع .

ولكن الخطر كل الخطر ، قد دام هذه الشخصيات العلمية الجامعية بيزور

١ شاعر كبير معاصر لشكسبير (١٥٨٤-١٦١٦) .

٢ شاعر آخر معاصر لشكسبير (١٥٧٩-١٦٢٥) .

٣ يحمل شهادة « م . ع . » (١٥٦٤-١٥٩٣) . واول من ابتدع الشعر المرسل

« Blank Verse » بالشكل الذي استعمله شكسبير

٤ (١٥٦٧-١٦٠١)

مثل من عامة الناس ، لم يكن له شأن من قبل او خطر ، أخذ في تأليف المسرحيات على اختلاف ألوانها ، والتجديد فيها ، واعدادها في أول الأمر لفرقة سترينج (Lord Strange's Co.) التي كان (قرين) الشاعر يعمل لها ، والباسها ثوباً أدبياً قشياً يلائم ذوق الناس في ذلك العصر .

وقد سبق أن نشر شكسبير من قبل قصيدتين مديلتين باسمه الصريح ، فلفت بذلك إليه الانظار ، وصار الادباء يرمقونه بروح الدهشة والقلق والاشفاق . كان ذلك في ٣ سبتمبر سنة ١٥٩٢ حين وافى الأجل الاديب المعروف روبرت قرين (١) « Robert Greene » تاركاً بعده مقالاً مخطوطاً (٢) ، تولى هنري تشتل « Chettle » نشره في الثامن من ديسمبر من تلك السنة ، وفيه تعريض بهذا الشاعر الطاريء الحديث الشأن كما سترى . بيد ان تشتل عاد فنشر اعتذاراً من شكسبير وثناء عليه لدمائه خلقه وأمانته الأدبية وسمو فنه . وفي ختام مقاله يخاطب قرين ثلاثة من المؤلفين المسرحيين من المعتقدانهم مارلو وناش « Thomas Nash » وكذلك جورج بيل (٤) « Peele » ناصحاً بأنهم أن ينصرفوا الى غير مسائل التأليف . وفيه ترد العبارة المشهورة التي تشير الى ظهور شكسبير « ذلك الغراب الناشيء » المتزين بريشنا ، الذي بمجرد قوله (قلب النور المكتسي جلد الممثل) يعتقد انه يجيد نظم الشعر المرسل « Blank Verse » كأحسن الشعراء . هذا الشخص الذي يحدق حرفاً عديدة (٥) والذي لغروره بنفسه يظن انه « الشيكسين » « Shakescene » الأوحده في بلده !

١ - (١٥٦٠ ؟ - ١٥٩٢)

٢ - « A GROATSWORTH OF WIT BOUGHT WITH A MILLION OF REPENTANCE »

٣ - هذا رأي السر سديني لي بيد ان قاموس او كسفورد الايدي بندكر توماس

لودج (١٥٥٨ ؟ - ١٦٣٥) بدلاً من ناش

٤ - (١٥٥٨ ؟ - ١٥٩٧ ؟)

٥ - هي في الاصل هكذا « JOHANNES FACTOTUM »

ومن الجلي الواضح أن قرين بذكره (لقب النمر المكتسبي جلد الممثل) انما يشير الى وصف شكسبير « لقب النمر الملتف بجلد المرأة » الوارد في الجزء الثالث من مسرحية « هنري السادس » (١) وقد كانت تعرف قبلا (بالمأساة الحقيقية لريتشارد اوف يورك). ثم في لفظة (شيك سين) « Shakescene » اشارة واضحة الى اسم شكسبير ، ذلك لما بين اللفظين من تشابه ظاهر . أو قد يكون المقصود بذلك ، ومعنى « شيك سين » «بحرك المنظر او يغير المشهد» نغمز الشاعر من طرف خفي ، ونقده بأسلوب ناعم هاديء لرجوعه الى النسخة الاولى من هنري السادس التي راجعها وهياها قرين وصحبه من قبل ، واخرجه نسخة جديدة من تلك الاصلية القديمة . وربما قصد تشتل « Chettle » باشادته بأمانة شكسبير الادبية واستقامته في ذلك الاعتذار الذي قدمه لشكسبير ان يرد على اتهام قرين للشاعر بانه كان يسطر على آثار غيره الادبية ، ولا سيما المسرحيات التي كان يراجعها قرين وصحبه من الادباء ، فيعيد شكسبير النظر فيها مرة ثانية ويعددها للمسرح من جديد .

ومن قول قرين هذا نخرج بثلاث حقائق راهنة :-

أولاً : ان شكسبير كان ممثلاً وكاتباً مسرحياً بعيد الصيت ، يملك أسهماً في بعض المسارح الشهيرة ، ويراجع المسرحيات والقصص القديمة ويبيعها للفرق التمثيلية وينقاضي عنها أجوراً عالية ، ويزاحم في ذلك كل من سبقه أو عاصره من الادباء ، ويقطع عنهم سبل عيشهم ، فيموت قرين من جراء ذلك فقيراً معدماً ، فلا عجب ان ملأ بالحسد والحقد والمقت الشديد نفوسهم جميعاً . ولعل المقصود بلفظة « Johannes Factotum » التلميح الى هذه الالوان المختلفة من العمل وأوجه كسب العيش والارتزاق التي كانت شكسبير يحذقها ويمارسها في لندن ببراعة وأتقان .

ثانياً : ظهور مسرحية « هنري السادس » بأجزائها الثلاثة التي يقال انها من تأليف قرين ورفاقه ، والتي ربما مسها شكسبير بريشته وأكسبها مظهراً فنياً

جديداً كما ينبغي من نشرها في المجموعة الاولى لمسرحياته سنة ١٦٢٣ .
ثالثاً وأخيراً : ان شكسبير كان في بعض الاحيان بل أغلبها يسطو على بعض

القصص القديمة وينهبها في وضع النهار نهباً ليخرج منها مسرحيات جديدة ، وانه لم يكن يحجم في كثير من الاحيان عن مراجعة المسرحيات التي راجعها قرين وغيره من الادباء قبله ويعددها للتمثيل . وهذا واضح من قول قرين : (النمر المكتسي جلد الممثل) ، (والریش الذي استعاره منا الغراب الاسحم ليتزين به) .

أما المسرحيات التي أثارَت دهشة قرين وحسده وجزعه معاً فلا يبعد أن تكون (هنري السادس) التي راجعها الشاعر وترك فيها أثراً ظاهراً . فقد لفت إليها نظر قرين وأقرانه بما فيها من ازدحام الحوادث المتنوعة بشكل لم يعهد من قبل ، وكذلك « تيطس اندرونيكس » التي يعتقدون أن شكسبير لم ينفرد بتأليفها وانما قام بمراجعتها وتصحيحها . وهي مأساة رائعة اذا قيسَت بآسي مارلو وتوماس كد (١) « Kyd » التي كانت تعد من أعظم وأنفس ما شاهده ذلك العصر .

وبتأثير ليلي (٢) « John Lyly » طرق شكسبير باباً جديداً في فن الدراما هو الملهة « Comedy » المفعمة بالمحسنات اللفظية والكناية والاستعارة . وقد كان يجتهد هذا اللون من اساليب الكتابة الناشئون في الادب وهو أبرز ما يتمثل في « جهد الحب الضائع » .

هذه هي المسرحيات التي ألفها شكسبير قبل وفاة قرين فاسترعت انتباهه واجتذبت الى مؤلفها أنظار الادباء والناس جميعاً .

وبعد وفاة قرين بسنة يأفل نجم (مارلو) في سماء الادب ، ثم يقضي « كد » « KYD » نحبه سنة ١٥٩٥ ، ويعرض « لودج » عن الادب وينصرف الى ممارسة الطب ، ويفادر (ليلي) القصر ، وينغمس « بيل » في المذات وينقطع عن الانتاج الادبي ، ويتحول « ناش » الى أدب المهجو والقصة ، وهذا لا خطر منه ، حتى اذا ما حل عام ١٥٩٨

١ - (١٥٥٧ ؟ ١٥٩٥ ؟)

٢ - (١٥٥٤ ؟ - ١٦٠٦)

لم يكن في حلبة الادب المسرحي على الاخص من ينافس شكسبير او يجاربه .
وهكذا ترى كيف يتعاون القدر والعبقرية ويعملان يداً واحدة على ايصال
شكسبير الى تلك المرتبة الادبية والمادية والاجتماعية الممتازة !
ومن المحال أن تذكر لأديب ما في ذلك العصر مأساة او ملهاة كان لها ما
لادب شكسبير الدرامي من قيمة او وزن . فلا عجب ان ترى استاذاً جامعياً
كبيراً كفرنسيس ميرز (١) « FRANCIS MERES » يضع شكسبير في مصاف المسرحيين
العالميين الذين نبغوا في فني المأساة والملهاة .

فقد وضع سنة ١٥٩٨ كتاباً سماه «بالادس تيميا» « Palladis Tamia » استعرض
فيه الجهود الادبية منذ تشوسر « Chaucer » حتى عصر اليزابث ، وتناول بالدرس
والبحث ترجمة نحو مائة وخمسة وعشرين أديباً من أدباء الانجليز ، مقارناً بين كل
واحد منهم وبين من يشبهه من أدباء العصر الكلاسيكي القديم ، وأدباء الظليان
في عصر الرينسانس . وفي هذا الكتاب يشير الى شكسبير مطرباً شاعريته الفذة
كما نجلت له في فينس وأدونيس ، وفي لو كريس . ويرى ان شكسبير (العذب
والمعسول اللسان) ليس في هذا دون أوفيد (٢) « Ovid » الشاعر الروماني العظيم مؤلف
المتامورفوسيس (٣) اوبازتس (٤) « Plautus » شاعر الملهاة عند الرومان ، وسنيكا (٥)
« Seneca » الفيلسوف الروماني الذي برع في تأليف المأساة .

فيقول ميرز ان شكسبير لا يقل عنهم جميعاً في مسرحياته : - كوميدياً
الاخطاء ، وجهد الحب الضائع ، وجهد الحب الرابع (٦) ، وسيدا فيرونا ، وحلم

١ - (١٥٦٥ - ١٦٤٧)

٢ - [٣ ؛ ق . ٢٠ - ١٨ ؟ م]

٣ - (Metamorphoses) مكونة من كلمتين يونانيتين معناها : تبدل الاشياء

٤ - (٢٥٤ - ١٨٤ ق . م .)

٥ - (؟ - ٦٥ . م .)

٦ - « L. L. won » - قد تكون نفس المسرحية المعروفة باسم - خير ما ينتهي بالخير - « All's

Well That Ends Well »

ليدة في منتصف الصيف، وتاجر البندقية، وريشارد الثاني والثالث أيضاً، وهنري الرابع، والملك جون، وروميو وجوليت، وتيطس اندرونيكس، وكذلك في قصيدته فينس وأدونيس ولو كريس، وبعض الصونيتات الشائعة بين الحواسب من أصدقائه. ويذهب الى أبعد من هذا فيقول (لو ازادت عرائس الشعر The muses ان تختار لها اداة تنطق بها، لما اختارت غير عبارة شكسبير الجميلة الرشيقة.)
ولهذا القول ولتعداد هذه المسرحيات قيمة مزدوجة :-

الاولى : مجرد ذكرها وعزوها الى شكسبير دون غيره، وفي هذا رد على الذين يعزون تأليفها الى غيره، وفيه كذلك دلالة على انه ألفها قبل ان يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره.

والثانية : تألق نجم شكسبير في سماء الادب وازدهار شهرته الادبية في برهة وجيزة ازدهاراً لفت اليه الابصار.

ولم يقف الامر عند استفاق بعض الادباء، وقلقهم وجزعهم، أو ثناء البعض الآخر عليه، واعجابهم به. فقد وردت اشارات عدة في الادب المعاصر تشيد بذكر هذا الاديب ذي «اللسان المعسول» كما جاء على لسان ميرزاياً، «والعرق الذي يفيض شهداً»، «واخلق السمح والبال الرضي.»

ولقد كان له في نفس بن جونسون صديقه الاديب، وثاني الشعراء والمؤلفين المسرحيين بعده منزلة وطيدة راسخة الاثر، رغم انه كان يغمزه احياناً، ويأخذ عليه ما يبدو في أدبه من نقص في الثقافة والعلم.

فانك لا ريب ذاكر تلك القصيدة العصماء التي قد لا يعاود عليها شيء في الرثاء، وقد نظمها بعد وفاة شكسبير وصدر بها المجموعة الاولى من مسرحياته «First Folio». وفيها يؤين الشاعر ويطنب في مدحه، فيصفه «بأوزة آفون الحلوة»، وبأنه روح العصفور وفخر المسرح ومسرتة. ثم يضعه فوق تشوسر وسبنسر «Edmund Spenser» وبيمونت، بل يجعله وحده «تمثلاً فريداً لا ضريح له». ثم يذكر كيف أن نجم

شكسبير بذلك النور المتألق الساطع قد أخفى ضياء تلك الكواكب الزاهرة في
 سماء الادب ، أمثال مارلو ، وكد ، وليلي ، وغيرهم من فطاحل الادباء .
 وفي هذه القصيدة نفثة من هاتيك النفثات الفريدة الصادقة التي يلفظها احياناً
 القلب والعقل معاً فتقارب بقوتها وسحرها وروعها أخذ النبوات . « فهو يرى
 لبريطانيا أن تسر وتغتبط أذ انجبت هذا الابن العظيم الذي سوف تبايعه وتطيعه
 وتخلص له جميع المسارح في أوروبا ، وان شكسبير لم يكن لعصر واحد بل الزمان باكمله . »
 ولا أظنك بحاجة لشرح ما حققت الايام من هذه النبوة الرائعة ، فقد
 أصبح شكسبير منهلاً للادب عذياً ، ونبعاً لا يفيض ماؤه ، وأضحى نجمه يشع في
 سماء الادب اشعاعاً ، ويتلألأ بالنور الزاهر الدائم ، فيتهدي به الشعراء في المجتراء
 وفي معظم أقطار العالم أيضاً .

رجل الدنيا الطموح

ممن كان شكسبير يشق طريقه نحو الشهرة والمجد ، بعزم ونشاط ، ويكسب
 مع الايام ثراء واسعاً ، وجاهاً عريضاً ، كان والده يعاني آلام الفقر والحرمان الشديد
 حتى سنة ١٥٩٦ . اذ تمكن الشاعر في زيارة قام بها الى سترااتفورد خلال تلك السنة
 من الاخذ بيد والده ، فيدفع عنه ديونه المتراكمة ، ويعيد الى عائلته بعض منزلتها
 الاجتماعية الرفيعة . ولا ريب ان الف الجنيه التي وصله بها صديقه النبيل
 الايرل أوف ساوثمبتون كانت من اكبر العوامل التي مكنته من الاستقرار وجعلت
 له ذلك المكان الاجتماعي السامي في اعين الناس .

ثم اقدم في سنة ١٥٩٦ ايضاً على تحقيق احدي امانيه العزيزة ، اذ قدم والده لكلية
 هيرالد (Heralds' College) طلباً للحصول على رتبة شرف مع الخلعة الخاصة بها
 (Coat of Arms) ، باسطاً في طلبه هذا ما اسداه أجداده لغنوي السابع من جليل
 الخدمات ، مستنداً الى سمعة عائلته وصيتها الحسن ، ومتدرباً بانتمائه بواسطة امه
 الى اصل نبيل رفيع . ومع انه قدم هذا الطلب سنة ١٥٩٦ ، الا انه لم يحصل على

تلك الخلعة حتى سنة ١٥٩٩ مع رسالة لا تزال النسختان الاصليتان منها في مكتبة هيرالد الى هذا اليوم ، واحداً مما مؤرخة في ٢٠ اوكتوبر ١٥٩٦ ، والكلية مارالت تحتفظ أيضاً بالنسخة الثالثة المؤرخة في سنة ١٥٩٩ ، التي تثبت نص الانعام بتلك الرتبة الرفيعة على شكسبير وتحويله حق ارتداء الخلعة الخاصة بها .

ومن المرجح أن الشاعر كان يتقاضى مرتباً عالياً من الفرقة التي كان يعد لها المسرحيات ، ومهما بلغ مقدار هذا المرتب فمن البديهي أنه كان يفوق نصيب غيره من الكتاب المسرحيين . وفضلاً على ذلك ، فإنه كان يجني نحو عشر الارباح من حصته في مسرح الكرة ، والسبع من مسرح البلا كفرير ، ذلك بالإضافة الى هبات القصر وعطاياها الجزيلة حين يعرض فيه المسرحيات من حين الى آخر . وقد سلف الذكر بأنه نال وحظوة ومكانة رفيعة في عين الملك جيمس ، وان فرقة التي اصبحت تعرف بفرقة الملك مثلت عام ١٦١١ في القصر نحو خمس عشرة مسرحية جنى منها الشاعر نحو ١٥٠ جنيهاً .

ولقد كان حظ فرقة الشاعر من عطايا القصر وهباته يفوق حظ غيرها كثيراً ويقدر ان دخل شكسبير السنوي من التمثيل وحده ولا سيما بين عامي ١٥٩٩ و ١٦١١ بنحو مائة وثمانين جنيهاً ، هذا عدا مادره عليه بيع مسرحياته التي الفها في الخمسة عشر عاماً الاخيرة من حياته من الاموال البالغ مقدارها نحو اربعمائة جنية .

ويعتقد السرسدني لي « Sir Sidney Lee » أن دخل شكسبير السنوي في الحقبة الاخيرة من حياته كان يربو على السبعائة جنية ، بينما يرى غيره أنه لم يكن ليقل عن الف جنية في أغلب السنين .

فلاغرو ان يقوم شكسبير بعد أن اصاب هذا التقدم والنجاح بكل عمل جليل يسعه القيام به لكي يعيد الى عائلته غابر منزلتها الاجتماعية الراقية . ففي ٤ مايس

سنة ١٥٩٧ ابتاع بستين جنيهاً بيته المعروف بالمكان الجديد « The New Place » وهو ثاني البنيات الضخمة في ستراتفورد . وقد كان له حديقة غناء اعتنى بها الشاعر ، وقيل انه بيده غرس فيها شجرة توت سنة ١٦٠٩ وتعهدها برعايته وأولاهها عناية خاصة حتى نمت وازهرت ، وظلت نامية حتى سنة ١٧٥٨ ، ولما قطعت احتفظ الناس

بأنار منها كانوا يقدسونها ويجلونها لأنها من بقايا الشاعر العظيم :

ثم اشترى في ١ مايس سنة ١٦٠٢ من جون ووليم كومب « Combe » أرضاً تبلغ مساحتها مائة وسبعة فدادين بثلاثمائة وعشرين جنيهاً . وقام بسلسلة من أعمال الشراء اعقار كثير ، لكنه وقع في سنة ١٦٠٥ في مشاكل عويصة معقدة بسبب مبلغ أربعمائة وأربعين جنيهاً دفعه لرافل هيوباند (Ralph Huband) مقابل حصته من ضرائب الاغشار « Tithe » المفروضة على اراض له في سترااتفورد . وقد عثروا على سجل فيه عقد بيع لبيت في لندن يخص هنري ووكر « Henry walker » بعد نحو ستائة قدم عن مسرح البلاكفراير ، اشتراه شكسبير في ١٠ آذار سنة ١٦١٣ بثائة وأربعين جنيهاً .

ويقدر السرسديني لي ان شكسبير انفق بين عامي ١٥٩٩ و ١٦١٣ زهاء التسعمائة والسبعين جنيهاً في شراء بيوت وعقار كثير في سترااتفورد على الاخص . الا ان هذا الثراء العظيم ، وما سبب جمعه لشكسبير من مشاكل ومتاعب عديدة لا ريب ساقه للحاكم مرات عديدة ، وخصوصاً خلال السنوات ١٦٠٠ و ١٦٠٤ و ١٦٠٨ و ١٦٠٩ . وما يزال في سترااتفورد الى اليوم رسائل لرجالات كبيرة في ذلك العصر ، فيها اشارات تدل على شهرة شكسبير ونفوذه الواسع ، واستعداده الدائم لاعانة اصحابه وأهل بلده حين تعرض لهم حالات من الشدة والضنك والضييق الشديد .

وتستطيع ان تقدر عظم تلك الثروة التي بسببها كسب هذا النفوذ الباهر وأصاب ذلك النجاح البعيد حين تعلم أنها كانت تبلغ من خمسة الى ثمانية أمثال قيمتها الآن . ولا يغرب عن البال انه بالرغم من انصرافه للادب وانطلاقه بمثل تلك الروعة في عالم الخيال والوحي والألهام ، الا ان الباعث الاولي لذلك كما أرى هو اجتناء الرغيف ... لا اكثر ! لعله بعد ان يحصل عليه حصولاً كافياً يعود الى سترااتفورد للترفيه عن والده وزوجه واولاده الذين كانوا يعانون ضيقاً وبؤساً وحرماناً شديداً .

بيد ان هذا السعي الحثيث لالتماس الرزق اولاً ، والخروج منه بثروة مادية وأدبية معاً لدلالة على نجاح شكسبير في الجمع بين الناحيتين المادية والمعنوية . وهو سبيل لا متعدى عنه لكل من نشد السعادة والهناء . فالجمع والتوفيق بين النظري والعملي لمن مظاهر الشخصية النافذة الكاملة . وشكسبير لا شك من هذا الطراز . فإنه رغم ما كان يرتع فيه من بلهنية وينعم به من رخاء وعيش رغيد خلف وراءه ثروة تربو على الثلاثمائة والخمسين جنبها كما هو واضح من وصيته ، وكذلك أنانياً وعقاراً ، وترك أيضاً على غير نية منه او قصد اسماً مدوياً قد انتشر في الآفاق ، وتراناً ادبياً خالداً يسير فوق حقب الزمان .

أحداث مؤثرة

الاوله وقد نمت عائلة شكسبير وكبرت ، فمن المحقق أن تكون عرضة لاحداث مفرحة او محزنة تحل بها من حين الى آخر فتؤثر في نفس الشاعر تأثيراً بليغاً وتهيج أطرافه . والذي يجلب النظر ، ويستوقف الباحث في هذه الحقبة من حياته انما هو تلاحق الفواجع وتوالي النكبات التي نزلت بهذه العائلة ، متمثلة بفقدان بعض أبنائها في فترة واحدة قصيرة ، وهي التي في خلالها أسلم للخلود بعض مآسيه الرائعة .

ففي سنة ١٦٠١ دفن والده ، ثم في ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٧ يموت اخوه الاصغر أدمند « Edmund » الذي كان مثلاً . وفي ٩ سبتمبر ١٦٠٨ يفقد والدته بعد أن عمرت سبعين عاماً ونيقاً ، وتختطف يد المنون أخاه ريتشارد « Richard » في ٤ فبراير ١٦١٣ ، ويتوفى جلبرت « Gilbert » ابن أخيه جلبرت في ٣ فبراير سنة ١٦١٢ .

وفي ٥ يونيو عام ١٦٠٧ تزوجت ابنته سوسانا « Susanna » طبيباً في ستراتفورد مشهوراً هو جون هول « John Hall » الذي كان يكبرها بنحو ثماني سنين ، وقد

رزقا ابنة سميها اليزابث . الا ان فتى من سترانفورد اسمه جون لين « Lane » اشاع عن سوسانا انها تنهج سبلاً منافية للأخلاق الشريفة ، مما دفعها الى رفع أمره لاكنيسة ، فكان جزاء الفتى الحرمان الديني .

اما ابنته جودث « Judith » فقد تزوجت في ١٠ فبراير سنة ١٦١٦ أي قبيل وفاة والدها بنحو شهرين ونيف - توماس كويني « Quiney » ابن صديقه ريتشارد كويني ، وكان يصغرها بنحو اربع سنين . وقد جرى الاحتفال الديني بزواجهما خلال الصوم الاكبر ، وفي ذلك مخالفة صريحة لقانون الكنيسة ، مما حدا اسقف ورستور « Bishop of Worcester » الى حرمانها من الكنيسة .

اما أسد النكبات وقعاً على نفس الشاعر فقد حدثت في ١١ اوغسطس سنة ١٥٩٦ في الحين الذي كان فيه شكسبير يؤلف (تاجر النديفة) . فقد رزاه الدهر آتئذ بانه هامنت في الحادية عشرة والنصف من عمره . فهذه الفادحة العظيمة وما سبقها من فواجع أليمة ومن أوصاب وآتاع مقلقة مضنية ، لا شك قد أهدت خيال شكسبير وأدهفت حسه وصقلت نفسه وزادته شجناً على أشجانه . فاكتسب تفكيره ولا سيما أدبه المتأخر لوناً فلسفياً عميقاً .

وهل ثمت من ريب في أن هذه البلية التي أفقدته فلذة كبده كانت من اكبر الحوافز وأقوى البواعث التي هزت نفسه وأثرت في مزاجه وفي أدبه ، وسلكت به سبيل المأساة ، فألف تلك الروائع من المآسي الخالدة التي تعد المثل الاعلى للأدب الدرامي في العالم ؟

وأخيراً الى سترانفورد

لا نعلم على وجه التحقيق متى عاد شكسبير الى سترانفورد . وأغلب الظن أن نزوحه عنها لم يكن الى غير رجعة . اذ ثمت دلالة قاطعة على وجوده في لندن

بعد عام ١٦١١ ، حين رحل الى ستراتفورد نهائياً . من هذه الدلائل تعاونه مع
فلتشر في تأليف (القريبان النبيلان) (١) ، وكذلك (هنري الثامن) ،
والاخيرة لم تمثل قبل عام ١٦١٣ . ومنها ايضاً استمرار تعامله مع مسرح
البلاكفراير ، وابتياعه داراً له بالقرب من هذا المسرح في مارس عام ١٦١٣ ، كما
ذكرنا في مكان آخر . ويؤيد هذا تلك المخطوطات الثلاث التي عثر عليها العلامة
والاس (prof. c. w. wallace) في خريف عام ١٩٠٥ . في مكتب السجلات
العامه ، وهي مؤرخة في ٢٦ ابريل ، ١٥٥٠ ميس ، و ٢٢ ميس سنة ١٦١٥ ،
وتتعلق بقضية اقامها الشاعر على ماثياس بيكن (MATHIAS BACON) ، تختص
بأمله بالقرب من مسرح البلاكفراير . بيد ان المؤرخين لا يتفقون في مسألة
حصه في مسرحي الكره والبلاكفراير . فمنهم من يرجح انه قطع علاقته بهذين
المسرحين حال عودته الى ستراتفورد عام ١٦١١ ، ومنهم من يؤكد انه ظل محتفظاً
بها حتى وفاته .

من هذا يتبين بكل جلاء ، ان شكسبير لم ينقطع عن العاصمة البريطانية
انقطاعاً باتاً ، وانه كان يعود اليها من حين الى آخر حين تقتضيه الحاجة ، فيمكث
فيها كل مرة مدة تقارب الشهر احياناً .

وبالرغم من بعده عن الاوساط الاجتماعية والادبية الراقية في لندن ، فان
مسرحياته ظلت تلقى من النظارة في لندن حماساً واقبالاً . فقد جاء ان سبغاً منها
عرضت في وايت هول (WHITEHALL) ، بمناسبة زواج الاميرة اليزابث ابنة الملك
جيمس من احد الامراء في ٤ فبراير ١٦١٣ .

وقد فرغ الشاعر في الحقبة الاخيرة من حياته في ستراتفورد لمتابعة قضاياها
المتعددة ، وجمع ديونه من الناس . وقد اقتضاه ذلك ان يزور المحاكم كمدع او
مدعى عليه ، كما ظهر فيها شاهداً كذلك . فقد اكتشف العلامة والاس (٢) ،
الذي ورد ذكره سابقاً ، في مكتب السجلات العامة في لندن ، نص قضية مؤرخة

في ١١ مايس سنة ١٦١٢ ، كان فيها شكسبير شاهداً . وهي تتعلق بطالبة ستيفن بيلوت « STEPHEN BELLOT » السيد كريستوفر ماونتجوي « MOUNTJOY » ، والد زوجة بما وعد به ابنته من حصة في التركة ومن صداق . ومن المعارف ان شكسبير كان يقطن بيت ماونتجوي هذا من ١٦٠٢ الى ١٦٠٤ ، وان الشاعر ساعد في تحقيق هذه المصاهرة ، كما نعلم ايضاً ان ماونتجوي كان يمارس صناعة الشعر المستعار ، وان بيلوت كان مستخدماً عنده من سنة ١٥٩٨ حتى سنة ١٦٠٤ ، وان الشاعر حين دعي لاداء الشهادة بناء على طلب بيلوت ، اجاب بعد حلف اليمين انه لا يذكر ان ماونتجوي وعد شيئاً من ذلك .

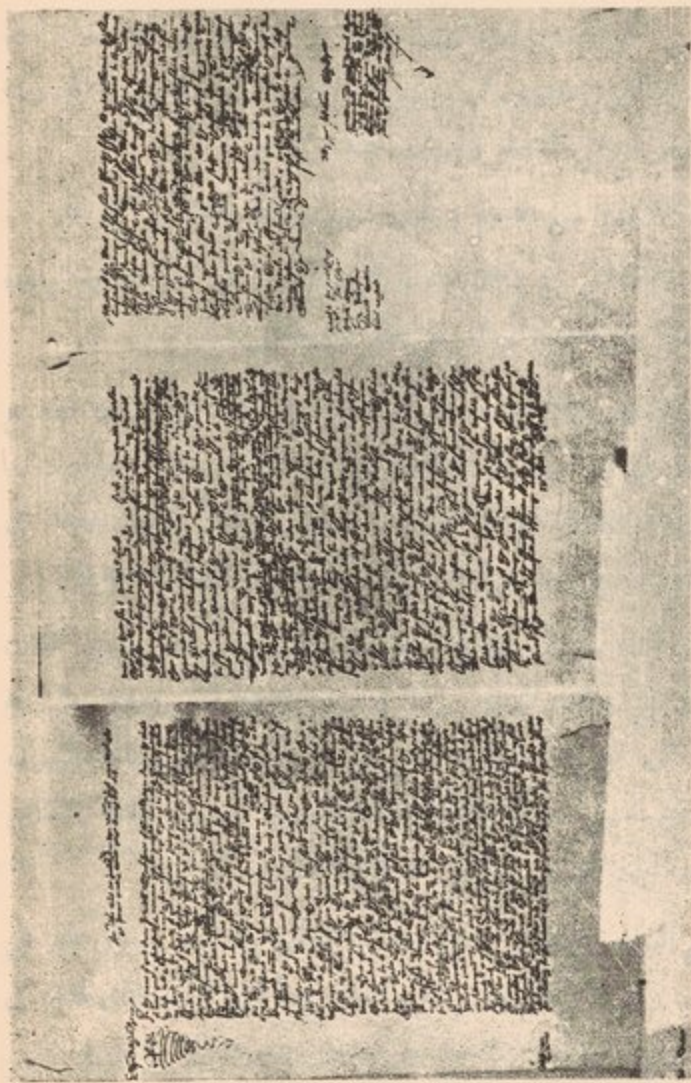
وقد ذكر المؤرخ جون اوبري ان شكسبير قضى الخمسة الاعوام الاخيرة من عمره في عزلة وانقطاع ، كما ذكر الكاتب المشهور نيكولاس رو « ان الشاعر انفق الشطر الاخير من حياته كما يتمنى العقلاء ان ينفقوها في هدوء وهناك واجتماع بالاصدقاء ! »

وهكذا يشاء الشاعر ان يعتزل هذه الحياة الصاخبة الحافلة بالاعمال الجليلة ، فيختار البلد الذي كان له فخر انبائه ليقضي فيه مساء حياته ، بين أبناء عشيرته واصدقائه .

وصيته

كانه يبدو على الشاعر بعض الوهن والعجز في جسمه وعقله معاً ، رغم تصريحه في مستهل وصيته انه يتمتع بصحة جيدة وبداكرة حادة قوية . مع هذا ، فقد سال شكسبير كاتب دعاوى اسمه فرنسيس كولنز « Francis Collins » ان يسجل له وصيته ، فلبى كولنز رغبته ، وخط النسخة الاولى ، وأعدّها للتوقيع في ٢٥ يناير ١٦١٦ . بيد ان هذه النسخة لبثت معلقة بدون توقيع شكسبير حتى ٢٥ مارس ، ذلك لان الشاعر حزن كثيراً لحرمان الكنيسة ابنته جودث « Judith » وزوجها كويني « THOMAS QUINEY » كما ذكرنا سابقاً ، ثم عاد كولنز

مقدّم، فنسب النثر إلى اقتداره في ٢٥ مارس على لسان شيخ، توفىها
شاعر جديدا



وصية شكسبير

(SHAKESPEARE'S WILL)

(انظر صفحة ٢٧)

بعد هدوء نفس الشاعر الى اعداد الوصية في ٢٥ مارس على ثلاث نسخ ، فوقها الشاعر جميعها .

وكان فرنسيس كولنز ، بوصفه كاتب البلدة ، شاهداً في الوصية ، اسمه يعاو اسماء اربعة شهود آخرين ، منهم يوليوس شو « JULIUS SHAW » قاضي ستراتفورد ، وكذلك هامنت سادلر صديق الشاعر وعراب ابنه ، كما تذكر .

وتألف وصية شكسبير من مقدمة وعشرة بنود وخاتمة تتلخص كما يأتي :-

المقدمة : يصرح الشاعر انه يكتب هذه الوصية وهو في تمام الصحة البدنية والذهنية ، ويطلب الرحمة من الله لروحه .

البند الاول : يوصي الشاعر بمئة وخمسين جنيهاً لابنته جودث ، مئة منها تدفع لها حصة عن زواجها ، وذلك بعد وفاة الشاعر بسنة واحدة . اما الخمسون الباقية فتدفع لها بعد ان تسلم البيت الذي تقطنه في ستراتفورد مع جميع توابعه لابنته سوسانا وورثتها من بعدها .

البند الثاني : تسلم ابنته جودث مئة وخمسين جنيهاً اخرى بعد مرور ثلاث سنوات على وفاة والدها . واذا توفيت بدون عقب تدفع مئة منها الى اليزابث هول ، ابنة سوسانا بنت الشاعر . اما الخمسون الباقية فتستثمر ، وتمنح فائدتها لحنة « JOAN HART » شقيقة الشاعر ويقسم المبلغ على ورثتها من بعدها بالتساوي .

البند الثالث : يوصي الشاعر بعشرين جنيهاً ولباسه لاخته حنة بعد مرور عام على وفاته . ويجوز لها كذلك حق الاستمرار بسكنى البيت الذي تقطنه في ستراتفورد شريطة ان تدفع اجرة سنوية قدرها اثنا عشر بنساً .

البند الرابع . يوصي الشاعر بخمسة جنيهات لكل من أبناء شقيقته حنه ، تدفع لهم بعد مرور عام على وفاته .

البند الخامس : يوصي لحفيدته اليزابث هول بجميع آنية بيته ، « ماعدا الطاس الفضي

المذهب العريض

البند السادس : يتوك الشاعر ١٠ جنهات لفقراء بلده ، ويوصي لتوماس كومب « COMBE » بسيفه ، ولتوماس رسل « RUSSEL » بخمسة جنهات ، ولفرنسيس كولنز الذي خط هذه الوصية بثلاثة عشر جنهياً وستة شلنات وثمانية بنسات ، وذلك بعد عام من وفاته .

البند السابع : يوصي الشاعر بستة وعشرين شلناً وثمانية بنسات لكل واحد من ثمانية من اصدقائه ليلبتاع بهذا المبلغ خاتماً . من هؤلاء هامت سادلر جار الشاعر القديم وعراب ابنه هامت ، وكذلك زملاؤه في التمثيل: ريتشارد بربج وجون مهنقر وهنري كوندل . والاخيران هما اللذان قاما بنشر المجموعة الاولى من مسرحيات شكسبير سنة ١٦١٣ ، كما علمت .

البند الثامن : ولكي تقوم ابنته سوسانا بتنفيذ جميع ما جاء في هذه الوصية ، فانه يوصي لها بيته في سترااتفورد المعروف بالمكان الجديد « The New Place » مع جميع توابعه من ارض وحدائق واصطبلات وخزائن في سترااتفورد او في القرى والداكر خارجها . وكذلك بيت السكن خاصته مع توابعه ، بالقرب من مسرح البلاكفراير في لندن . يوصي بهذا لها ولابنها البكر من بعدها حتى السابع من ابنائها الذكور الشرعيين ، واحداً عن آخر . وفي حالة انعدام هؤلاء ان يعود ذلك الى وريثة الشاعر .

البند التاسع : يوصي الشاعر لزوجته « بسريره الثاني في الحسن ، مع الاناث » .

« My second best bed with the furniture »

البند العاشر : يوصي شكسبير لابنته جودث بطاسه الفضي المذهب العريض . كما يوصي بجميع مقتنيات بيته من مرهونات وسلع وآنية ومجوهرات الى جون هول وزوجه سوسانا ابنة الشاعر ، وذلك بعد ان تسدد جميع الديون وتدفع نفقات الدفن .

الحائمة : يعين الشاعر السيدين توماس رسل وفرنسيس كوانز للاشراف على هذه الوصية . كما يعلن الغاءها لجميع ما سبقها من وصايا او وناثق .

ثم يختمها بقوله : واعترافاً بذلك ، فاني اوقع بيدي حسب التاريخ باليوم والسنة ، المذكور أعلاه .

مني « BY ME »

« ولیم شكسبير »

ولا حاجة للقول ان من ينعم النظر في هذه الوصية يستنتج ان الشاعر غادر الحياة ثرياً ، وانه كان دقيقاً حاذقاً في تصريف شؤونه العملية وأمور دنياه .

كما نلاحظ انه كان مجحفاً كل الاجحاف بحق زوجه ، اذ لم يورثها عدا سريره شيئاً . وربما كان سبب ذلك بلوغها أرذل العمر حين املائه الوصية ، واعتقاده الجازم بعجزها عن الاشراف على امواله وعقاره . فلا غرو ان يوصي بمعظم تركته - ولا سيما بيته المعروف بالمكان الجديد - لابنته سوسانا ، اذ كان لها بعض ما لا يبيها من حدة الفهم والذكاء ودقة الحس وحصافة العقل .

بيد ان بعضهم يرى ان العادة كانت تقضي في ذلك العهد بان يذكر الرجل في وصيته ما يخص به زوجه من أثاث ، وان ذلك لم يكن يتعدى في غالب الاحوال الفراش او سرير النوم ، وهذا ما فعله شكسبير في وصيته .

وفاته

في يوم الثلاثاء الواقع في ٢٣ ابريل سنة ١٦١٦ أسدل الستار على هذا الدور الرابع الذي مثله شكسبير على مسرح الحياة . وكانت وفاته في بيته « المكارن الجديد » في ستراتفورد ، ودفن يوم الخميس في ٢٥ منه ، حياك المذبح داخل الكنيسة ، وذلك بسبب شهرته الواسعة ومنزلته الرفيعة في نفوس ابناء بلده ، ولانه كان يملك

حصّة في ضرائب الاعشار المفروضة على املاك الابوشية المؤجرة .

وقد كان خارج تلك الكنيسة « حجرة موتى » اعتاد الناس ان ينقلوا اليها عظام الموتى وبقاياهم المنبوشة من القبور المجاورة . ولا ريب ان شكسبير لم يفته ان يلاحظ بعينه الدققة النافذة حفاري القبور وهم يبعثون عظام الاموات ويعبثون بجثثهم فيخشى ان يحل به مثل ذلك . او انه توقع ان لا يحجم كهنة الكنيسة في المستقبل عن نقل رفاته من الكنيسة الى مكان آخر ، فرأى ان ينظم آيائاً بهذا المعنى ، واوصى ان تنقش على نصب ضريحه ، قال : -

يا صديقي الطيب ، من أجل يسوع
لا تنبش التربة المدفونة هنا !
وليبارك الله من يترك هذه الاحجار ،
ولتحل اللعنة بمن يحرك عظامي !

ويزعم الكاتب الاميركي العظيم واشنطن ارفنج (١٨٧٣ - ١٨٥٩) « WASHINGTON IRVING » ان هذه الكلمات القليلة حالت دون نقل رفاته شكسبير الى مقبرة العظماء في وستمنستر ابي « WESTMINISTER ABBEY » ، اذ طالما دار في خلد الحكومة والجمعيات المختصة بكل شيء عن شكسبير ان تفعل ذلك ، فتؤدي للشاعر واجب الاحترام والتقدير الخالص .

اما سبب وفاته الحقيقي فهو ، كما ذكر جون وورد « WARD » قسيس سترااتفورد في عهد شارل الثاني في مذكرته المشهورة ، ان الشاعرين بن جونسون ومخائيل درايتون « DRAYTON » زاراه في بيته « المسكان الجديد » ، فأقام على شرفهما حفلة انس زاهرة ، شرب في خلالها وافرط ، فأصابته على اثر ذلك حمى شديدة لم تفارقه حتى قضت عليه .

بل منهم من يدعي ان قطعاً من الخنازير المتجولة كان يلجأ الى مكان بالقرب من بيته فيترك اوساخاً متراكمة ، تنشر في الجو روائح كريهة واقذاراً ، ذلك مما حط من قوته وأضعف بنيته ، وعجل في وفاته في تلك السن الباكرة نوعاً ما .

والآراء متضاربة في المذهب الديني الذي كان يعتقه حين وفاته ، فالقسيس ريتشارد ديفز « Richard Davies » يزعم انه المذهب الكاثوليكي ، والسر سديني يؤكده انه المذهب الانجليكاني ، وغيرهما يرى انه كان ظهرياً « Puritan » وآخرون انه من ذوي المبدأ الحر .

والحقيقة ان المذاهب الدينية كانت في تبدل دائم ، في ذلك العصر . وعقيدة شكسبير الدينية - ككل شيء - عنه - غامضة غير معروفة بالتمام ، لهذا نرانا نقف منها موقف الحيرة والاستغراب والاستفهام ، وننظر ، كلما جاء ذكره ، نردد مع ماثيو ارنولد (١) قوله :-

« آخرون يجيبوننا حين نسأل ، اما انت فحر طليق ،

نسأل ونسأل ، فتبتسم وتظل صامتاً ، ايا المعرفة الشائخة ! »

ولم يبق من عائلة الشاعر بعد وفاته سوى زوجته وابنتاه وشقيقه جلبرت « Gilbert » الذي عاش طويلاً ، وكان مصدر الزعم بان شكسبير مثل دور آدم « Adam » من مسرحيته « كما تشاء » يوم كان يعنى بالتمثيل .

اما زوجه آن « Anne » فقد توفيت في « المكان الجديد » في ٦ اوغسطس سنة ١٦٢٣ عن سبعة وستين عاماً ، وذلك قبل نشر المجموعة الاولى من مسرحيات شكسبير بثلاثة اشهر تقريباً ، ودفنت الى جانبها في ٩ اوغسطس .

اما ابنته سوسانا فقد قضت نحبها في ١١ يوليو سنة ١٦٤٩ عن ستة وستين عاماً مخلقة اليزابث التي تزوجت توماس ناش ، ثم تزوجت بعد وفاته بستين جون برنارد الذي كان ارملاً ، فصارت تعرف باللادي برنارد « Lady Bernard » وتوفيت في ١٧ فبراير ١٦٧٠ بلا عقب . اما ابنته الصغرى جودث « Judith » قرينة توماس كويني « Thomas Quiney » فقد لاقت حتفها في ٩ فبراير ١٦٦٢ بعد ان فقدت في حياتها ثلاثة ابناء . وبهذا تكون اليزابث او اللادي برنارد آخر فرد من نسل الشاعر .

المجموعة الاولى من مسرحياته (THE FIRST FOLIO)

بعد وفاة شكسبير بنحو سبعة اعوام جرت اول محاولة لجمع مسرحياته ونشرها في كتاب واحد . ولم يكن مطبوعاً منها قبل وفاة الشاعر سوى ست عشرة مسرحية ، ظهرت في طبعات منفردة ، كل واحدة تحوي مسرحيتين او ثلاث ، وتعرف بالربع « QUARTO » . وقد حوت هذه المجموعة عشرين مسرحية جديدة ، فعال ذلك دون تعرضها لخطر التلف او الفقدان . وهكذا تتناول الايدي لاول مرة منذ تأليف هذه المسرحيات مجموعة جديدة لست وثلاثين مسرحية ، اذ لم تكن بينها مسرحية « بركليس » ، رغم انها نشرت من قبل .

والعالم مدين يجمع هذه المسرحيات للسيد جون همنقر « HEMING OR HEMINGES » وهنري كوندل « CONDELL » ، فقد قاما بذلك في ٨ نوفمبر سنة ١٦٢٣ واطلقا على هذه المجموعة اسم « THE FIRST FOLIO » وهمنقر وكوندل هما صديقا الشاعر وزميلاه في التمثيل ، كما تذكر . وكان قد اوصى لها ببعض المال لابتياح خواتم للذكري ، كإجراء في وصيته .

وهذه المجموعة مصدرها مقدمة لهذين الشاعرين تتألف من قسمين ، يخاطبان في الاول منها اثنين من النبلاء هما الايرل اول بيمبروك « EARL OF PEMROKE » والاييرل اوف مونتجومري « EARL OF MONTGOMERY » ، وفي القسم الثاني يخاطبان عامة القراء . ويلى هذه المقدمة قصيدة بن جونسون الشهيرة التي بها رثى صديقه شكسبير ، وقد اشرنا اليها في ختام حديثنا عن الشاعر والمعاصرين . وبعدها تجيء ثلاث قصائد ، الاولى مديلة باسم هيو هولاند « HUGH HOLLAND » ، والثانية للشاعر ل . دقز « L. Digges » ، اما ناظم الثالثة فلم يشأ ان يذكر الا الحرفين الاولين من اسمه ، وهما « I.M. » . ثم تجيء قائمة فريدة باسماء الممثلين الرئيسيين الذين قاموا بتمثيل هذه المسرحيات ، وفي طليعتها اسم شكسبير . وأخيراً تظهر قائمة

باسماء جميع المسرحيات التي تحويها هذه المجموعة ، وفيها اربع عشرة ملهاة ، واثنتا عشرة مأساة ، وعشر مسرحيات تاريخية .

وتنفرد هذه المجموعة ، بما ذلك ، بصورة للشاعر يعتمد المؤرخون عليها نوعاً ما في تحليل مظهر الشاعر وتعيين شكله ، وسيجيء ذكر ذلك حين البحث في رسومه .

والمجموعة الاولى مجلد ضخيم يقع أصلاً في ٩٠٨ صفحات يبلغ مقياس اكبرها [١٣^٣/_٨ في ٨^١/_٣] قراريط . وتتكون الكتابة على كل صفحة من عامودين ، يتألف الواحد منها من ستة وستين سطرأ . وقد قام بطبعها اوليم جاجرد « William Jaggard » وزميل آخر له ، ويتراوح عدد النسخ التي اخرجها من الطبعة الاولى بين الخمسةائة والستائة . ولا حاجة للقول ان الطبعة الاولى من هذه المجموعة كانت مليئة بالاطخاء الاملائية والخطية الكثيرة . وقد يعود سبب ذلك الى غموض او سوء خط الشاعر في المخطوطات الاصلية ، والى الاغلاط المطبعية التي وقعت سهواً ، او الناجمة عن عدم وجود قاعدة هجاء او تنقيط في الكتابة . كما ان بعض الغموض والتشويش اللذين يعتبران بعض الاسطر ناشيء عن تعدد الايدي التي اشتركت في تأليف بعض هذه المسرحيات ، او خطها واعدادها للمسرح ، وكذلك عن تنوع المطابع ودور النشر التي كانت تقوم بنشر هذه المسرحيات وتصحيح مسوداتها دون علم الشاعر او اشرافه .

ولا يغربن عن البال كذلك ان اكثر هذه المسرحيات لم يكن مقسماً الى مشاهد وفصول ، كما ان ثمانى منها فقط حوت قوائم باشخاص المسرحية ، وكانت عدا ذلك خاوا من الارشادات المختصة بالتمثيل من دخول الى المسرح او خروج منه ، او حركات الممثلين وسكناتهم . كل ذلك خلق مشكلة لطلاب شكسبير ، وموضوع دراسة خطير ، ما يزال يشغل المؤرخين وسيظل يشغلهم على الدوام .

اما اول محاولة لنشر هذه المسرحية بعد عناية دقيقة وتمحيص تام ، وعلى نهج

علمي حديث فقد قام بها الاديب المشهور « نيكولاس رو » « Nicholas Rowe »
 شاعر الملك على عهد « جورج الاول » . فقد نشر سنة ١٧٠٩ طبعة مؤلفة من ستة
 اجزاء ضمنها اول ترجمة حياة محترمة لشكسبير ، وزودها بالملاحظات التي تسهل
 على القاريء فهم هذه المسرحيات . ومن الواضح ان « رو » أصلح الكثير من
 الاسطر المشوشة ، كما قام بكل دقة وعناية بتقسيم هذه المسرحيات الى مشاهد
 وفصول ، واسبع على هجاء الكلمات والتنقيط طابعاً حديثاً ، وضمنها كذلك
 ارشادات مسرحية تساعد الممثلين على المسرح .
 لهذا كله يعتبر مؤرخو الادب نيكولاس رو من أعظم الكتاب الذين أدوا
 خدمة خالدة لموضوع شكسبير .

وقد تلت هذه الطبعة طبعات اخرى أهمها التي قام بها سنة ١٧٢٥
 الكسندر بوب « Pope » ، زعيم الادب الكلاسيكي في انجلترا ومترجم الالباذة .
 وجاء بعده ادباء آخرون ، تناولوا هذه المسرحيات واخرجوها كما شاء لهم ففهم
 ان يفعلوا ، فزادوا وأنقصوا وعدلوا وشرحوا ، فانفقوا في بعض الاشياء واختلفوا
 في اكثرها ، وزادوا بذلك موضوع دراسة مسرحيات شكسبير أصعوبة وتعقيداً .
 من اشهر هؤلاء ثيوبولاد « L. Theobald » سنة ١٧٤٤ ، ووربارتن « W. warburton »
 سنة ١٧٤٧ ، والدكتور جونسون ، دكتاتور الادب الانجليزي ومؤلف اول قاموس
 في اللغة الانجليزية ، سنة ١٧٦٥ . وتلا ذلك عشرات الطبعات في انكرا واوروبا
 والعالم الانجوسكسوني ما وراء البحار .

خط

لم يترك الشاعر اوراقاً تحمل نماذج من خطه خلا ستة تواريخ الأول منها في
 القضية المتعلقة بزواج ماري ابنة ماونتجوي « Mountjoy » ببيلوت « Bellot » ،
 وكان الشاعر فيها شاهداً ، كما ذكرنا في حينه . والتوقيع الثاني في قضية شراء
 بيته الواقع بالقرب من مسرح البلا كراير في لندن سنة ١٦١٣ . اما الثالث ففي

Five genuine Autographs of Shakespeare.

N^o. 1.

W^m Shakspeare

2

William
Shakspeare

3

William
Shakspeare

4

William Shakspeare

5

W^m Shakspeare

N^o. 1. is from Shakespeare's Mortgage 1612-13.

2. is from Mr. Malones plate H. N^o. 8.

3. is from the first brief of Shakespeare's Will.

4. is from the second brief of the Will.

5. is from the third brief of the Will.

H. Malles copy.

نماذج من خط شكسبير

اشكال مختلفة جرى عليها في هجاء توقيعها (انظر صفحة ٤٥)

القضية المختصة برهن ذلك البيت نفسه في اليوم التالي لشرائه . اما التواقيع الثلاثة الباقية فقد ظهرت في الثلاث نسخ من وصيته ، كما سبق توقيعه على النسخة الثالثة قول الشاعر بخط يده : « مني » (١) أي « وقعته بيدي » .

وجميع هذه التواقيع غامضة ، من الصعب على القاري تمييز حروفها التي هي نماذج من الاسلوب الانجليزي القديم في الكتابة ، الشبيهة بعض الشيء بما يستعمل الان في المانيا .

ولم يجر الشاعر في هجاء اسمه على قاعدة واحدة ، بل كتبه بأربعة اشكال مختلفة ، بينما ظهر توقيع والده ، الوارد نحو ست وستين مرة في سجلات ستراتفورد ، في ستة عشر شكلاً مختلفاً . بيد ان المؤرخين يكادون يجمعون على ان التوقيع الذي استعمله الشاعر في اكثر المناسبات هو هذا : « Shakespeare » . ونشاهد هذا الشكل محفوراً على ضرائح زوجته ، وابنته سوسانا وزوجها في كنيسة ستراتفورد . كما نشاهده في الطبعتين الاصليتين لقصيدته (فينس وأدونيس) (ولو كريس) اللتين نظمها وأهداهما سنة ١٥٩٣ و ١٥٩٤ للنيل الايرل أوف ساوثمبتون . وهذا الشكل ظاهر ايضاً على غلاف الكتاب الذي حوى (العونيات) ، وكذلك على غلف اثنتين وعشرين طبعة من مسرحياته حين كانت تشر منفصلة (QUARTO) . وظل هذا الشكل متداولاً في اغلب مانشتر عن الشاعر في القرن السابع عشر والقرون التي تلته .

ولا يعني ذلك ان المؤرخين يكتفون بهذه التواقيع الستة كالتماذج الوحيدة التي تركها الشاعر من خطه ، بل منهم من يضيف اليها عدداً كبيراً . واخشى ان تتطور مسألة دراسة خطه فتكون موضوع بحث وتحقيق قد يظل يشغل الناس ، كما يشغلهم اي شيء آخر خلفه الشاعر وراءه حين رحل عن هذه الدنيا ، فأراح نفسه ولم يرح الناس

رسم الشاعر

صعـب التحقق من مظهر شكسبير او تعيين هيئته وملامحه ، رغم ادعاء أوبري (AUBREY) انه كان وسيم الخلقـة ، وجميل الصورة والمظهر .

وليس اينا في الواقع سوى مصدرين اثنين يمكننا الاعتماد عليهما في التأكد من مظهره الصحيح ، ألا وهما الرسم الذي ظهر له في المجموعة الاولى لمسرحياته سنة ١٦٢٣ ، ونشاله النصفي ، المنسوب فوق ضريحه في كنيسة ستراتفورد . وكلاهما محاولة لابراز مظهر الشاعر وهيئته ، من يد ليست على الفن من شيء .

أما التمثال النصفي فهو أقدم المرجعين ، وقد صنعه النحات جاريتـجو نسون (GARRET JOHNSON) الاصغر ، وشقيقه نيكولاس صانع الانصاب ، وهما من اصل هولاندي ؛ ومن المحتمل انها عرفا شكسبير شخصياً ، وانطبع شيء من صورته في مخيلتها ، بيد انها اعتمدا في الغالب على اوصاف اصدقائهم .

والتمثال ليس بالنتاج الفني الدقيق ، كما ذكرنا . فالجبهة الصليعة المستديرة ، والوجه العريض الطويل ، والذقن المنتفخة ، والشفة العليا الطويلة ، والحدان المستلثان ، والشعر الكثيف الغامر أذنيه ، كل ذلك مجتمعاً لا يكسب الحلقة مظهراً حياً ، او يوحي بشيء عن مقدرته العقلية الحارفة . وقد كانت هذا التمثال ملوناً في الاصل ، بعينين ربما كانتا جوزيتي اللون ، وشعر نحاسي ؛ بيد ان هذه الصباغة بهتت وزالت مع مرور السنين ، ولم يبق منها ما يشفي غليل الباحث في تعيين اللون الاصيلي والملامح الصحيحة لشكسبير .

مع هذا فقد زار الكاتب الاميركي واشنطن ارفنج (WASHINGTON IRVING) ستراتفورد ، وشاهد هذا التمثال ، ويصرح انه تأثر بما بدا على الشاعر من علامـه المرح والهدوء ، وكذلك بالجبين الصلت العريض . وقال انه يستطيع ان يقرأ في التمثال دلائل نفس أنيسة ، وادعة ، منطلقة ، تميل الى الاختلاط بالناس

وانه يلمح فيه أمارات النبوغ الذي تجلى في هذا التراث الادبي الذي شغل العالم المتمدين ، وما يزال يشغله طول الحياة .

أما الرسم الذي ظهر للشاعر في المجموعة الاولى من مسرحياته فليس بالكامل . وهو مقتبس عن صورة محفورة لنحات من أصل بلجيكي اسمه دروشاوت (DROESHOUT) ، وكان عمره حين وفاة شكسبير نحو خمسة عشر عاماً ، ومن غير المرجح أنه عرفه شخصياً .

وبما لا ريب فيه انه أتم رسم الشاعر قبل ظهوره في المجموعة الاولى سنة ١٦٢٣ ، ولهذا فانه لا ينتمي الى طور البراعة والمقدرة والنضوج الفني في حياة هذا الشاب . فالوجه في هذا الرسم يبدو مستطيلاً ، والجهة عالية ؛ أما الأذن الظاهرة فبلا شكل . وواضح كذلك أنه صليح في مقدمة الرأس ، لكن الشعر ينسدل بغزارة فوق صدغه ، فيخفي احدى الاذنين وبعضاً من الثانية . ولا يبدو في هذه الصورة سوى شارب بسيط ، وشيء من شعر اللحية تحت الشفة السفلى . أما لباسه كما يمثل هذا الرسم فأشبه ما يكون بلباس الطبقة الارستقراطية في ذلك العصر . وهذا واضح من الياقة الصلبة العريضة التي تحفي العنق ، والجهة ذات الاررار المتقاربة ، والموشاة الكتفين .

وقد أوحى هذان الانتاجان الفنيان بقيام بعض الافراد بين حين وآخر ، وادعائهم انهم يملكون صوراً وتماثيل تبين مظهر الشاعر وهيئته الحقيقية أكثر من غيرها . واشهر هذه الرسوم التي لفتت اليها الابصار (صورة قصر ألي) (١) (وصورة الزهرة) (٢) ، (وصورة شاندوس) (٣) (والتمثال النصفي لنادي فارليك) (٤) وغيرها .

Ely Palace Portrait - ١

Flower portrait - ٢

Chandos « - ٣

Garrick Club Bust - ٤

وحسبنا هذا الاضطراب والتباين والاختلاف في تعيين مظهر شكسيير دليلا على جهل الناس لهيئته الحقيقية . وبهذا يضاف لغز جديد الى الالغاز الكثيرة عن موضوع « شكسيير » ، التي يسعى الكتاب والباحثون جاهدين - ربما عبثاً - الى التمكن من حلها .



الفصل الثاني

شكبير منذوفسك

لم يبلغ كتابة التراجم في عهد البريات ما وصلت اليه في عصره الحاضر من
الجمال وروعة الفن والافتان. ولكن كتب التراجم التي كتبت في عصره في التراجم
الطديفة. إذ يستطيع الباحث ان يتتبع تاريخها وادائها من مصادر أولية موثوقة
بعضها ودقتها التاريخية حين يقوم بوضع ترجمة أي عظماء العالم.

وهذا فليس غريباً ان تحري التراجم الموصوفة لشكبير في الصحيح والزائف
بما ذكره التاريخ، وتتأمله الرواة من المعلومات السيرة والأخبار النقطية،
والخلفاء المضطربة المشوشة. ومع وفرة ما كتب عنه وجمع، فإن ترجمته ما تزال
ناقصة، هزيلة، مفككة الأجزاء، معثرة الخلفات. بل إن

خلفات مفقودة الكثير من هذه الخلفات ما تزال مفقودة، باسم الباحثين جاعدين
بالدروس المحقق المتواصل.

ولم يفت شكبير الى كسر الألفاظ التي أظلمت آثارها المتأخرين
فشبهه الأديب والواع بنو له سبحانه وأدبه بما في يوم طرد متواصل الأيام. ومنذ
القرن السابع الميلادي إلى القرن التاسع عشر من حيث التاريخ على هذه
الشخصية المأثرة وبنوا يحسون أهم آراء السيرة الحقيقية الباعثة لعقبة الأمانة
الانجليزية، أقول منذ بدأ شكبير بحضاب اليه شعور الناس بالتصوير والأكثار،
والأديب والمؤرخون دائبون في أعداد ترجمة له، واقعة الأجزاء، بحسب حركة الأظرف،
حتى أصبح ما كتب عنه يفرق ما كتب عن أي عظيم آخر، وأخص لدى الباحث
في حياته ونتائج من التراث الأدبي والتاريخي والفني ما يلا مكتبة كبرى متكاملة (١).
ولقد حاولت في المقدمات السابقة ان أسرد لك سيرة شكبير بأسلوب أقرب

١ - يقول المرشدون ان عدد الكتب المتعلقات بشكبير في مكتبة (كروخ آند هالبرون)
في ستانفورد يبلغ عام ١٩٥٥ نحو عشرة آلاف

وحيثما هذا الإضطراب والتباين والاختلاف في تعيين مطهر شكبير . ولذا
على جبل الناس عليك الحقيقة . وهذا يضاف لقر جديد الى الاعان الكثيرة عن
موضوع شكبير . والتي نسر الكتاب والباحثون جامعين . وما عتاً الى
التكهن من حلها .

في كتاب المحقق

في كتاب المحقق



لم تبلغ كتابة التراجم في عهد اليزابث ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر من الجمال وروعة الفن والاتقان ، ولم تكن تتسم بالطابع العلمي الدقيق الذي نلمسه في التراجم الحديثة . اذ يستطيع الباحث في هذا العصر الرجوع الى مصادر أولية موثوق بصحتها ودقتها التاريخية حين يقوم بوضع ترجمة أي عظيم من عظماء العالم .

ولهذا فليس غريباً ان تحوي التراجم الموضوعية لشكسبير ، الصحيح والزائف مما ذكره التاريخ ، وتناقضه الرواة من المعلومات اليسيرة والاخبار المتقطعة ، والحقائق المضطربة المشوشة . ومع وفرة ما كتب عنه وجمع ، فان ترجمته ما تزال ناقصة ، هزيلة ، مفككة الاجزاء ، مبعثرة الحلقات . بل ان

ملفات مفقودة الكثير من هذه الحلقات ما يزال مفقوداً ، يسعى الباحثون جامعين آناه الليل واطراف النهار ، الى كشف القناع عنها ووصلها معاً ، بالدرس الجهد والتحقيق المتواصل .

ولم يلفت شكسبير اليه أنظار أهل زمانه ، بقدر ما لفت أنظار المتأخرين . فشهرته الادبية ، والولع بدراسة حياته وادبه هما في غومطر دمواصل مع الايام . ومنذ القرن السابع عشر ، ولا سيما النصف الاخير منه ، حين استفاق الناس على هذه الشخصية الهائلة وبدأوا يحسون انهم ازاء الثمرة الحقيقية البانعة لعبقية الامة الانجليزية ، اقول منذ بدأ شكسبير يجتذب اليه شعور الناس بالتقدير والاكبار ، والأدباء والمؤرخون دائبون في اعداد ترجمة له ، وافية الاجزاء ، ومحبوكة الاطراف ، حتى اصبح ما كتب عنه يفوق ما كتب عن اي عظيم آخر ، واضحى لدى الباحث في حياته ونتاجه من التراث الادبي والتاريخي والفني ما يملأ مكتبة كبيرة بكاملها (١) . ولقد حاولت في الصفحات السابقة ان اسرد لك سيرة شكسبير بأسلوب أقرب

١ = يقول السردني لي ان عدد الكتب المتعلقة بشكسبير في مكتبة (كوخ آن هاناوي) في ستراتفورد بلغ عام ١٩٢٥ نحو عشرة آلاف

الى القصة منه الى التحقيق العملي المجرد ، بجملاً في ذلك معظم
شخصية تاريخية الحقائق المثبوتة والمعروفة ، كما تداولها مؤرخو الادب في
 مختلف الازمان ، وكما أفادت السجلات الرسمية والروايات
 المتعددة عن ذلك العصر وما تلاه من عصور . وهذه الحقائق على كثرتها ، موزعة
 مبعثرة ، غير متسقة ، كما يبدو لك ، لا تشفي غليل الباحث او تعينه في مهمته
 الشاقة . لكنها مع ذلك لا تدع مجالاً للشك بأن شكسبير شخصية حقيقية تاريخية ،
 عاشت بالفعل ، ومثلت ذاك الدور المهم ، بل المشرف للجنس البشري بأجمعه .

* * *

اما الروايات المذكورة في المصادر الاولية فتسجل النواحي البارزة من حياة
 شكسبير ، وما تخللها من أحداث ظاهرة ، بيد انها لا تساعد على فهم نفسيته وميوله
 واخلاقه ، كما لا تتعرض للحقبة الطويلة التي قضاها بين خروجه من المدرسة
 وذهابه الى لندن .

غير ان هذا الفراغ الذي يستشعره الباحث في حياة شكسبير ليس الا الشطر
 الاكبر منه ادب جم واسع ، نشره الكتاب والباحثون الذين عنوا بهذا الموضوع
 منذ القرن السابع عشر .

وفي طليعة هؤلاء ، ومن يعتبر في رأي طلاب شكسبير ثقة ومرجعاً كبيراً ،
 الاديب توماس فلر (١) « Thomas Fuller » صاحب كتاب « فضلاء انكلترا » (٢)
 الذي ظهر بعد وفاة مؤلفه بعام واحد . وايضاً الاديب جون أوبري (٣) « John Aubrey »
 وقد ورد ذكره في هذا الفصل اكثر من مرة ، وهو مؤلف كتاب « تراجم
 مشاهير من الرجال » (٤) ، جمعه بين عامي ١٦٦٩ و ١٦٩٦ ، وصدرت منه

١ — ١٦٠٨ — ١٦٦١

٢ — « Worthies of England » ظهر عام ١٦٦٢

٣ — ١٦٢٦ = ١٦٩٧

٤ — « Lives of Eminent Men »

طبقات كثيرة ، أحدثها عام ١٩٣١ ، كما اعتقد .

أما قيمة كتاب (فلر) ففي البدء بتأليفه منذ سنة ١٦٤٣ ، حين كان ذكر الشاعر ما يزال يتردد على ألسنة المعارف والاقرباء والاصدقاء .. وفي هذا الكتاب يتناول (فلر) مزاج شكسبير وطبعه مما لا يتعرض له كاتب آخر . فيصفه بقوله « انه رغم ميله للظرف والمرح والدعابة ، فانه بمقدوره ان يكون رزيناً ، وقوراً ، اذا شاء ! » ويصف منافراته الادبية الكثيرة مع بن جونسون وصفاً طريفاً شائقاً ، فيشبهه بن جونسون بمركب اسباني ضخم ، بطيء الحركة ، غير قابل للكرواقر ، والمناورة والمداورة . اما شكسبير فيشبهه بمركب حرابي انجليزي ، خفيف الوزن ، سريع الحركة ، رشيقاً . فيقول « انه بسبب سرعة خاطره ، وحدة فطنته وذكاء فؤاده ، قادر على الجري مع كل مد وجزر ، واستغلال كل ريح تهب من أية ناحية لفائدته ! » ومع انه يشهد لشكسبير بالذكاء الفطري النادر ، الا انه يضع بن جونسون فوقه علماً ومعرفة .

اما كتاب (اوبري) فيمتاز بانفراده بأحداث ومزاعم لا نعلم مبلغها من الصحة والواقع . فقد اتصل هذا الاديب بوليم بيستن « BEESTON » ابن احد زملاء الشاعر في تمثيل مسرحية « كل رجل حسب مزاجه » لبن جونسون ، والذي عاش حتى عام ١٦٨٢ . وعن هذا الممثل العجوز ، الذي سماه درايدن « تاريخ المسرح » (١) ، وعن ممثل آخر هو صديق لوليم بيستن ، اسمه جون ليسي « Lucy » ومن مصادر متفرقة جمع (اوبري) مادته عن شكسبير ، وعن غيره من الشعراء الذين عاجلهم في مؤلفه القيم .

فهو يذكر ان شكسبير كان يحذق التمثيل ، ويجيد اللاتينية لانه كان في شبابه معلماً . ثم يصفه بوسامة الشكل ، وحسن الشارة ، وعذوبة الروح ، وسرعة الخاطر ، وكذلك ميله الفرزي للحياة الاجتماعية .

ويقول ابن شكسبير مارس القصابة ، وانه كان له في ستراتفورد رفيق ، هو ابن قصاب أيضاً ، لم يكن ليقبل عنه فظنة وذكاء ، لكنه توفي في ريعان الشباب . واوبري أول من قال ان شكسبير اكما قام بذبح عجل ، القى في اثناء ذلك خطاباً بليغ الاسلوب ، كما أكد الزعم القائل بان وليم بن جون ديفانتت صاحب « فندق التاج » في او كسفورد ، حيث كان الشاعر ينزل في اثناء ذهابه الى لندن او اياه منها ، هو بالحقيقة ابن شكسبير ! وقد اشرنا الى ذلك في مقال سابق (١) .

اما ونحن في مجال الحديث عن ديفانتت فلا بأس من سرد القصة التي أوردها المحامي جون ماننجهام (٢) « Manningham » عن سيدة هي في رأي بعض المؤرخين « جين » زوج جون ديفانتت ذات السحر والدلال ، التي كان يجسد شكسبير في لقاءها والتحدث اليها لذة واستمتاعاً .

فقد جاء في مذكرته بتاريخ ٣ مارس ١٦٠٢ ، وفي الحين الذي كان فيه ريتشارد بريج الممثل الشهير وزميل شكسبير يقوم بتمثيل دور « ريتشارد الثالث » ، انه كان بين النظارة سيدة فتنها تمثله ، بل في الواقع أحبته نفسه ، وقبل أن تبارح المكان أشارت عليه بزيارتها في بيتها تلك الليلة ، على ان يتخذ اسم « ريتشارد الثالث » أثناء الزيارة ! بيد ان شكسبير الذي لانفوته شرودة سمعها وهي تفضي اليه بذلك ، فسبغها وقضى وقتاً ممتعاً ! ثم حضر بريج في الوقت المعين ، وبعث اليها بمن ينبؤها بمقدم « ريتشارد الثالث ! .. » فرد شكسبير من الداخل « قل له ان وليم الفاتح ، قد جاء قبل ريتشارد الثالث ! »

* * *

١ - راجع صفحة ٢٠ من هذا الكتاب

٢ - انظر صفحة ٢١٢ : ج ٢ من كتاب « وليم شكسبير : دراسة حقائق

ومشاكل « للسر أدمند تشمبرز »



ريشارد بريج

(Richard Burbage)

أشهر من قام بتمثيل الأدوار الرئيسية من مآسي شكسبير في عصره
(انظر صفحة ٢٤)

١ - ١٦٢٩ - ١٦٨١

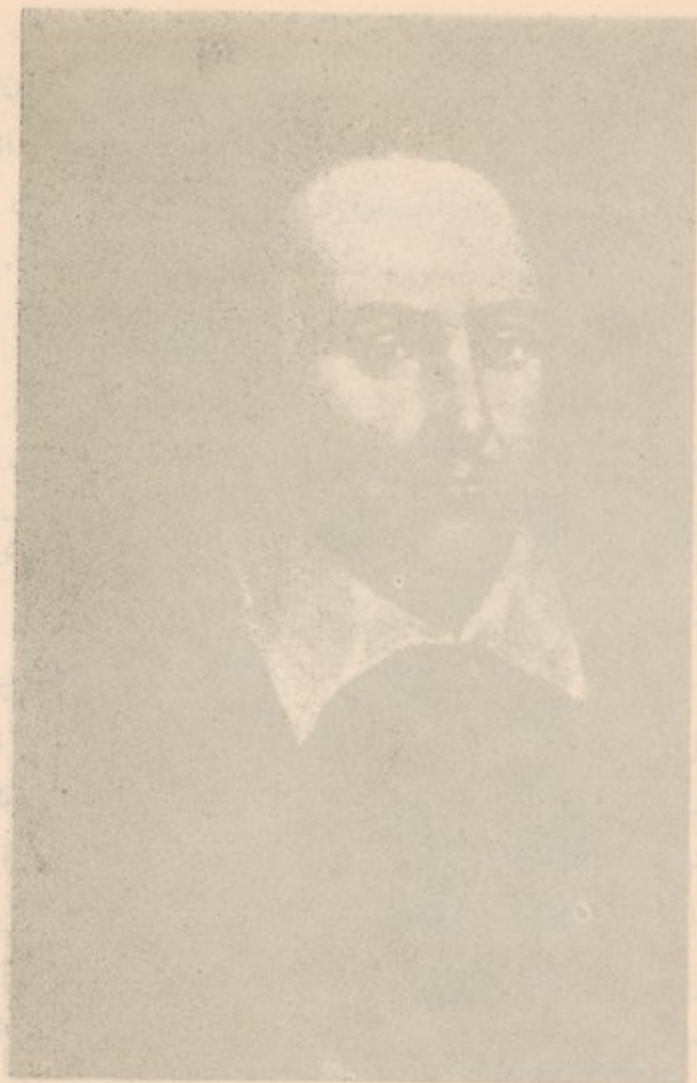
٢ - ١٦٣٢ - ١٦٩٥

٣ - راجع صفحة ٢٤

٤ - أشهر من قام بتمثيل الأدوار الرئيسية من مآسي شكسبير في عصره

٥ - راجع صفحة ٢٤ من هذا الكتاب

٦ - حوالي عام ١٦٩٤



دكتور ريتشارد بورجود

(Richard Burgo)

١ - رابع منحة (٢٠٠٠) في جامعة كورنيل
 ٢ - مدير مركز بحوث بيولوجيا الإنسان في جامعة كورنيل
 ٣ - أستاذ فخري في جامعة كورنيل (٢٠٠٠)
 ٤ - زميل في الجمعية الوطنية للعلوم والفنون (٢٠٠٠)
 ٥ - زميل في الجمعية الأمريكية لعلوم الحياة (٢٠٠٠)
 ٦ - زميل في الجمعية الأمريكية لعلوم الطب (٢٠٠٠)
 ٧ - زميل في الجمعية الأمريكية لعلوم الصحة (٢٠٠٠)
 ٨ - زميل في الجمعية الأمريكية لعلوم البيئة (٢٠٠٠)
 ٩ - زميل في الجمعية الأمريكية لعلوم الأرض (٢٠٠٠)
 ١٠ - زميل في الجمعية الأمريكية لعلوم الفضاء (٢٠٠٠)

وهناك مرجع آخر لا يثق فريق من النقاد ومؤرخي الادب كثيراً بالاخبار التي أتى بها ، بسبب الاسلوب غير العلمي الذي اتجهه في جمعها ، اعني به جون وورد (١) « John ward » كاهن سترانفورد من سنة ١٦٦٢ الى ١٦٦٨ .

فقد سجل هذا الكاهن بين عامي ١٦٦١ و ١٦٦٣ كل ما استطاع التقاطه من الاحاديث والروايات الشائعة على ألسنة أقارب شكسبير واصدقائه . ومنه نعلم انه كان للشاعر ابنتان ، وانه كان نادر الذكاء الطبيعي (وانما بغير فن !) وانه كان يهوى التمثيل شاباً ، لكنه انقطع عن ذلك حين آب الى سترانفورد في آخر حياته . وانه كان يقدم للمسرح كل عام مسرحيتين من تأليفه ، وان دخله كان من جراء ذلك عظيماً ، حتى بلغ ما كان ينفقه نحو الالف جنيه كل عام . ثم يذهب الى الاعتقاد بان موته نتج عن حمى لازمته منذ تلك الليلة التي شرب فيها مع صديقيه الشعارين بن جونسون وميخائيل درايتن في بيته «المكان الجديد» في سترانفورد .

وقد تردد ذكر شكسبير في احوال الكثيرين من كتاب القرن السابع عشر كأنطوني وود (٢) « Anthony Wood » ، مؤرخ بلدة او كسفورد ، ومفند الاشاعة عن علاقة شكسبير بجين ديفانت (٣) . وكذلك ريتشارد ديفز (٤) « Richard Davies » الذي زعم ان شكسبير توفي بابولياً (٥) كما شرح وليم هول « Hall » في رسالة بعث بها في أواخر القرن السابع عشر (٦) الى احد اساتذة او كسفورد بالسبب الذي حفز شكسبير الى نظم الابيات المنقوشة على ضريحه ، والتي من أجلها رأوا ان ينزلوا رفاته في حفرة يبلغ عمقها سبعة عشر قدماً ،

انطوني وود ،

ريتشارد ديفز ،

وليم هول

١ - ١٦٢٩ - ١٦٨١

٢ - ١٦٣٢ - ١٦٩٥

٣ - راجع صفحة ٢٠ من هذا الكتاب

٤ - ١٦٨٨ - ١٧٠٨

٥ - راجع صفحة ٤٢ من هذا الكتاب

٦ - حوالي عام ١٦٩٤

فيعولوا بذلك دون اخراجها ونقلها الى «حجرة الموتى» ، كما خشي شكسبير جهلاء الكهان والرهبان ان يفعلوا به بعد موته .

وهناك عشرات الكتاب والمؤرخين وحتى الشعراء الذين تصدوا لذكر شكسبير في كتاباتهم واشعارهم ، ووصفوا لمحات من اخلاقه وبعض مظاهر حياته . وقد احاط بها كلها تقريباً ، وجمعها العلامة الكبير السر ادمند تشمبرز (١) في سفره العظيم «وليم شكسبير : دراسة حقائق ومشاكل» (٢) ، ويستطيع من اراد للتفصيل أن يرجع اليه .

* * *

على هذه النبهات العابرة و، الاشارات المبعثرة، والاحاديث القصيرة الموزعة ، بنى كتاب القرن السابع عشر وما بعده من القرون دراساتهم لشكسبير ، واليه استندوا في وضع التراجم الطويلة له .

وفي طبعة هذه التراجم ، ومن اكثرها اتساقاً ودقة وتمحيصاً للحقائق ، تلك

الترجمة التي كتبها الاديب المعروف نيكولاس روي (٣) «Rowe» .

وقد ذكرنا انه كان شاعر الملك على عهد جورج الاول ، وانه قام بنشر مجموعة مسرحيات شكسبير عام ١٧٠٩ (٤) .

نيكولاس روي

فقد نشر مع هذه المجموعة ترجمة ممتازة لشكسبير ، تعتبر فتحاً أدبياً جديداً لما اشتهرت به من روح البحث العلمي الدقيق ، وكذلك نبزاً أهتدى به مؤرخو الادب في دراساتهم حياة شكسبير ، منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا .

١ - ولد عام ١٨٦٦

٢ - « william shakespeare : A Study of Facts and Problems »

٣ - ١٦٧٤ - ١٧١٨

٤ - راجع صفحة ٤٥ من هذا الكتاب

فرو يمرد حقائق راهنة ، مسندة الى مصادر شخصية أولية ، كالممثل الكبير
توماس بترتن (١) « Betterton » ، وهو قريب العهد من شكسبير ، ومن المتحمسين لدراسة
أدبه ، ومن مثلوا ادواراً رئيسية من مسرحياته . كما تكاد زوجه تكون أول ممثلة
معتبرة اعتلت خشبة المسرح في انكلترا منذ عام ١٦٦٠ حين اذنوا للنساء بالمسامة
في التمثيل . بل انها في الواقع اول امرأة قامت بتمثيل سلسلة من الادوار
النسائية الكبرى من مسرحيات شكسبير ، كالسيدة ماكبث وجولييت (٢) « Juliet »
وأوفيليا (٣) « Ophelia » . وقد استند بترتن في معلوماته عن الشاعر الى جوزيف
تيلر « Taylor » ، وجون لاون « Lown » .

وقد كان لرو مصدر آخر له قيمته ، هو السر وليم ديفاننت (٤) بن جون
ديفاننت صديق شكسبير ، كما تذكر . فالسر وليم هوسندرو في الرواية القائلة بان
أيرل اوف ساوثمبتن منح شكسبير في حين من الزمن الفجنيه « ليمكن من شراء
حاجة كان يطعم فيها ! »

ورو يستعرض أكثر الاحداث البارزة في حياة شكسبير ، كادخاله المدرسة ،
واخراجه منها لاعانة والده على الحياة القاسية . وكحادثة سرقة الغزال من
متنزه السر توماس ليسي « Thomas Lacy » مما اضطره للارتحال عن ستراتفورد بعد
ان هجا خصمه النبيل بقصيدة لاذعة ، من المظنون انها أول نتاجه الادبي (٥) .

وذكر رو ان شكسبير بلغ من التمثيل درجة عالية من البراعة ، ولا سيما في دور
الشبح « The Ghost » من مسرحية « هاملت » . وأطرى كذلك طلاقته الانشائية ،
وامتدح اخلاقه العذبة وحسن معشره . ووصف عطف الملكة اليزابث وحديثها

١ - ١٦٣٥ ؟ - ١٧١٠

٢ - في مسرحية « روميو وجوليت »

٣ - في مسرحية « هاملت »

٤ - ١٦٠٦ - ١٦٦٨

٥ - يقول رو ان هذه القصيدة مفقودة

النواحي الغامضة في حياة شكسبير .

ولا بد من الاشارة الى كتابين استعنت بهما في تحضير مواد هذا الفصل . اولهما « حياة وليم شكسبير » (١) للسردني لي (٢) ، وفيه ينحو الكاتب منحى علمياً حديثاً ، مجرداً من شطط العاطفة والخيال . وقد صدرت منه الطبعة الرابعة عشرة والاخيرة سنة ١٩٣١ ، وتعد من اهم المراجع الحديثة عن الشاعر ، رغم ان طابع مؤلفها التحفظ والتشكك - شأن اهل العلم - في بعض ما يورده من الحقائق والآراء .

اما الثاني ، وقد اشرنا اليه قبل قليل ، فهو كتاب « وليم شكسبير : دراسة حقائق ومشاكل » بقلم العلامة الكبير السرد أدمند تشمبرز **السرد أدمند تشمبرز** « Sir Edmund Chambers » . وهو من اثنى ما عثرت عليه من الكتب الحديثة عن سيرة الشاعر . ذلك لانه سجل واف لكثير من الوثائق المتعلقة بحياة شكسبير ، والاشارات الواردة عنه صمداً او عرضاً في كتابات المؤرخين والادباء منذ عصره حتى زمن متأخر . لهذا يكاد يجمع طلاب الادب الانجليزي على انه من اكفأ المراجع الحديثة عن حياة الشاعر . وأنه خلقت بكل أديب يعنيه أمر شكسبير ان يقتني هذا السفر القيم .

* * *

هذه نظرة عابرة ، بل محاولة يائسة لاستكشاف ينباع الاصلية التي منها استقى مؤرخو الادب معلوماتهم عن شكسبير جيلاً بعد جيلاً ، واستعراض المصادر الاولية التي اليها رجعوا ، وبها استعانوا في اعدادهم ترجمة لشكسبير ، شبه وافية ، ومتصلة الحلقات .

النقد الادبي

١ - « A Life of William Shakespeare »

ومن الواضح الجلي انني الى الان لم اتعرض لناحية النقد الادبي من هذا الموضوع الخطير بشيء قليل او كثير . لانه موضوع خاص ، مستقل بذاته ، وخارج عن نطاق بحثنا ، وهو وحده يحتاج كتاباً بل اكثر من كتاب . بيد ان ذلك لا يمنعني ، وقد سارفت نهاية هذا البحث ، من رسم الخطوط العريضة لهذه الناحية من الدراسة ، وذكر اسماء بعض النقاد البارزين بما اشغلهم ادب شكسبير منذ عصره حتى اليوم .

وانتماً للبحث وتبسيطاً له ، احب ان اعود بك القهقري الى عصر شكسبير ذاته ، مذكراً اياك باقرب الادباء منه عهداً ، واكثرهم به معرفة واتصالاً ، واشدهم بظهوره شعوراً . واول هؤلاء ، كما تذكر ، الشاعر روبرت قرين « ROBERT GREENE » وقد شرحت لك باسهاب موقفه من شكسبير (١) . ومنهم كذلك فرنسيس ميرز « MERES » الذي افاض بمدح الشاعر ، واظن في الثناء على فنه ، في كتابه « بالادس تيميا » (٢) . وكذلك صديقه الماكر بن جونسون الذي كان يمدحه تارة ، ثم مايلبث ان يغمزه تارة اخرى . فانه عدا القصيدة التي انشأها في رثاء شكسبير ، كتب مقالات متفاوتة الحجم ، تحت عناوين لاتينية ، كان يفيض بها خاطره في اثناء مطالعته ، وقد نشرت كاملة بعد وفاته في مجموعة مسرحياته عام ١٦٤٠ ، تحت العناوين الغريب « الغاب » ، او اكتشافات في الناس والمادة » (٣) . ومنها مقال اطرى فيه بن جونسون ذكاه شكسبير الفطري الحارق ، ولكنه آخذه على رداء فنه واهماله ، وتمنى لو استطاع شكسبير ان يمجو الفأ من الاسطر قبل ان يأذن لها بالظهور ، لانه كان يتدقق بالقيح والجميل ، والغث والسبين ، فكان من الواجب صده و كبح جماحه « SUFFLAMINANDUS ERAT » . وسنفضل ذلك حين البحث في مثالب شكسبير الادبية ، في الفصل المتعلق بتحليل عبقريته .

١ - راجع صفحة ٢٦ من هذا الكتاب

٢ - راجع صفحة ٢٩ من هذا الكتاب

وقد شق بن جونسون الطريق لمن جاء بعده بمجملته هذه ، وانقسم النقاد في العصور المتأخرة الى طائفتين ، واحدة ترى في شكسبير المثل الاعلى لجميع كتاب الدراما في العالم بأسره ، واخرى لم تنكر عبقريته ، وانما رأته فيه ابن الطبيعة الطلقة المتمردة ، الذي يحتاج ادبه تشديباً وتقينة واصلاحاً .

وكان جون درايدن (١) من أشهر الكتاب الذين نحووا هذا المنحى في القرن السابع عشر ، مع بعض الميل الى تقدير عبقرية شكسبير والتساهل في قبول شواذه . فقد نشر درايدن سنة ١٦٦٨ رسالة ادبية اسمها « مقال عن الشعر التمثيلي » (٢) تعرض فيه لذكر شكسبير وقارن بينه وبين بن جونسون ، مبيناً ، ما يمتاز به احدهما عن الآخر ، ومضياً بذلك السبيل لمن جاء بعده من النقاد .

في القرن السابع عشر

وقد ذكر درايدن انه مدين بعرفته شكسبير للسر وليم ديفاننت ، وهو كما ذكرت من الذين احبوا شكسبير ، واكبوا على دراسة أدبه وتقصي اخباره ؛ ومن قاموا بتعديل بعض مسرحياته وجعلها في قالب يلائم اذواق الناس في ذلك العصر . وهو ودرايدن راجعا معاً مسرحية « العاصفة » ، لتظهر سنة ١٦٧٠ ، اي بعد وفاة السر وليم ، على نسق جديد ، وبمقدمة لدرايدن نفسه .

ومن نقاد القرن السابع عشر ، ومن تأثروا بمقال درايدن ، ونهجوا نهجه في امتداح شكسبير ، الادبية مارغريت دوقة نيوكاسل (٣) (١٦٢٤؟-١٦٧٤) في كتابها « رسائل اجتماعية » (٤) الذي ظهر عام ١٦٦٤ . وفيه شرحت كيف ان شكسبير

* * *

١ - ١٦٣١ - ١٧٠٠

٢ - « ESSAY ON DRAMATIC POESY »

٣ - « MARGARET CAVENDISH, DUCHESS OF NEWCASTLE »

٤ - « SOCIABLE LETTERS »

يشعر القاريء « كأنه قد استحال الى مختلف الاشخاص الذين أتى بهم في مسرحياته ،
وتقصصهم ، وتأثر بجميع مشاعرهم ! »

ولم يعن ادباء القرن الثامن عشر بناحية النقد الادبي او الفني من شكسبير بقدر
عنايتهم بالدراسة الشكلية والتاريخية من مسرحياته وحياته . ولم يشذ عن هذا

الا افراد معدودون كجون دنس (١) « DENNIS » في « رسائله »

(٢) عام ١٧١١ . وبما جاء فيها قوله : « ان المرء لايسعه الا ان

يقول عن شكسبير ما قاله النقاد عن هوميروس من قبل ، من أنه

لم يكن له من يقلده ، وانه نفسه غير قابل التقليد ! »

في القره الثامن عشر

ونسج على هذا المنوال كذلك الاديب ذو النثر الجميل جوزيف اديسن (٣)

« ADDISON » صاحب مجلة السبكتير (٤) حين دعا في العدد الصادر في ١٠ فبراير

سنة ١٧١٤ من هذه المجلة الى الرجوع الى مسرحيات شكسبير الاصلية حين المطالعة ،

وتفضيلها لهذا الغرض على النسخ الحديثة المعدلة .

ومع ان الدكتور صاموئيل جونسون صرف جل همه في الدرجة الاولى انتقيح

مسرحيات شكسبير وتفسيرها ، في الطبعة التي اخرجها عام ١٧٦٥ ، الا انه

ادرج في هذه المجموعة مقدمة ، تعتبر ذات قيمة ادبية خالدة في حقل النقد الشكسبيري ،

لانهما جاءت دفاعاً مجيداً عن شكسبير ، ورداً على الحملة الشعواء التي قادها فولتير

على هذا الشاعر ، لخروجه على المعايير والقيود الكلاسيكية التقليدية ، كعدم

مراعاته قانون وحدات الزمان والمكان والعمل في تأليف المسرحيات مثلاً . هذا

من ناحية ، ولانهما من ناحية ثانية لم تغفل عن معايب شكسبير الشعرية والنثرية

المتأتبة عن اهماله قواعد النحو والعروض اثناء الكتابة .

١ - ١٦٥٧ - ١٧٣٤

٢ - « LETTERS »

٣ - ١٦٧٢ - ١٧١٩

٤ - « THE SPECTATOR »

بيد ان القرن الثامن عشر لم يعدم أن يلقي في ديفد هيوم (١) « DAVID HUME »
 الفيلسوف والمؤرخ الشهير ناقداً يظهر للناس بعض نقائص شكسبير الادبية ،
 فيتساءل عن سبب هذا المديح الذي يعدهه النقاد على شكسبير جزافاً ، ومن غير
 عدل . فهو يرى « ان ما في أدب شكسبير من جمال ، لا يكاد يتضح للعين ويبين ،
 لكثرة ما يكتنفه من قبح وفساد ! »

* * *

لكن اعجاب الادبا به باع حد التقديس والعبادة في اوائل القرن التاسع عشر ،
 ولا سيما عند أتباع المذهب الابداعي في بريطانيا ، الذين تنادوا
 بالثورة على المذهب الكلاسيكي وما فرضه من اوضاع وقبود ؛
 فدعوا الى الاقبال على آداب العصور الوسطى ، والنظر الى الشعر
 كتعبير عن ذات الفرد ، واحترام هذا الفرد وتقديره مهما كان
 مستوى الطبقة التي ينتمي اليها ، وكذلك الاهتمام بمظاهر الطبيعة الخارجية ،
 وتأكيدهم العاطفة بدلاً من العقل ، والميل للدهشة والغرابة ، ودعم الغرائز الطبيعية ،
 وتحبيذ الحرية والانبعث والتمرد والانطلاق ، وتفضيلها على التقيدهم بالمفاهيم العامة ،
 والنظم والتقاليد الاجتماعية المرعية .

في القرن
 التاسع عشر

وقد حقق شكسبير جميع هذه الاهداف ، في رأي اتباع هذا المذهب ، فلم
 يعد في عرفهم عبقرية هائلة ، ضالة ، غاوية ، وانما هو ذجاجاً ، ومثلاً يحتذى على مدى الدهور .
 ويعتبر كولردج ، زميل وردزورث شاعر الطبيعة وزعيم شعراء البحيرات ،
 من أشهر نقاد شكسبير في مطلع ذلك القرن . كما ان كتابه « ملاحظات
 ومحاضرات عن شكسبير » (٢) الذي ظهر بعد وفاته خير من يمثل نظرة مدرسة

« الجمال الفني » (١) الى هذا الشاعر . فهذه المدرسة تقول بالفن من اجل الفن ، وبأن غاية الشعر القصوى بعث المسرة بواسطة الجمال . وعلى ضوء هذه النزعة درس كولردج مسرحيات شكسبير وحللها في كتابه هذا .

اما وليم هازلت (٢) « HAZLITT » النقاد الشهير فقد عالج أشخاص شكسبير على نحو جديد في كتابه « أشخاص مسرحيات شكسبير » (٣) (١٨١٧) ، مبيناً الفروق النفسية الدقيقة بين طبائعهم ، كأننا هم بشر احياء .

وما أنس لا أنس توماس كارلايل (٤) « CARLYLE » صاحب كتاب « عبادة الابطال » (٥) . فقد اتخذ من شكسبير مثلاً « للشاعر كبطل » ، وصوره ملكاً عظيم المهابة والجلال ، عرشه خالد لالف سنة بعد اليوم ؛ وجعله رمزاً للوحدة الروحية العميقة التي تربط بين الشعوب الناطقة بلغته . وقاس بينه وبين امبراطورية الهند ؛ فضله على الهند ، اذ الهدد زائلة يوماً ما ، لكن شكسبير باق على الدوام .

وها قد تحققت النبوءة ، وزالت الهند ، وظل شكسبير ... دليلاً قوياً ساطعاً على سمو القيم المعنوية وثباتها ، بعد رمال جميع مظاهر الحضارة الخارجية الزائفة . وقد سادت نعمة المديح والثناء على شكسبير معظم كتابات الادباء والشعراء في القرن التاسع عشر . ويمكن تلخيص الحطة التي سلكوها في دراسة شكسبير ، والهدف الذي رموا الى تحقيقه من وراء ذلك بالشكل التالي : -

١ - « AESTHETIC SCHOOL »

٢ - ١٧٧٨ - ١٨٣٠

٣ - « CHARCTERS OF SHAKESPEARE'S PLAYS »

٤ - ١٧٩٥ - ١٨٨١

٥ - « On Heroes, Hero - Worship, and the Heroic in History »

وقد ظهر سنة ١٨٤١ .

أولاً - لقد نظروا الى اشخاص مسرحيات شكسبير، نظرتهم الى اشخاص احياء، فحاولوا طبائعهم وشرحوا ابواعثهم، وذهبوا الى ابعاد من ذلك، فتخيل الفنانون منهم اشكال هؤلاء الاشخاص ووضعوا لهم الرسوم الفنية المختلفة.

ثانياً - درسوا مسرحيات شكسبير واشعاره كوحدة تامة. وغايتهم من ذلك الوقوف على اطوار نموه العقلي والفني.

ثالثاً - رأوا في ما أتى به شكسبير من عرض دقيق شامل لمظاهر الطبيعة البشرية المختلفة، وما جعله من امثال سائرة وحكم خالدة على السنة شخوص مسرحياته، شيئاً عميقاً، متسقاً، جميلاً، جم الخير والفائدة للجنس البشري بأكمله.

* * *

هذا في القرن التاسع عشر، اما في هذا القرن فانه من العسير حقاً احصاء اسماء المعنيين بدراسة شكسبير في انكابترا او خارجها، لان عددهم يتجاوز كل حد. ولاننا بسبب قربنا من هؤلاء الباحثين لانستطيع ان نبصر المعالم الرئيسية لدراستهم، او نعين الاتجاه الذي يسلكونه في بحاثهم.

فلا بد اذن من مرور فترة طويلة من الزمن، قبل ان يتمكن الباحث من رؤية الغاية بدلا من الاشجار - على حد التعبير الانكليزي. بيد انه ما من سبب يثني عن ذكر اسمين من أبرز بل من أجل اسماء النقاد الانكليز الذين درسوا شكسبير في هذا العصر، ألا وهما الكاتب الانكليزي ادوارد داودن (١) « PROF. EDWARD DOWDEN » في كتابه « شكسبير في عقله وفنه » (٢)، واندر

برادلي (١) « PROF. A. C. BRADLEY » في مآلقاته من ضوء جديد على دراسة مآسي شكسبير ، في كتابه الشهير « المآسة الشكسبيرية » (٢) . وكلاهما متأثران ، على ما يبدو ، بروح النقد الذي ساد القرن التاسع عشر .

* * *

والآن وبعد هذه الأمامة القصيرة بالنقد الشكسبيرى في انكابترا أحب ان تلقى معاً نظرة عجلى على شهرة شكسبير ومدى انتشار اسمه وذيوع أدبه ، وما أثاره هذا الادب من حفاظ النقد خارج بلاده .

والواقع انه لم يتح لأديب غير شكسبير أن ينمو شأنه وينتشر انتاجه الادبى

هذا الانتشار الواسع ، فتلقفه أيدي الناس ، وتدرسه الطبقات المثقفة ، ويتناقش فيه النقاد ، وينقسمون بسببه شيعاً وطوائف ، فيكون منهم انصار المعاضد ، ويكون المؤاخذ الناقد ، وكذلك المحايد الذي ينظر الى المعركة تحتدم وهو بعيد

عنها ، ومع ذلك يستطيع أن يرى المثالب والمناقب . بل

انك لتجدن منهم من يستكبر على قروي مثله ، عامي ، بدائي

الثقافة والتعليم ، ان ينتج هذا الادب الهائل في نوعه وكميته ؛

فينكر شكسبير انكاراً ، ويلقى اسمه من الوجود ، ويخترع

شكسبير
خارج انكابترا

من عنده اسماً جديداً ، يعزى له هذا الانتاج الرائع ؛ حتى نما عدد مؤلفى هذه المسرحيات ، وتجاوز الحد المعقول . وسنعود الى ذلك في فصل مستقل .

وأول ما عرفت اورربا شكسبير فعن طريق الممثلين الذين كانوا يعبرون

القنال في أواسط القرن السابع عشر ، قاصدين مختلف العواصم ومراكز الحضارة

في اورربا كدالزغ ، ودرزدن ، وفينا ، وكونغزبرج واستوكهلم ، وكوبنهاغن

وغيرها ، ليعرضوا في اول الامر « تيطس اندرونيكس ، وهاملت ، والمملك

بواسطة الممثلين أولاً

ليبر ، وتاجر البندقية ، ورميو وجولييت » وبلحقوها
بغيرها ؛ فيتعرف بمثل تلك البلدان على شيء جديد غريب ،
لم يالفوه من قبل ، وينقلونه الى لغاتهم ، ويعرضونه على
مسارحهم ؛ فتنفتح أعين الادباء على « اوزة آفون الحلو »

فيشير فيهم دهشة ورغبة في دراسته ومناقشته ، وترجمته والنسخ على منواله !

ويطول البحث لو أردت ان اشرح لك موقف اوروبا من شكسبير بلداً بلداً ،
ولكنني احبذ ان انظر الى اوروبا في موقفها من شكسبير بلداً واحداً . ومن
غير شكسبير يستطيع ان يوحد اوروبا ، بل العالم بأسره ويجمعه على شيء واحد ؟

ويعتبر فولتير اعظم مكتشف لشكسبير في اوروبا . فقد لجأ هذا الفيلسوف
الى انكسار عام ١٧٢٦ ، وسمع الناس يتحدثون عن شكسبير ، وقرأ الصحف
الادبية تنشر اسمه ، فأراد ان يعرفه ، وان يسبر غوره . فشرع باديء ذي بدء

مندهباً مستغرباً ، مستطلعاً مستفهماً ، شأن كل عقل ازاء الشيء
الجديد الجليل العظيم ! له منه انتهى نافرأ نقيماً ، نائراً يقود
حملة شعواء ، ويشن حرباً ضروساً لاهوادة فيها على هذا العملاق

فولتير

المتنرد الخطر ، المتخطي حدود مملكة الادب الكلاسيكي ، والعاث بالاوضاع
الادبية التقليدية ، والخارج على ارسطو في ما رسمه من قواعد لانشاء المسرحية . وقال
فولتير ما ترجمته بالحرف الواحد « ان شكسبير لم توحش ذو شرر من العبقرية يشع
في ليل مربع ! »

أوليس من الغريب ان تجد فيلسوفاً ينزع للحرية الفكرية في ما يكتب ،
ويكافح العمر دفاعاً عن حياضها ، ويلاقى من جراء ذلك اذى وظلماً ونشريداً ،
يكره الحرية في الادب من ناحية ثانية ، ويحمل على الانطلاق الابداعي والانعتاق
من جميع القيود الادبية القديمة ؟

مع ذلك فقد اتضح مؤخراً ان فولتير كان يحارب في معركة خاسرة ، وانه
افاد شكسبير من حيث اراد ان يضره ، فأثار حجب الناس به وتعلقهم بأدبه واقبالهم

عليه اكثر من تأليهم ضده . فقد نهض من ادباء فرنسا ، ولا سيما الابداعيين منهم " ROMANTICISTS " ، من استطاع ان يحرر نفسه من سحر فولتير وهيننة عقله ، ويعكف على دراسة شكسبير وينقل بعض مسرحياته الى الفرنسية . من هؤلاء ديرو ، وجيزو « GUIZOT » و هوجو الاصغر ، وجوسران « M. JUSSELAND » واليكسندر دو ماس ، والفرد دي موسيه وغيرهم .

اما في المانيا ، فقد تولى الدفاع عن شكسبير اديبها النقاد الكبير لسنج « LESSING » ، معلناً في مقال نشرته احدى صحف بلاده عن رأيه بسمو شكسبير وتفوقه على راسين و كورنيليل ؛ وذهب الى ابعد من ذلك فنقل بعض مسرحياته الى الالمانية . وحدث آخرون حذوه ، فدرسوا وشكسبير وترجموا مسرحياته ، وأجروا في بعضها تعديلاً يلائم مسارحهم . ومن هؤلاء شروجيتة وشليجل وخلافهم من عباقرة الادب في المانيا .

ولم تقتصر شهرة شكسبير على فرنسا و المانيا ، بل انتشر ادبه انتشار النار في الهشيم ، في جميع اقطار اوروبا ، كإيطاليا وهولندا وروسيا (١) ، وبولندا ، وهنغاريا ، والدانمرك وغيرها . وعكفت دور الفن من رسم وموسيقى على وضع رسوم فنية بارعة لمناظر مسرحياته ، وأنغام ساحرة خلاصة لاغانيه (٢) . كما قام بمثلون وممثلات اشتهروا بتمثيل أدوار رئيسية من مسرحياته (٣) . بل انه ليندر أن تلقى دار اذاعة محترمة لا تذيع شيئاً من مسرحياته مترجماً ، او معدلاً ، او في

-
- ١ - نشر تولستوي سنة سنة ١٩٠٦ مقالا حمل فيه على شكسبير كداعية كبير للثروة والطبقية ، كما ندد بفته الشعري ومقدرته على خلق الاشخاص .
 - ٢ - من هؤلاء الموسيقاريون شوبرت ، وشومان ، ومندلسن ، وامبرويز ، وروسيني ، وفردى
 - ٣ - من ابرعهم في ايطاليا : رستوري (RISTORI) وسالفيني (SALVINI) وروسي (ROSSI) وفي فرنسا : شارل فكتر (FECHTER) ، ومدام سارا ابرنارد (MADAM SARAH BERNHARDT) وأندري الطوان (ANDRE ANTOINE) وفي ألمانيا : فردريك شرويدر (SHROEDER) ، وماكس راينهاردت (MAX REINHARDT)

الاصل . كما يكاد لا يخو منهج دراسي راق من بعض ادب شكسبير يعطى للطلاب على مختلف الادوار المدرسية .

كل هذا يحدث لشكسبير ، فيخيل للمرء كأنما الدنيا بأسرها قد أجمعت على مبايعته ، وطأطأت الرأس أمام هذه العبقرية ولاء واجلالاً .

ولا يسعني قبل الفراغ من أمر شكسبير خـارج بلاده الا ان اشير الى الاميركان في هذا الصدد . فهم والانجليز بحكم اللغة ، بل بحكم الرباط الشكسبييري ، وحدة لا سبيل لتجزئتها وعزوة لا انفصام لها ، كما دل التاريخ وبرهنت الظروف . وقد ذهبوا الى ابعدهد في دراستهم لشكسبير ، حتى ليظن انهم يبزون أدباء بريطانيا في هذا الحقل . وتتميز دراستهم لشكسبير بالاستقلال والابتكار ، جامعين في ذلك وموقفين بين اسمى عناصر النقد الادبي في بريطانيا ، ودقة الألمان المعهودة وصبرهم الطويل على متابعة الابحاث المدرسية الجدية . فجاءوا بأشياء جديدة ، منها ما يقبله العقل ، ومنها مالا يستطيع قبوله ، ولا سيما في موضوع اعزاء هذه المسرحيات الى مؤلفين آخرين غير شكسبير . ولكنهم مع ذلك القوا ضياء على بعض النواحي المظلمة الغامضة من حياة هذا الساحر ، بل الأحجية المحيرة الكبرى !

* * *

لا اريد ان اختم هذا البحث التاريخي الجاف دون أن أرفه عن نفسك بشيء من الادب الخالص . فلأعد بك الى النقاد مرة ثانية ، ولأختتر لك نماذج من اقوالهم في شكسبير ، لعلك من مطالعتها تستطيع الوقوف على مبلغ ما اثاره في نفوسهم من شعور يتأرجح بين الشك واليقين ، وبين الاعتراف والانكار ، والمؤاخذه والاكبار !

فلأرجع بك اذن الى القرن السابع عشر ، ولأختتر هذه المرة شاعراً لم نذكره من قبل . ومن غير ملتن « MILTON » العظيم جدير بأن يقود غيره من الشعراء في هذا المضمار ؟

ولعلك تذكر ان ملتن ولد عام ١٦٠٨ ، ولهذا فمن المرجح أنه شاهد شكسبير وعرفه ، واختزن في ذاكرته الشيء الكثير من اشعاره . فليس عجباً أن نجده عام

١٦٣٠ ، وفي حين لم يكن فيه قد عمي بعد ، ينشيء في مديح

شكسبير صوناتا من اسمي الشعر معنى ، واعسره ترجمة الى

لغة ثانية . وانه لجليل حقاً من صاحب « الفردوس المفقود » ان

يسبق جميع الشعراء ويعترف بالامر الواقع ، ويبايع شكسبير بالزعامة الادبية الخالدة .

يقول ملتن :

« ما حاجة عظام شكسبيرنا الكريمة

لرجمة تقيمها له الأجيال ؟ ..

أو ان توارى وفاته المقدسة

تحت هرم يوميء للنجوم ؟

يا ابن الذكر الحبيب ، يا وارث الشهرة العظيم !

ما حاجتك لذا الدليل الواهي على اسمك المجيد ؟

انك باعجابنا بك وتقديرنا

قد شدت لنفسك نصباً على مدى الحياة .

اذ بنشيدك السهل في انسيابه

المخزي فن الصنعة البطيئة ؛

وبما أخذه كل فؤاد بما في سفرك الثمين ،

من أسطر سحرية بانطباع عميق ،

قد جردت خيالنا من ذاته

واحتلنا لشدة تفكرنا بك رخاماً

فيه تضطجع بأبهة واجلال ،

فيشتهي الملوك الموت ، لو يتاح لهم كهذا الضريح !

أما النموذج الثاني فهو من النثر البارع ، وقد جاء على لسان اديب القرن السابع عشر وكانه الشهير جون درايدن ، وهو ، كما تذكر ، صاحب « مقال في الشعر المسرحي » الذي نشره عام ١٦٦٨ ، مقارناً فيه بين شكسبير وبين جونسون .

والكلام يجري في هذا المقال على نمط حوار بين اربعة اشخاص وهميين ، يتطون قارباً في نهر التيمس . وقد استهلوا الحديث بمواضيع لا تمت للادب بصلة ثم ما عتموا ان عادوا لبحث الادب ، والدراما ، وشكسبير وبين جونسون .

قال درايدن :

« لنبدأ أولاً بشكسبير . انه الرجل الاوحد بين جميع قدامى الشعراء ومحدثيهم ، الذي يملك اوسع النفوس واكثرها شمولاً . جميع صور الطبيعة مثلت لديه ، فرسمها بسهولة وبدهاءة وانطلاق . حين يصف شيئاً فانك لا تراه فحسب ، بل تحس به وتلمسه . والذين يتهمون شكسبير بنقص في العلم ، انما يمتدحونه ؛ فقد كان بطبيعته متعلماً ، ولم يحتج لمنظار الكتب ليبصر الطبيعة من خلالها . لقد نفذ ببصره الى الباطن فألفها هناك . ولست استطيع القول انه واحد على السواء في كل ما جاء به . لو كان كذلك ، لكنت آذيته بمقارنته بأعظم الناس . انه تافه ، لا طعم له ، في كثير من الاحيان . هزله يهبط الى مستوى الاشتباك بالخصام ، وجده ينزل الى درجة البهرجة ، والتصنع في الكلام ، لكنه ابدأ عظيم حين تعرض له مناسبة عظيمة ! وما من احد يستطيع الادعاء ان شكسبير اذا ما وجد موضوعاً يلائم ذوقه ومزاجه ، لم يرتفع بنفسه عالياً فوق جميع الشعراء الآخرين ! . »

ثم يقارن بينه وبين بن جونسون ، فيذكر بصراحة انه دون بن جونسون ، علماً ودقة ، لكنه فوفه ذكاء وفطنة . ويقول ان شكسبير - كهوميروس - ابو الشعراء المسرحيين ، اما بن جونسون فهو - كفيرجيل - نموذج الكتابة الفنية الصحيحة .

ويختتم درايدن الحديث بقوله : « انني اقدر بن جونسون حق قدره ، بيد انني

أعشق شكسبير وأهيم به !

* * *

أما القرن الثامن عشر فقد كان مقفراً من النقد لشكسبير ، بعض الشيء ، ، ، ، ،
الامن الناحية الشكلية التاريخية ؛ فقد كان بهاغنياً .

فلأتجاوزهُ الى القرن التاسع عشر ، لأقدم لك شيئاً مما جاء في كتاب « عبادة
الابطال » للكاتب الخالد الذكر توماس كارلايل ، تحت موضوع « الشاعر
كبطل »

وقد سبق ان ذكرنا ان شهرة شكسبير ومنزلته في نفوس الادباء بلغتنا الأوج
في ذلك القرن ، وتستطيع ان تلمس ذلك بما يقوله كارلايل :

« أي انجليزي صنعناه في ارضنا هذه ، بل أي ملايين الانجليز لانتخلي عنهم قبل
ان نتخلي عن ابن سترانفورد القروي ؟ ان شكسبير لأفخر شيء
عملناه حتى الان . وقد نبادل بكل شيء لنجتني لامتنا شرفاً ونكتسب
لها سمعة بين الامم ، الا بشكسبير فلا سبيل للمبادلة به . فاقيل لنا
ان نختار التخلي عن احد أمرين ، عن شكسبير او امبراطورية الهند العظيمة .
اما ان نخسر امبراطورية الهند او ان لا يكون لنا شكسبير ؟ انه حقاً لسؤال
خطير ! وقد يجيب عنه الحكام والساسة بلغتهم المعهودة ، أما نحن فلا نحصى
لنا عن الاجابة هكذا : (امبراطورية الهند ، او لا امبراطورية الهند ، فاننا لانستغني
عن شكسبير ! فامبراطورية الهند زائلة يوماً ما على كل حال ، اما شكسبير هذا
فلا يزول ! انه باق معنا الى الابد ، ولن نتخلي عنه !)

لنضع المعنويات جانباً ، ولننظر اليه كإداة تجارية مأموسة . ان انكارترا ، جزيرتنا ،
قبل انقضاء وقت طويل ، سوف تهين على جزء ضئيل من الأنجليز . في اميركا
في هولندا الجديدة ، الى أقصى حدود المشرق والمغرب ، سوف تتكون أمة
سكنونية تعمر مساحات واسعة من المسكونة .

والآن ما القوة القادرة على التأليف بينها ، وجعلها امة واحدة ، لا سبيل للنزاع بين افرادها ؟ امة تعيش معاً في تأخ وتعاطف ووثام ؟

انها حقاً لا عظم مشكلة عملية تسمى جميع الحكومات الى حلها . ومن القادر على ذلك ؟ القوانين البرلمانية ، ورؤساء الوزارات عاجزون عن هذا . اميركا بعيدة عنا ، ما دام البرلمان يريد ذلك . ولا تسم ما اقوله مبالغة وخيالاً ، اذ فيه الكثير من الصواب . هنا ملك انجليزي ، لا الزمان ولا القضاء ، ولا برلمان ، او مجموعة برلمانات تستطيع زعزعة عرشه . هذا الملك شكسيير ، ألا تراه يشع في سلطانه المتوج ، فوقنا جميعاً ، كانبيل والطف وأمتن وأخذ رمز للتضامن ؟ ونستطيع ان نصوره هكذا ، مشعاً مثلاً فوق جميع الامم الانجليزية ، لألف سنة بعد اليوم ! من باراماتا (PARAMATTA) ، من نيويورك ، في آية بقعة يقطنها الانجليز نساء ورجالا ، سوف يظنون يخاطبون بعضهم بعضاً بقولهم : (أجل ! شكسيير هذا لنا ! نحن انتجناه ، اننا ننطق ونفكر به ! نحن به من دم واحد وجنس واحد !) .. اه

وكارلايل والانجليز لا يغالون فيما يقولونه عن شاعرهم ، اذ لست أعرف شاعراً غيره ، له مثل مالشكسيير من آياد عند أمته ! او استطاع ان يفيض عليها مثل ما فاض شكسيير على امته من المهابة والجلال !

فقد كان شكسيير معجزتها الادبية الحارقة ، التي شغلت أذهان الناس وهزت ارواحهم وملأت نفوسهم في كل مكان ، وثمره عبقريتها الخلاقة ، التي منها طعم البشر وتغذوا ، وانتشوا ، وارتفعوا عما كانوا عليه درجات .

كما ان الشعب الانجليزي قد اكتشف في شكسيير زعيماً امكنه ان يسير تحت لوائه ، وان ينتشر ، وينشر حضارته ، ويخلق امبراطوريته في غفلة ، وفي يقظة من الزمان .

وحسبنا ان نذكر ان امته كلما لاح في الافق شبح حرب عالمية او ازمنة اقتصادية لجأت اليه ، ولوحت به لأميركا وجميع الامم الناطقة بلغته ، تماماً كما يلوح

الساحر بعصاه السحرية - فتقع المعجزة ، وتتحرك النفوس ، وتهتز أعمق أوتار القارب ، وتهرع كافة الامم الانجلو سكسونية ، مليية النداء للأخذ بناصر الامة التي كان لها شرف انباته ، فتذهب الشدائد ، وتزول الحن والازمات .

حقاً انه بشكسبير ايها القاريء العزيز وبجميع المؤمنين بالقيم الخالدة ، العاملين على تدعيمها ، تزدهر الحياة وتعظم الامم وتسود وتخلد . وليس بالزبد الذاهب جفاء ، او بالفقايع التي ما تلبث ان تطفو فوق سطح الماء حتى تختفي وتزول .

* * *

هذه نماذج مختلفة لثلاثة ادياء من قرون سالفة . وقد قصدت بها ايقافك على ما كان لشكسبير من سيطرة ورحية عميقة على نفوس الادياء . وكم يهولني ان اري هؤلاء الادياء - ومنهم ملتن وكارلايل - لايزيدون امام شكسبير ، عن وسطاء بين يدي ساحر ماهر ، او في قبضة منوم مغناطيسي واسع الحيلة ، جم الذكاء ، يتلاعب بعقولهم واهوائهم ، ويهيمن على افئدتهم وأرواحهم ، فيكادون لا ينطقون بأكثر مما يجعله على سنتهم ، ولا يفكرون او يشعرون ، او يتخيلون الا ضمن التخوم التي رسمها لهم فؤاده الشديد الحساسية ، وخياله المضطرم ، وعقله الجبار !

واحب ان اذهب الى ابعد من ذلك ، فاعلن اني ما اصغيت قط الى هؤلاء الادياء يسكبون عقولهم وقلوبهم شعراً عطراً ، وتترا جميلاً في مدح شكسبير وتقريظه ، الا داخلي الشعور بالعطف عليهم ، والرثاء لخالهم وحال الادب في بريطانيا . اذ يخيل الي ان ظهور شكسبير قد كاف بريطانيا كثيراً ، وسيكافئها ثمناً باهظاً من الانفاس

مركب نفسي

الشعرية المكبوتة . فقد افقد ادياءها الثقة بانفسهم وبمقدرتهم على الاتيان بمثل ما جاء به شكسبير ، واخشى انه قد اورث في نفوسهم عقدة شنيعة خطيرة ، هي مركب نقص الذي يشل النمو الطبيعي في الانسان ، ويقنعه بجزءه المطلق عن السير

في مدارج النشوء والارتقاء . ولا ادري متى يتسنى لادباء انكثرا ان ينقذوا عقولهم من مخالب شكسبير ، ويجرروا ارواحهم من سحره ، ويبرهنوا للناس على ان التراب الذي أنبت شكسبير قادر على ان ينبت مثله مرة ثانية ؟

* * *

وقد يشعر القاريء ان البحث ما يزال ناقصاً بدون الاطلاع على نخط من الابحاث الحديثة في حقل الدراسات الشكسبيرية، لهذا فقد اخترت أن أراجع معك في ختام هذا الفصل كتاباً عنوانه « الحقيقة الجوهرية عن شكسبير » (١) صدر في بريطانيا عام ١٩٤٢ ، لكاتب بريطاني اسمه دوفر ولسن **دوفر ولسن** (DOVER WILSON) اشتهر بولعه في دراسة شكسبير على اساس علمي منطقي ، واثبانه بأشياء مبتكرة طريفة يخالف فيها معظم ما اورده الكتاب الاولون والمتأخرون من حقائق عن شكسبير .

وانه من حق دوفر ولسن ، ومن حق غيره من الكتاب الحديثين ان يجدوا في حياة شكسبير مرتعاً خصباً لاخيلتهم وأفكارهم ، وان يذهبوا في آرائهم عنه مذاغب شتى . فالاسانيد الاولية لا تحوي الا النزر القليل من أخباره الصحيحة ، تاركة في سيرته فجوات كبيرة ، يسعى الى سدّها كل باحث بما يروق له من الافكار .

وفي هذا الكتاب يدحض دوفر ولسن ، مثلاً ، زعم الاديب هوليبول - فلبس « HALLIWELL - PHILPPS » - الذي مر ذكره - بان شكسبير انقطع عن التعليم منذ الثالثة عشرة من عمره ، وانه كان قصاباً غير مثقف ، بقوله : اننا نجمل هذه الحلقة الاولى من حياة الشاعر كل الجهل ، فلا يصح الحكم بأنه كان جاهلاً او ضيلاً الثقافة والعلم . اذ كيف يمكن اعزاء هذه المؤلفات الرائعة التي تم عن دراسات عالية الى شاب قصاب ترك المدرسة في الثالثة عشرة من عمره ، أو الى فتى لم يتجاوز تحصيله حد الطور الابتدائي ؟

وهو يرى ان شكسبير لم يكن من منبت حقير او وضع كإيرى بعض الكتاب، فقد كان والده مواطناً بارزاً في بلده، كما يستدل من المناصب الكبرى التي تسنها، ومن تقدمه بطلب لكلية هيرالد (HERALDS' COLLEGE) لكي تمنحه خلعاً الشرف (COAT OF ARMS). ويعلل خروج والد الشاعر من المجلس البلدي بسبب تمسكه بالمذهب الكاثوليكي في حين اقبل فيه السواد الأعظم من الناس على اعتناق البروتستانتية مذهب الدولة، ولعل هذا هو السبب الحقيقي الذي من اجله اخرج ابنه من مدرسة نشيء طلابها على الطريقة البروتستانتية .

وهو يرجح ان والد شكسبير ألقه بعد اخراجه من المدرسة بخدمة نبيل كاثوليكي في ستراتفورد، ليكون منشداً في معبته، لما حباه الله من اذن موسيقية وصوت جميل . فوجد شكسبير في تلك البيئة الراقية فرصة نادرة للتزود بلبان العلم والمعرفة العالية ، ومن ثم سهل انتقاله الى حقل التعليم ، شأن معظم الصبيان المنشدين الذين كانوا يؤلفون جوقات ترتيل ديني في ذلك، العصر كما شرحنا ذلك في حينه .

والكاتب لا يجد مبرراً للاعتقاد بان شكسبير كان غير سعيد او راض بحياته الزوجية، وانه بسبب هذا قصد الى لندن . كما انه لا يزعم انه كان مثال الزوج الصالح ، اذ ليس ثمة ما يمكن الاستناد اليه في ذلك . ويرد على ادعاء الباحثين بان الشاعر رزق ابنته سوسانا بعد زواجه بستة اشهر بقوله: ان القانون الكنسي آنذاك كان يعتبر اجراء عقد الخطبة « Pre - Contract » امام شهود معينين، بمثابة الزواج الفعلي .

ويظن الكاتب ان شكسبير بعد ان غادر لندن قصد قرية تشفيلد «TITCHFIELD» ليلتحق في خدمة الشاب النبيل الايرل اوف ساوثبتون الذي كان يصغر الشاعر بعشر سنين، ليصبح له صديقاً ومشيراً ، ومعاملاً ثانياً ، مع الاستاذ جون فلوريو « JOHN FLORIO » مترجم مقالات الكاتب الفرنسي مونتيني « MONTAIGNE » ، وانه اغتتم هذه الفرصة، فألم يادب هذا الكاتب الشهير ، كما يتجلى

ذلك في بعض مسرحياته (١) ، ويظن ان شكسبير قصر تلقينه للشباب النبيل على فن التمثيل المسرحي ، وانه كان يهيء له اسباب اللهو عن هذا السبيل .

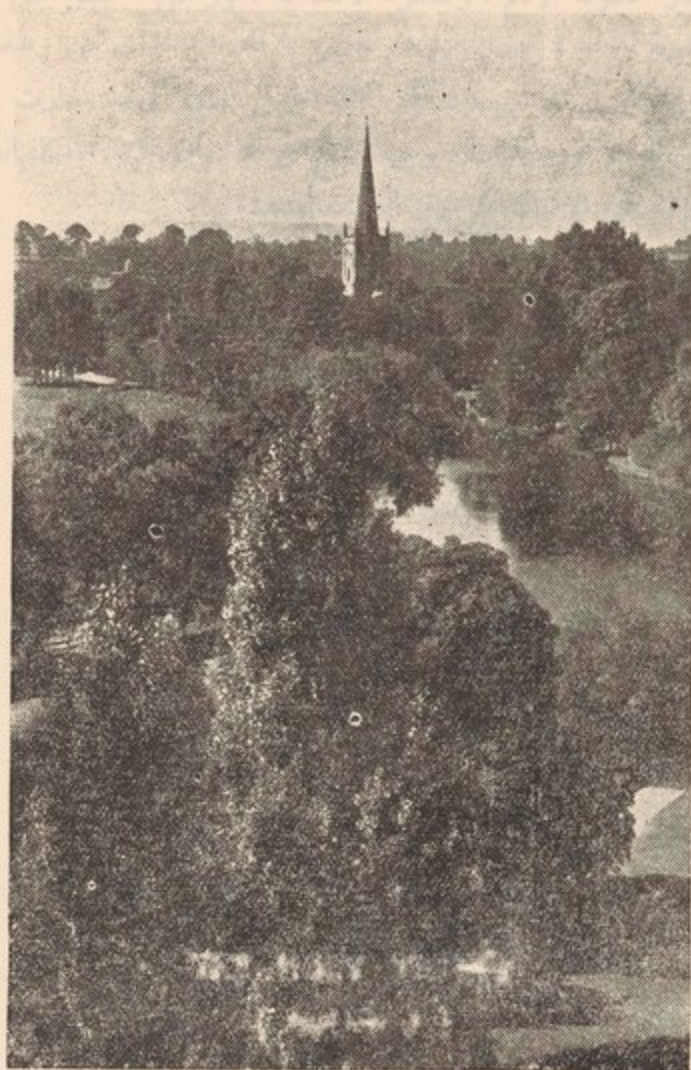
ولعل هذا هو المقصود ، في رأي الكاتب ، بالزعم القائل ان الشاعر اشتغل معلماً في احدى القرى المجاورة قبيل ذهابه الى لندن . ويتجاوز الكاتب ذلك الى الاعتقاد بأن شكسبير رافق النبيل الى ايطاليا ، ويتخذ مبرراً لهذا الاعتقاد ما جاء في مسرحية (تاجر البندقية) من وصف دقيق بحكم لمدينة البندقية . ويرى ايضاً ان شكسبير الف مسرحية (جهد الحب الضائع) في الفترة التي قضاها في قصر النبيل ، ومثلها هناك في حين كانت فيه المسارح مغلقة بسبب انتشار الوباء . ويكاد (ولسن) ينفرد عن جميع الكتاب الذين قرأت لهم ، بهذه المزاعم ، اذ لم أقف لغيره على ما يطابقها بالتام .

* * *

من هذه المصادر الاولية والثانوية ، القديم منها والحديث ، ومن التراجم التي وضعت لشكسبير نستطيع ان نعين الاتجاه العام في حياته . لكننا سوف نظل عاجزين عن اكتشاف بعض الحلقات الضائعة من سلسلة هذه الحياة الغامضة ، رغم كل الجهود التي يبذلها النقاد ومؤرخو الادب في هذا السبيل .

وحياة شكسبير - كما بدا لك - عادية ، ليس فيها ما يخالب اللب ، او يوجب العاطفة ويشير الشعور ، كما لو قرأت مثلاً سيرة بيرون ،
تبارك الانسائه او شلي ، او جيته ، او بودليير ، او ابن ابي ربيعة ، وغيرهم من العصاة المتمردين ! لكنك ستقف منه موقفاً آخر حين تتذوق شيئاً من ادبه ، وتتعرف الى سر هذه البقرية التي لفتت اليها انظار العالم المتمدين بأسره .

١ - المرجع ان شكسبير تأثر بموتين بما جاء به على لسان قونزالو « GONZALO » من وصف للمدينة المثلى (IDEAL COMMONWEALTH) في مسرحية « العاصفة » ، الفصل الثاني والمشهد



THE HOLY TRINITY

(في سترااتفورد)

حيث دفن شكسبير في ٢٥ أبريل ١٦١٦ (انظر صفحة ٤٠)

فشكسبير اعجوبة الأكام ، ومفخرة الانسانية ، وركن كبير من اركان الحضارة البشرية ! ولست ادري من هو جدير بما فاه به هاملت من وصف رائع للانسان غير شكسبير العظيم ، ذاكهم الملك الجليل الذي أنى سار، سارت الحضارة والثقافة في ركابه ، وحبشها ادار وجهه اشاع في الانسان الثقة بإمكانياته العقلية الباهرة وقدرته على الاتيان بالحوارق الذهنية المدهشة !
قال هاملت :

« تبارك الانسان ! ما أجمل صنعته ، وما انبل عقله ، وما أبعد حدود فكره !
وما ادق شكواه ، وألطف حر كته ! وكم كملاك هو في عمله ، وكأله في ادراكه
وفهمه ! انه جمال الدنيا ، ونموذج الاحياء ! »
ألا قل معي ايها القاري الكريم :

تبارك الانسان في شكسبير !



الفصل الثالث

سألو مرة بوب (Bobb) زعم الأديب الكلاسيكي في انكليزوا، مما حفز شكبير الى تأليف مسرحياته، فأجاب: «كفاحه من اجل الرخيف».

وهو يعني بذلك انه لم يكن يحظر لشكبير ان يتجاوز مسرحياته حد التمثيل الآتي، فيقبل العالم على مطالعتها ودراستها بلذة وثغف، وانصاع وحيالادب على مدى الأزمان، فيحفظه درليندن (Dresden) - يانه الشاعر الأيرلندي جميع

الشعراء المحدثين، على رأسهم القديس (St. Bernard) وبنفسه كارلايل (Carlyle) على امبراطورية الهند العظيمة؛ وشبهه تأثير

أرنولد، وبالجيل الأهم الأديب والكاشف، في الطبقة المتعوم، وانثب

أحد في اليوم، فلا تستطيع الايقاد

ان تتجاوز حد العام الساج متوسطه، ولا الادباء يكتبها النفاذ الى حقيقته وكنهه، بل يترجمه حدود بلا

بلاد العرب، فيقبل مطران، زعيم مطران على درسه ونقل بعض مسرحياته الى العربية، ويأبىه أمير الشعراء بقوله:

دستورهم عجب الدنيا وشاعروهم
مأنجيت مثل شكبير حاضرة
ثالث به وحده انكليزوا شرفاً
يد على خلقه في بيضاء
ولا تبت من كرم الطير غناء
مالم تنل بالبحوم الكرا جوداء



تالشان لطفاً



ويشيد حافظ كذلك بذكره ، فيقول :

وقل لبني التاميز والجمع حافل به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان في ضخم الاساطيل فخركم لفخركم بالشاعر الفرد اعظم

اجل لم يك يتصور شكسبير انه بالغ يوماً ما بلغه وما سوف يبلغه غداً وبعد

لزمان بأكله غد من المنزلة الرفيعة في نفوس الفئة الذكية المثقفة المنتجة من كل بلد
من بلدان العالم ، فتضيق دور الكتب بالمؤلفات الخاصة بدراسته

وتحليل عبقريته ! ويتبارى عباقرة الموسيقى (١) في وضع الالحان العذبة الخلابة
لاغانيه الرائعة ، ويقوم الفنانون باخراج رسوم لاشخاص مسرحياته ومناظرها
الاخاذة ، ويعكف الممثلون على دراسة شخوصه دراسة مضمية دقيقة (١) ، وينهمك
الاساندة والطلاب معاً في جميع المعاهد الراقية في دراسة أدبه عاماً بعد عام ، وهكذا
يتحقق فيه ما تنبأ به صديقه بن جونسون من انه « لم يكن لعصر واحد ،
وانا للزمان بأكملاه ! »

وانه ليحضرني سؤال القيته وانا ادرس شكسبير على البروفسور بيرون سميث
(Prof. Byron Smith) أستاذ الادب الانجليزي في الجامعة الاميركية في بيروت ، مستغرباً
كده العنيف ودأبه المتواصل في اعداد المحاضرات عن شكسبير ، والاتيان في كل
عام بشيء جديد .

فاجاب الاستاذ الكبير « ومع ذلك فما زلت اجهل يا بني الالف والباء من
موضوع شكسبير ! »

ولفائق ان يتساءل : « على ماذا تقوم هذه الشهرة العالمية العريضة ، التي تحتطت
كأحد اولئك العميان الحدود الطبيعية والسياسة ، غير آبهة بفوارق العرق والدين ؟
وما هي الخصائص التي يمتاز بها ادبه على ادب غيره في العالم ؟ »

ولست ادعي انني استطعت الاجابة على هذا السؤال حق الاجابة ، أو بدون
عسر ومشقة . بيد انني ، كأحد أولئك العميان ، احاول وصف الفيل من الناحية
التي اتلمسها منه !

مآلب شكسبير الادبية

لا بد قبل بسط الميزات التي ينفرد بها أدب شكسبير ويسمو عالياً على غيره
من كلمة في مثالبه الادبية ، عند ذاك يدرك القاريء أن شكسبير لم يكن مثلاً
في الادب يحتذى ، أو معصوماً من الزلل والخطأ ، وإنما شأنه شأن كل من أجد
نفسه وفكره ، وبذلهما في سبيل تحقيق غاية رفيعة ، ساعياً اليها بكل ما يملك
من قوياً ، حتى يستطيع ادراك تلك الغاية . فشكسبير - كما علمت - قد
غير عامد حقق الشيء الكثير مما كان يرمي اليه من أهداف مادية واجتماعية ايضاً ،
لكنه وهو يسعى نحو تحقيق هذه الاهداف ، كان يعمل دون وعي منه في سبيل
الغاية الادبية ، ولهذا فقد خلف غير عامد تراثاً ادبياً خالداً ، وصرحاً مكيناً راسخاً ،
يفنى الدهر ويظل هذا الصرح قائماً .

وإذا ما نظرت الى مسرحياته بدقة وروية ، لحظت نمواً وتطوراً وارتقاءً في
الاسلوب والمعنى منذ أول نتاجه الادبي حتى آخر تطور من اطوار
تطور وارتقاء انتاجه . فلمسرحيات التي الفها في الطور الاول ، لا سيما اولها ،
ملئنة بالمحسنات اللفظية ، من تسجيع وجناس وتورية واستعارة بعيدة . كما ان لغته
لم تك لتخلو من اغلاط نحوية عديدة . وتعليل ذلك ان شكسبير لم يكن يتوسل
في الكتابة او يتسهل ، وإنما كان ينثر الكلام دون ما تدقيق أو أنعام نظر ، ويصوغ
الجل ويرسلها على عواهنها ، وينسج الاخيلة والافكار عفو البديهة والخطاطر .

ومخلاصة القول أنه كان ينبوعاً ثراً فياضاً ، يتدفق بالجيد والرديء ، اذ قلما اعاد النظر فيما كان يكتبه ، حتى زعموا انه لم يمض سطرأ مما كان يخطه . وانك لتذكر ، بلاريب ، تلك المقالات التي كتبها بن جونسون تحت عنوان (اكتشافات في الناس والمادة) (١) ولا سيما ذلك المقال الذي فيه علق على القول بان شكسبير (لم يمض سطرأ مما كان يخطه) ، وفيه يتمنى لو ان شكسبير محاً ألفاً من الاسطر ، اذن لاستقامت لغته ، وخلصت من شوائب الاخطاء النحوية والعروضية ، وتجردت من الشطحات الفكرية التي لا ترتبط بقاعدة ، أو تنقيد بذوق أدبي أو علمي سليم .

بيد انه لا يجوز على الشاعر أو يغفل عن مزاياه في هذا المقال ، اذ صرح في احوال انه يحب شكسبير ويحترم ذكره ، لانه رآه أميناً صادقاً ، ذا طبيعة طليقة واسعة ، وخيال ممتاز ، وخواطر جريئة ، وعبارة لطيفة ؛ لكن قلناه ان يجري بسهولة وطلاقة يجب ايقافه . وجب معها ايقافه في بعض الاحيان . ويقول ان شكسبير أخضع ذكاه لارادته لكنه خرج على قواعد الكتابة الصحيحة ، مع ذلك فان بن جونسون يرى ان شكسبير ، قد كفر عن اخطائه بمحاسنه الادبية ، وانه جاء بما يستحق التقدير والاعجاب ، اكثر مما يمكن ان يلام عليه .

هذا من حيث الصياغة اللفظية والاسلوب ، أما من حيث المعاني فما جاء منها في المسرحيات الاولى فعادي ضحل مجرد من الوزن والعمق وصدق الخس وسعة الخيال الذي نهسه في ما تأخر منها ، ولا سيما في المآسي . فأننا لنكاد نانس فيما ألفه في اول اطوار حياته الادبية ، ما على يحمل الظن بأنه خاض معمعة الحياة ، أو درس الطبيعة البشرية ووعاها ، تلك الدراسة المتقنة وذلك الوعي الدقيق اللذين سموا بأدبه المتأخر هذا السمو العظيم . بل فيها ما يدل على انه عاش على شاطيء الحياة كأنه لم يتهبأ له من التجارب والخبرة بالحياة وبالناس ما امكن ان يؤثر في نتاجه

الادبي تأثيراً بعيداً ، او يسبغ على مسرحياته الاولى ما اسبغ على الاخيرة من سمات العبقرية والخلود . وخير دليل على ذلك ، هذا الفرق بين الواضح بين اشخاص مسرحياته المتقدمة وبين المتأخرة ، فإن الاخيرة لتعجباً وتحس وتفكر ، لافرق بينها وبين احياء الناس ، بينا اشخاص الاولى تبدو جامدة ، مجردة من عناصر الحياة .

وناحية اخرى قصر فيها شكسبير تقصيراً فاضحاً ، تلك هي استناده البعيد في تأليف مسرحياته الى قصص تاريخية قديمة بالية ، انجليزية او غيرها ، كان يراجعها ويصححها وينقحها ، ويجور فيها بالشكل الذي كان يتطلبه الذوق الادبي في عصره .

فهو ، والحق يقال ، لم يضع الا هيكل رواية واحدة او اثنتين (١) ، أما غير ذلك فقد اقتبسه اقتباساً . ناهيك عن ان الكثير من عقد « Plots » قصص منقولة وغير واقعية ، الموضوعات منها والمنقولة بعيد عن الواقع والمألوف ، خصوصاً ما ضمنه منها السواحر والكائنات الخفية كبنات الغاب وجماعات

الجن والاشباح (٢) .

ونقص آخر يأخذه عليه نقاد الدراما ، ذلك انه لم يخضع في اغلب مسرحياته لقانون الوحدات الثلاثة ، اعني بها وحدة الزمان والمكان والعمل التي تحتم انحصار العمل الرئيسي في بطل المسرحية والآن يتشعب ويتوزع على اشخاص آخرين ثانويين فيخل بسير الحوادث ووحدها وانساقها ، وكذلك وقوع العمل جميعه في مكان واحد ، والآن يستغرق من الوقت اكثر من يوم او يومين على الاكثر .

وقد تقيد شكسبير في تأليف مسرحياته كما يظهر بما كان عليه حال المسرح ومظهره واسلوب بنائه ، ولا سيما خلوه من ستار خارجي بسيط بين المشاهد والفصول ، ويفصل بين منظر وآخر ، فبها للمخرجين زمن

تقيد بالمسرح

١ - لم يتوصل المؤرخون الى الاصل الذي أخذ منه قصة (جهد الحب الضائع) و (حلم ليلة في منتصف الصيف) .

٢ - أكثر ما وردت في (ماكبث) و (هاملت) و (العاصفة) و (حلم ليلة في منتصف الصيف)

يستطيعون في خلاله اعداد المشهد حسب اقتضاء الحال .

ثم ان عدم السماح للمرأة باعتلاء المسرح ، واسناد ادوار النساء الى صبيان من ذوي القسامة في المظهر ، والرقة والجمال في الصوت قد جعل شكسبير يؤلف مسرحياته على طراز خاص ، خاضعاً في ذلك لجميع هذه الاعتبارات والقيود . ولولا ذلك لرُبما جاءت مسرحياته من حيث الفن الدرامي على طراز ونسق يلائمان روح العصر الحديث .

عدم مساهمة المرأة

ولقد كان المسرح فقيراً في المخرجين الفنين الذين يهيئون المشاهد والمناظر المتنوعة بتنوع الزمان والمكان . وقد عرف شكسبير ذلك ، ولهذا تراه في كثير من مسرحياته يستعيز عن ذلك بأوصاف واشارات تشرح النظارة بتبسوط واسهاب ما يجب ان يتخيلوه على المسرح في اثناء التمثيل

عدم وجود مخرجين

هذه هي ابرز العيوب التي تشين ادب شكسبير وفنه الدرامي في بعض مظاهره ، عدا اخرى غيرها يصمها مؤرخو الادب ونقادها في اوروبا ، ككفشله مثلاً في تضمين ادبه فلسفة أو عقيدة دينية آسرة تمثل نزغته ونفسيته كل التمثيل ، كما هو

ظاهر في ادب جيته (GOETHE) او دانتي (DANTE) مثلاً . فلم يودع مسرحياته ما يشتم منه دعوة للأيمان بالله ، او حض على التدين ، او تعبير عن روحانية مشعة مشرقة ، لان ذلك من أظهر خصائص

خلوه من فلسفة او عقيدة دينية

الادب العالمي ، بل نراه عكس هذا ، قد عني بتصوير الرذيلة في بعض مسرحياته (١) تصويراً زاهياً مغرياً . هذا عدا انه في حظه على التمسك بالدين والدعوة للفضيلة - ان كان من هذا شيء بطريقتة غير مباشرة - لسلي النزعة والاسلوب .

وعيب آخر طاعن رأى فيه خصومه مبرراً لعزو هذه المسرحيات الى غيره من

١ - طالع المشهد الرابع من الفصل الثاني من مسرحية (كيل بكيل) فقه وصف نقر لمرآودة انجلو « Angelo » لأيزابلا « Isabella » عن نفسها . وكذلك المشهد الثاني من الفصل الرابع من (بركليس) ، فقه تصوير شائق لحياة الموارث في عصر العزاهب .

الادباء (١) ، ألا وهو ما فيها من دلائل أكيدة قاطعة على قصر بابه في معظم العلوم والفنون . ففيها مشاهد وفقرات تبرهن على عدم تضلعه من الفلسفة والقانون ، أو المامه الكافي بالعلوم والفنون الشائعة في عصره . ومن أبسط الامثال على ذلك عدم مراعاته الدقة التاريخية (٢) في كثير من المسرحيات .

نقص في الثقافة والعلم

وانا لا ارمي بتعداد مثالب شكسبير الادبية وتبيانها الى التنقص من قيمته الادبية ، او اريد ان اغمطه حقه واظلمه ، فقد قيل . « كفى المرء نبلا كفى المرء نبلا ان تعد معاييه ! » . ناهيك عن ان ادباء منتصرين يدحضون هذه التهم ، ويفندونها واحدة واحدة ، ولا سيما ارباب المذهب الابداعي « Romanticism » . بل هم يتجاوزون ذلك الى الاتخاذ من اكثرها براهين قاطعة على انه سيد الشعراء ، وامام المسرحيين ، غير منازع . كردهم مثلا على من يأخذ عليه بعض النقص في فن مسرحياته الدرامي بسبب افتقار المسرح لجهاز كامل او خلوه من الستار الخارجي في ذلك الحين ، وكذلك حاجتهم الماسة لخرجين فنيين ، وعدم سماحهم للمرأة بمساهمة الرجل في التمثيل ، بان شكسبير اسمي وأبعد من ان يعد مسؤولا عن هذه النقائص الادبية والفنية ، وان الوضع الاجتماعي العام في ذلك العصر يعتبر العامل الاول والسبب الرئيسي لما جاء في مسرحيات شكسبير من نقائص ، وانعكس فيها من المثالب والمعائب التي

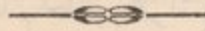
ردود على هذه التهم

١ - راجع هذا في الفصل الاخير تحت عنوان « هل ألف شكسبير مسرحياته ؟ »

٢ - « Anachronism » أي ذكر الشيء في غير أوانه من التاريخ ، كذكر ثيسوس

« Theseus » في (حلم ليلية في منتصف الصيف : المشهد الاول من الفصل الخامس السطر ١١) لهيلين (Helen) الغادة الجميلة التي أثارَت حرب طروادة ، بينما عاش ثيسوس حسبما تزعم الاسطورة قبل ذلك بزم من طويل . وكذلك ذكر هكتور « Hector » في (ترويلس وكر سيدا : المشهد الثاني من الفصل الثاني السطر ١٦٦) لارسطو الذي عاش متأخراً عنه كثيراً . ثم ذكر شكسبير للمرأة في (الملك لير : المشهد الثالث من الفصل الخامس السطر ٢٦١) في عصور لم تعرف بها قط ، وغير ذلك من الاخطاء العلمية الغامضة .

لم يستطع التخلص منها .
وكذلك يردون على من يأخذ عليه خلو ادبه من فلسفة نظامية او عقيدة دينية
آسرة ، بأن شكسيير انما يصور الحياة ويصفها على حقيقتها ، لا كما يريد ان تظهر .
فقد جعل لكل شخص من اشخاص مسرحياته ، من الملوك الى السوقة ، فلسفة
خاصة ونزعة مستقلة ، فكل منهم ينظر الى الحياة بمنظار غير ما ينظر به غيره .
كل ذلك يحدث ، وشكسيير قابع وراء الستار مخنف ، يحرك هؤلاء الاشخاص
ويوجههم كأنهم دمي بين يدي طفل . ولكن ليس في كل ما يأتون به من حركة ،
او ما يتصفون به من اخلاق واطوار ، او تختلج به نفوسهم من عواطف ونزعات ،
ما هو غريب وشاذ عن طبائعهم ، او بعيد عن خواصهم واوضاعهم الحقيقية .
ذاك ، وما دام الادب ، في اسمى اشكاله ، صورة كلامية للحياة ، ففي هذا
وحده ما يضمن لشكسيير السمو والخلود الابدي !



عناصر عبقرية

نعود الان الى النظر في شهرة شكسيير الادبية ، وتحليلها الى عواملها ، وردها
الى أدق عناصرها ، وايضاح الاسباب والميزات التي اكسبتها هذا السمو البالغ
حد الكمال .
وانا على يقين ثابت ان ليس ثمة اديبان اثنان يتفقان تمام الاتفاق في تحليل شهرة
هذا الشاعر الكبير او تحليل عبقرية . اذ تكاد تكون مسرحياته مرآة صافية
تنعكس عنها الحياة بكاملها ، فنرى فيها ما يحرك العاطفة ويثير الشعور ، وما يبعث
الخيال ، ويغذي العقل ، ويملأ النفس متعة فنية وسروراً .

وقد تطالع شعراً او نثرأ عادياً ، فيثير في نفسك من جمال الاسلوب وسحر المنى وسحر البيات ما قد لا يفعله في نفس غيرك . فكيف اذن بهذا الينبوع الحي المتدفق ، الذي هو آية الادب ووجهه في كل عصر ومصر ، والذي هو بحق صورة صادقة للحياة بأسرها ؟

قلت : لا يتفق اثنان تام الاتفاق في تحليل ادب شكسبير وشرحه وتعليقه ؛ بيد أنك قد تجد أكثر من اثنين من يتفقون على عدة مظاهر بارزة ، بها برع شكسبير وبرز ، وظهر على جميع الابداء منذ هو ميروس حتى عصرنا الحاضر .
هذه المظاهر هي التي أرغب في عرضها ومعالجتها بإيجاز في الفصول التالية :

١ - فلول الافراد

ليس كقراً ما ذهب اليه دوماس الاكبر من (أن لشكسبير أكثر الخلائق بعد الله عز وجل !) بل انه تعبير وثني سائغ في الادب ومستملح ، أتى به دوماس للتدليل على هذا السمو العظيم الذي بلغ من نفس شاعرنا حدأ لم يبلغه من نفس ادب آخر في الحياة ، وكذلك على فهم شكسبير الصحيح الواعي لعناصر الطبيعة البشرية ، وتمكنه من وصفها وبراها في صورة ضمنت لها الخلود الدائم .

فقد برأ هذا النابغة وأبدع الفئة الكبرى من اشخاص مسرحياته ، حتى لكأنك ترى الواحدة من هذه المسرحيات كأنها قطعة حية متحركة من الناس ذوي النزعات المختلفة ، والمشارب والميول المتباينة ، بل لسوف تجد بعد أن يتاح لك مطالعة بعض المسرحيات التي اشتهر بها شكسبير ، انك قد تعرفت على جمع غفير من الخلائق الادبية التي أفتت شاعرنا في صنعها ، وصادقت الكثيرين منهم ، وذكريتهم كما تذكر اصدقاءك المقربين ، وبلوتهم ، وخطتهم بنفسك .

ينقسم عالم شكسبير الى ثلاث طوائف متنوعة ، طائفة اخذها من التاريخ ، فلم يلسها بريشته الفنية السحرية الا بعض اللبس مع هذا ثلاث طوائف :

فانك ترى معظمها جديداً عليك ، غير ما هي عليه في التاريخ ، كأنما الحياة قد دبت في جميع أطرافها بهذا اللمس السحري الرفيق . من هذه الطائفة جون وهنري وريتشارد ، وغير هؤلاء من الملوكة على اختلاف أرقامهم ، وكذلك يوليوس قيصر ، وانطوني ، وكليوباترا ، وجان دارك وغيرهم .

ثم طائفة ثانية وردت اسمائها في القصص والاساطير القديمة الشائعة في عصر شكسبير ، لكنها تبدو في مسرحياته بحياة وجدة ونشاط عجيب . هذه الطائفة هي مفخرة شكسبير وأساس شهرته العالمية . ففيها

جميع الشخصيات القوية النافذة التي ، حين تدرس اطوارها وتعجبم اعودها وتتبع تصرفاتها ، منذ ان تظهر على المسرح حتى تغيب ، تجد انها قد نفذت الى قلبك ، وانطبعت في ذهنك ، بل اصبحت جزءاً من نفسك . شخصيات ان أحسنت دراسة المسرحيات التي وردت فيها ، ووعيتها وعباً تاماً ، وتأثرت بها وأحببتها ، ملكت عليك كل نفسك وكل قلبك ، فذكرتها ، وضربت بها الامثال ، كأنها من اصدقائك الاقربين . من هذه الطائفة ، هاملت الامير التمس المحزون ، الذي اذهله موت والده ، ونفس عيشه وخلق منه ذلك الفيلسوف الكئيب الساخر . وكذلك ما كبت الجندي الشجاع في الظاهر ، والشاعر الخالم بالحمد ، في الحقيقة والباطن ، الذي يرى اهواءه الشريرة ماثلة امام عيذه واضحة جليلة ، فيعجز عن بارغها وحده ، حتى اذا ما اتبع له ان يحقق طرفاً منها ، نجده رغم ذلك ابعده ما يكون

١- رجال عن المسرة والغبطة . واياغو (١) «IAGO» الحية الرقضاء ، النافثة السم الزعاف بمحذوق ودهاء ، الا انه لا يستطيع الافلات في النهاية ، وانما ككل افعى خبيثة نوطاً وتسحق سحقاً . ومنها شياوك (٢) «SHYLOCK» المرابي الشهير ، الشاكي الباكي لانفه العليل ، الفقير رغم المال الوفير ، الذي فيه تتمثل المادية الماكرة العاشمة ، الخالعة عذار المروءة والشرف والانسانية ، والمستديحة كل شيء في سبيل

١ - في مسرحية (عطيل)

٢ - في مسرحية (تاجر البندقية)

كسب المال وتحقيق الاغراض الجشعة . وفولستاف (١) « Falstaff » الشخصية الفكاهية المماجنة ، وزعيم المهرجين أنى ورد ذكرهم في آداب العالم ، والبوميسي العرييد الذي لا يعرف من الزمان غير ساعة أنس يقضيها مع البرنس « هنري » في لهو وعبث وسرور . وروميو العاشق المنتهالك في عشقه لوليت ، والمحب المذله بحبه لها ، والمجازف في سيبلها الى ابعده حدود الطيش والجنون .

ومن هذه الطائفة أيضاً بورشا (٢) « Portia » امرأة الصالون ، وسيدة الاندية والمجالس الراقية ، الآخذة بقسط وافر من الثقافة ولب الحضارة . وكاترين (٣) السليط الشرود ، ذات الطبع النزق والحلق الشكس ، التي لا تتراض ولا تلتين بغير الشدة والعسف . وروزالند (٤) « Rosalind » الغادة السبعة الوقور ،

٢- تشاء النابضة بأرق الاحاسيس النبيلة ، والمتحملة في سيبل الحب الصادق الشريف ضروب العذاب واصناف الآلام والاشجان . والسيدة ماكيبث الجريئة الى اقصى حدود الجراءة ، والطموح الى حد الجشع المنكر ، والتي لا تعرف في الحياة غير اشباع رغباتها النهمية ، واعوانها الشرعة ، فلا يردعها شيء . عن تحقيق اطماعها البعيدة واهدافها الانيمية . وايزابلا (٥) « Isabella » المرأة الحصان ذات الطهر والعفاف ، وكالبورنيا (٦) « Calpurnia » ذات الوساس والهواجس والاحلام . وغير هؤلاء من مئات الخنوقات على اختلاف الطبائع وتباين الاذواق ، ممن لا يتسع لدراسة نفسياتهم دراسة مستفيضة اكبر المجلدات ، فكيف يبحث خاطف كهذا ؟

والطائفة الثالثة هي الكائنات الغيبية والاحياء الخرافية ، كالسواحر ، وبنات

١ - في مسرحية : هنري الرابع ، مجزئتها الاول والثاني

٢ - في مسرحية : تاجر البندقية

٣ - في مسرحية : ترويض المرأة الشرود

٤ - في مسرحية : كما تشاء

٥ - في مسرحية : كيل بكيل

٦ - في مسرحية : يولوس قعر

الغاب ، والجن والاشباح . فهذه وان جاء ذكرها في الاساطير
القديمة ، فان شكسبير يجعلها في مسرحياته حية كل الحياة ، لافرق
في ذلك بينها وبين عالمه البشري

وانت حين تذكر أبرز شخص مسرحياته ، لا ريب ذاكر معهم أريال (١)
« Ariel » ذلك الروح الهوائي الطروب ، الذي لا يطبق القيد ولا يتحمل الاستعباد ،
فهو هائم في الفضاء ، متنقل فوق الهضاب ورؤوس الاشجار ، وكانجل تراه يحوم
بين الرياحين والاثمار ، يهتف بهذه الزهرة ويمتص رحيق تلك ، ويرد في اثناء ذلك
الجان الحرية والطبيعة والجمال . وكذلك بك (٢) « puck » رسول الجن ونديم
ملكية اوبرون « Oberon » و « Titania » بل ذلك الروح الجيث الماكر ،
الساحر من الناس ، والعاث باكثرهم . وكالبيان (٣) « Caliban » الحيوان ذا
التركيب الجسماني المريب ، والنفس المنطبعة على الاثم وحب الاذى . وشمط
السواحر (٤) اللاتي يسرن مع الريح ، ويظهرن في كل مكان ، دأبن ايقاف الناس
وقراءة مستقبلهم . ثم اشباح القتلى ، كشبح والد هاملت الذي يظهر في ساعات
معينة من النهار ، مهيباً به الى الاخذ بثأر والده . وشبح يوليوس قيصر الذي
يهمن على بروتنس بعنابه الاليم ، ويؤثر فيه ويدفعه للانتحار . وغير هذه من
اصناف الكائنات الغيبية التي لو عاشت على الارض كما يعيش الانسان ، لما اظنها
حادث او خرجت في جميع تصرفاتها واطوارها عما رسمه لها هذا الشاعر المبدع العظيم !

٢ - على الجماهير

ولا تظن شكسبير قد التزم تكوين الافراد ولم يتعداهم الى الجماعات . فقد

- ١ - في مسرحية : العاصفة
- ٢ - في مسرحية : حلم ليلة في منتصف الصيف
- ٣ - في مسرحية : العاصفة - ويرى السير سدني لي ان شكسبير حين صور كالبيان ربما تأثر بالانسان
الاصلي القديم « Aboriginal Type » الذي احضره الم - افرون من اميركا الى انجلترا
فشاهده او سمع به او قرأ عنه .
- ٤ - في مسرحية : ماكبث

احاط بنفسية الجماهير على اختلاف اشكالهم وتباين طبقاتهم ، فصور
نفسية الجماهير
الغوغاء والنبلاء والرعاة (١) والجنود (٢) واهل الحرف والصناعات
وحفاري القبور (٣) وفرق التمثيل (٤) وغيرهم من جميع الفئات والهيئات التي
يمكن للانسان ان ينتظم فيها .

ففي مسرحية « يوليوس قيصر » مثلاً ، نراه ، يلم الماماً عجيباً بروحية الرعاع ،
فيجعلهم كالكرة يتقاذفها الصبيان فهم أولاً في قبضة بروتس ، ويخيل للقاري .
انهم لن يفلتوا منها ، ثم ما لبث ان نراه يتسربون الى يد انطوني ، واحداً ، واحداً .
ومن غير شكسيير يستطيع ان يفتن في وصف هذه الذبذبة في اهواء الجماهير
والترنح في عواطفهم والبلبلة في عقولهم ، ان كانت لهم عقول ؟ بل من غيره قادر
على ان يضع على لسان كل من انطوني وبروتس هذا البيان الساحر الذي يخلب
السامعين الباهيم ، ويسلب ارادتهم ، ويتلاعب بأفكارهم ، وينطقهم اقوالاً ، بعضها
معقول ، وجلها بعيد عن العقل والمنطق . واشهد اني لو كنت استمع
مع الغوغاء الى هذين الخطيبين ، وكل منهما يلقي خطابه بدوره ، لاحترت في أيهما اصدق ،
وبأيهما اتق والتحق !

وايضاحاً لما اقول ، وبرهاناً على براعة شكسيير في تطبيق علم السيكولوجيا
عملياً ، لا يسعني الا ان اقول لك احد المشاهد (٥) ، وفيه نشاهد الغوغاء وقد بلغ
بهم الحماس والغضب والهياج مبلغاً عظيماً بعد ان استمعوا الى خطاب
مشهد غوغاء
انطوني المثير ، فخرجوا مندفعين كالجحاشين يبحثون عن قتلة قيصر ، فيلاقون
الشاعر سنا « Cinna » الذي لم يشترك بالموامرة ، وانما شخص آخر يحمل هذا

١ - في قصة الشتاء ، وكا تشاء ، وهنري السادس

٢ - في هنري الخامس ، وكوربولانس ، وما كبت ، وغيرها

٣ - في : هكت - المشهد الاول من الفصل الخامس

٤ - في : هكت - المشهد الثاني من الفصل الثاني

٥ - المشهد الثالث من الفصل الثالث من مسرحية : يوليوس قيصر

الاسم سامم بها بالفعل ، فتظن الغوغاء سنا الشاعر ذاك الآخر المتأمر ، فيأدره أولهم بقوله :

١ - ما اسمك ؟

ثان - ابن ذاهب ؟

ثالث - ابن تقيم ؟

رابع - أعزب انت ام متزوج ؟

ثان - اجب على سؤال كل منا رأساً

اول - اجل ، وباختصار !

رابع - اجل ، وبعقل !

ثالث - اجل ، وبصدق ! ذلك خير لك !

سنا - ما اسمي ! والى اين اذهب ! واين اقيم ! وهل انا اعزب ام متزوج !

ثم اجيب باختصار وبعقل ، وبصدق . واجابة على هذه الاسئلة كلها ، وبعقل ،

اقول اني اعزب .

ثان - كأنك تريد ان تقول ان الذين يتزوجون حمقى ؟ انك لجدير بصفعة لهذا !

مع ذلك اتم حديثك ، واجب رأساً .

سنا - رأساً ، انا اذهب الى جنازة قبصر .

اول - كعدو ام كصديق ؟

سنا - كصديق .

ثان - لقد اجبت رأساً على هذا السؤال !

رابع - ومسكنك ؟ قل وأوجز .

سنا - بأيجاز ، اني اسكن قرب بيت الحكومة .

ثالث - والآن ما اسمك ؟ قل الصدق ! يا سيدي .

سنا - الحق انت اسمي سنا .

اول - مزقوه انه من المتأمرين !

سنا - انا سنا الشاعر ، انا سنا الشاعر !

رابع - مزقوه لشعره السخيف ، مزقوه لشعره السخيف !

سنا - لست سنا المتأمر !

رابع - هذا لا يهم مادام اسمه سنا ، انتزعوا اسمه فقط من صدره واخلوا

سيله .

ثالث - مزقوه ! مزقوه ! هيا بالمشاعل الى بيت برونس وبيت كاشيوس ،
فلنحرقها كلها ! لنذهب فئة الى بيت ديشياس واخرى الى بيت كاسكا ، وثالثة
الى ليجاريوس . هيا بنا ، جميعاً (بخرجون) »

ثم هنالك منظر الشعب « Plebians » المتألم الجائع والذي هو بسبب هذا الجوع
هانج ساخط ، نائر على كل شيء ، كافر بكل فضل ، حتى فضل
كوربولانس البطل الذي رد عن روما خطر أعدائها (١) في الشمال .
ويجب شكسبير ان يصور كوربولانس بعد عودته من ساحة

شعب جائع
نائر

القتال منتصراً ، متعجرفاً ، متكبراً ، محتقراً للرعاع ، متجهماً في وجوههم ، بالرغم
بما يكونونه لهم من مزيد التقدير والاجلال ، وبما يداخلهم من ميل شديد الى تنصيبه
فنصلا عليهم ، لانه أزال عنهم كابوس الموت الجاثم في الشمال . أليس من حق
كوربولانس ان يحترق الناس ويمنع عنهم الحُبز ؟ ألم يخلق من طينة غير طينتهم ،
ويهبط عليهم من مكان لا يدري أحد غيره اين هو ، آتياًهم بالفرج بعد الضيق ،
وبالامل بعد اليأس ، وبالحياة بعد الموت ؟ ألا انها طبيعة الانسان ، بل طبيعة
الفرد ، يرفعه الناس فوق الرؤوس ، ثم ما يلبث ان ينظر اليهم من
رفوه فاستكبر
عل ، نظرة من يظن انه من جبلة غير جبلتهم ، لانه - في رأيه -

لم يصعد من الارض صعوداً ، وانما هبط عليهم من السماء ... وهم لن يمكثوا طويلاً
حتى يشعروا بشدة وطأته ويثنوا تحت عبء نيره الثقيل ، وينظرون الظروف

الملاءمة، ويترقبون الاسباب للخلاص منه . وهل ثمة سبب اقوى وافعل من الجوع؟

لذا فقد جعل شكسبير الرعاع في مسرحية « كوريولانس » جياعاً - ومتى كان الرعاع غير جياع؟ - وصور كوريولانس كأنه فرعون في طغيانه وزهوه

واستكباره، ووضع على لسانه كلاماً مهيناً، جارحاً، مثيراً لحفاظ اسقاطه ونفيه هؤلاء الرعاع المساكين، مما بعث النقمة والسخط في نفوسهم، وأنسام

اعماله الجليلة بالامس، ودفعهم الى التفكير الجدي بما كتمه . فيحاطكم، ويخلع، وينفى؛ حتى اذا ما جن الليل، رأيناه ينسل من روما تحت جنح الظلام،

وينجح صوب مراكز العدو في الشمال، ويدخل بيت خصمه القائد اوفيدوس،

« Aufidius » ويجلس مع الخدم متدثراً بعبائته حول النار . فيبلغ في بيت خصمه القائد خبر هذا الانسان الغريب، فيطلبه، ويشرح له كوريولانس

واقع الحال، ويقنعه باعادة الكرة على روما: فيقتنع اوفيدوس، ويتولى

كوريولانس قيادة جيش كامل العدة والعدد، ويهبط به على روما لينتقم لكرامته

المجروحة من هؤلاء القوم الذين جهدوا فضله وتنكروا له بعد كل ما صنعه

لهم من خير .

ويعلم اهل روما بما فعله كوريولانس وبما بيته لهم من شر، فيشرع العوام

الذين تسببوا في نفيه، كل منهم يدفع المسؤولية عن نفسه، فيقول احدهم:

« انني حين دعوت الى نفيه اردفت بقولي « انه لمؤسف حقاً! »

وقال ثاين: وانا قلت مثل هذا!

وقال ثالث: كذلك قلت انا: والحقيقة كثيرون قالوا هذا، وذكروا انهم

قاموا بما قاموا به مدفوعين لما هو افضل، ومع اننا قبلنا بنفيه،

الا ان ذلك كان ضد ارادتنا! »

فيسعون لاسترضائه، ويسلكون في ذلك سبلا شتى، وانا من غير جدوي.

وأخيراً يعثون إليه بأمه وزوجه وولده الصغير، فتخاطبه تلك الأم
 العظيمة بكلام جارح، فيأمر الجيش بالتراجع. لكنه تراجع يدفع
 ثمنه غالباً، إذ ما يكاد الجيش يدري بما انتواه قائدهم الجديد،
 حتى قبضوا عليه، واتهموه بالخيانة العظمى، وقتلوه على مشهد
 من الجميع.

وهكذا يذهب كوريولانس نتيجة التبدل الذي طرأ على نظرتة للشعب
 المسكين، وضحية طاعة الأم ومحبتها الفائقة. وأشهد ان شكسبير قد برع واجاد
 وأفاد في تصويره الدور الذي يلعبه. «الريغف» في حياة الناس،
 كيف فعل الجوع في نفوسهم كالسحر، فلم يدروا ما هم فاعلونه
 اليوم، ولا هم ذاكرون ما فاعلوه بالأمس، ولا هم عالمون بما قد يجيء به الغد
 من نتائج وخيمة. فالجوع قد طمس على عقولهم وقلوبهم وأعمى بصائرهم، وأنساهم
 كل شيء الا أنهم جياح يحتاجون الخبز ليضعون ويشبعون.
 اسمع وصف شكسبير لهم :

« قالوا لهم جياح، وارسلوا مع الزفرات الامثال على الجوع الذي حطم
 الجدران الحجرية. وقالوا: حتى الكلاب يجب ان تأكل، وان اللحم قد خلق
 للافواه، والآلهة لم تبعث القمح للاغنياء وحدهم! »
 أجل! ان الآلهة لم تبعث القمح للاغنياء وحدهم، يا صديقي تولسنوي! وتقول
 مع ذلك، ان شكسبير يدعو للثروة والطبقة! (١)

وهكذا يبرهن شكسبير على نفاذ عقله ودقة فهمه ووعيه لسيكولوجية الجماهير.
 وانا اضئ ان تظن شكسبير يمقت الدهماء وعامة الناس ويحتقرهم اذا
 يصورهم هذا التصوير المزري الشائن. والحقيقة خلاف ذلك؛ فان مسرحية
 «كوريولانس» تصف بدقة وبراعة النزاع القائم بين طبقتي العوام

الاشراف ، وتسجل الفوز الباهر الذي أحرزته طبقة العوام على
 يصور الواقع تلك . فشكبير - كما شرحت لك - قد وصف طبقيان الفرد
 وصلفه وكبريائه ، بما ادى بقومه الى مقتنه واحتقاره ، والدعوة العامة لمحاكمته ونفيه .
 بينما صور طبقة العوام تصويراً يستدر عطف القاريء وشفقته عليهم ، ويستميله بلا
 شك الى الشعور معهم شعوراً قلبياً خالصاً ، فيتمنى لو انه يستطيع الثورة معهم
 على الظلم والطغيان !

ثم في (الملك لير) تراه يحرك كل عاطفة نبيلة بالمودة والحسنى لهذه الطبقة
 البائسة من الناس . اسمع مثلاً هذا الملك (١) ينادي من وسط العاصفة الشديدة التي تزارر
 حوله ، قائلاً :

وانتم ايها البؤساء العراة أنى كنتم ! يا من تتلقون وابل هذه العاصفة القاسية !
 كيف تستطيع رؤوسكم المكشوفة ، وجنوبكم الناحلة جوعاً ، وأسمالكم
 الممزقة البالية ان تقيكم اذى فصول كهذه ؟ عرض نفسك لأن تعاني ما يعاينه
 التعساء ، لعلك بعد هذا تدفع لهم بالزائد عن حاجتك ، وتبرهن على عدل السماء !
 وفي (هنري الرابع) لا يحجم شكبير عن التمدح بانخلاق عامة الناس
 واطراء سجاياهم الكريمة . كما انه يجنح في كل من : « كما تشاء ، وقصة الشتاء ،
 ، وبركليس ، وهملت ، وكييل بكييل » الى المساواة بين العامة والخاصة حين
 يتناولهم بأدق الوصف والتحليل .

ذاك ، ولم يقتصر في تحامله على طبقة العامة الدهماء ، ان كان فيما فعله شيء من
 هذا ، بل تجاوزه الى حصد الهزء بأبناء الملوك في (ازواج ونسر المسرحيات) ،
 والازدراء بالجنود في كل من (ماكبث) ، (وعطيل) ، ولا سيما الاخيرة حيث
 صورهم في اشنع حالات السكر والعريضة وأرذلها .

والحقيقة التي لا مرأى فيها أن شكبير في لينه وتحامله ، وفي قسوته وتساهله

انما يصور الحقيقة والواقع ، وليست له نزعة او فكرة خاصة يجب ان يعرضها او يدعو لها ؛ فاذا ما عرفنا ذلك ، وذكرنا هذه الحقيقة ، استطعنا ان نرد على كل من يدعي خلاف ذلك ، وامكنا ان ندرس هذه المسرحيات بعين صافية ومنتعة فائقة ايضاً .

٣ - مرآة صادرة

لاشك في ان ادب شكسبير خير صورة مجلوة صافية تنعكس عنها الحياة ، والطبيعة البشرية على تباين عناصرها ومظاهرها ، في عصر اليزابث ، وفي جميع العصور التي سبقته او تلتها ، بالرغم من خروج الشاعر في كثير من المشاهد والحوادث على الواقع والمألوف ، وانطلاقه في عالم التصاوير الغريبة صورة الحياة : والحوادث والوقائع الخيالية البعيدة ، مما جعل ارباب المذهب الكلاسيكي يتعاملون عليه ، ويتناولونه بالنقد اللاذع .

فبعض هذه المسرحيات سجل فني للحوادث التاريخية الغابرة ، وفي بعضها اشارات للمظاهر الاجتماعية والسياسية والدينية في عصر شكسبير ، والأهم من هذا انها ، في غالبها ، صورة صحيحة للحياة في كل مكان وزمان .

اما الماضي ، فقد تناوله في السلسلة التي بسط فيها تاريخ بريطانيا منذ عصر جون (KING JOHN) حتى هنري السابع (١) ، وكذلك في « الملك لير ، وماكبث ، وسيمبلين » . ولم يقتصر على تاريخ بريطانيا ، بل تعداه في المسرحيات الرومانية (٢) الى معالجة شطر من تاريخ روما القديم . كما انك لتقرأ في (عطيل ، والعاصفة ، وهملت ، وحلم ليلة في منتصف الصيف ، وبركليس ،

في الماضي

١ - يجمع مؤرخو الادب الانجليزي على ان شكسبير لم ينفرد بتأليف « هنري الثامن » ويقفون

بان فلتشر ومانجر « MASSINGER » اشتركا معه في ذلك

٢ - وهي : يوليوس قيصر ، وانطوني وكليوباترا ، وكوربولانس ، وتيطس

الدرويكس

وترويلس وكرسدا) اوصافاً بارعة لاقوام وحوادث في عصور غابرة ، قد لا تمت للتاريخ بصلة . والذي يثير في النفس دهشة واعجاباً ، ويزيد ادب شكسبير خصابة وطرافة وجمالاً ، تلك الممالك من الجن والآلهة التي ابداع في تصويرها انما ابداع .

هذا من حيث الماضي ؛ أما ان هذه المسرحيات تصور طرفاً من عصر شكسبير الى حد بعيد ، فحقيقة راهنة تتجلى لكل من درس ذلك العصر دراسة وافية . ولا اذهب بعيداً في اثبات هذا . فما مسرحية (جهد الحب الضائع) في عصر شكسبير سوى صورة جليلة واضحة لناحية رئيسية من نواحي الحياة الاجتماعية في شكسبير . فهي تشير من طرف خفي الى مختلف الأزياء ومظاهر البهجة والزينة في ذلك العصر كما يصف شكسبير في « هنري الرابع » (١) نطقاً من لوردات ذلك العصر ، هازناً بلباسه المزخرف المعطر ، وذقنه الشبيه بنبت الهشيم وسلوكه المتكاف المتبذل ، ونشوقه الذي يشم منه بين حين وآخر ، واسارته العصبية ، وتصرفاته الشاذة مع الجنود .

وقد وردت في بعض مسرحياته (٢) اوصاف طريفة لليلي الأنس وما كان يتخللها من ألوان اللهو والعبث من غناء ورقص تنكري وغيره ، وهي تمثل حياة لندن الاجتماعية ولا سيما عند علية القوم ، تمثيلاً يقرب من الواقع . وآمل ان لا يفوتك ان الجوالبوهيمي الذي نجح على البرنس هنري وفولستاف (٣) في ساعات اللهو والانشراح ، لم يك غريباً عن لندن وغيرها من المدن في عصر اليزابث . كما ان وصف شكسبير الدقيق لحياة القصور في (ريتشارد الثاني) ، وهاملت ، وسيمبلين ، وحلم ليلة في منتصف

١ - هنري الرابع ، ج ١ - المشهد الثالث من الفصل الاول ، من الاطراف ٣٣ الى آخر خطاب

هوتسبر « HOTSPUR »

٢ - اكثر هذا الوصف في : جهد الحب الضائع ، روميو وجوليت ، وحلم ليلة في منتصف

الصيف ، وسيمبلين ، وأزواج ونسر المرحات

٣ - خصوصاً ما ورد في الجزء الاول من « هنري الرابع »

الصف) وغيرها انما هو تصوير للحياة في قصور اليزابث وجيمس المختلفة . بل ان الازدراء بخفراء الارياف في كل من (جعجعة ولاطحن) أو (جهد الحب الضائع) ليس الا ازدراء شكسبير نفسه بأفراد عايشهم وعرفهم حق المعرفة . كما لست اشك ان جماعة العمال واهل الحرف والصناعات ممن تعرض لهم في بعض مسرحياته ليسوا هم الا بعض من شاهدتهم وخالطهم وخبرهم ، حتى تمكن من تصويرهم بمثل هذه البراعة الفائقة حد الوصف .

هذه ملحّة خاطفة وشارة عابرة لا بد منها لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية التي صورها شكسبير كما بانّت له في عصره ومحيطه . وهناك نواح أخرى تقيّد في وصفها بما كان شائعاً في زمانه ، كالاتقاد بالحرفات والسحر والعالم الغيبي . ويؤيد ذلك ما جاء في النصوص التاريخية والدينية عن انتشار السواحر في عهد اليزابث ، وعن سعي الكنيسة لمكافحةهن بكل ما في وسعها من سطوة وقوة . هذا خلايمان العامة وبعض الخاصة بالارواح والجن الذي يملأ الفضاء ، ويسود الخرائب والاطلال ، ويتخطر في الازقة والشوارع في الليل ، ولا يظهر الا في ظروف معينة لاناس معينين . ثم ان في بعض مسرحياته (١) تلميحاً لطيفاً بارعاً للموقف العدائي الذي كانت تقفه الطوائف الدينية المحافظة من المذاهب والشيع الجديدة ، وقد بدأت تظهر في ذلك العصر ، وتنتشر بسرعة تلفت اليها الابصار . كما ليس بمستبعد ان يكون في اشارة شكسبير للنزاع بين فرق الممثلين تعريض بالخلاف المستفحل في ذلك العصر بين اصحاب المسارح العمومية وبين فرق الصبيان التمثيلية (٢) .

وفي كثير من المناظر الطبيعية الخلابة التي رسمها في معظم رواياته الرومانسية

١ - كتمريضه مثلا بطائفة الطهرين "Puritans" في مسرحية (البيلة الثانية عشرة ، ولاسيا
المشهد الثالث من الفصل الثاني ، فيه يمثل مالقوليو « Malvolto » هذه الطائفة ابرع
التنمیل وأدقه .

٢ - كانوا يعرفون في زمانه بصبيان الكنيسة « Children of The Chapel » وقد اشار
اليهم في المشهد الثاني من الفصل الثاني من (هاملت) وخاصة في السطر (٣٥٤ - ٣٨٠)

« ROMANTIC PLAYS » (١) لا ريب انه تأثر بما كان يحيط بيئته من طبيعة فاتنة ويستمتع به في نزواته من مشاهد هبية ساحرة . وكما لست أشك أن غابة اردن « ARDEN » التي ورد وصفها في احد مشاهد (كما نشاء) (٢) انما هي الغابة التي كانت تكتنف بيت شكسبير ، والتي اعتاد ان يخرج اليها طفلاً وبافعاً ويستمد منها هذه الاوصاف الشعرية الفريدة ، فيختزنها في صدره ، ويتمثلها في نفسه ، ليعبثها بعد حين من الزمن انغاماً مشرقة خلافة ، وصوراً هبية للألاءة ، في تلك المسرحية الخالدة ، وفي غيرها أيضاً .

وهناك اشارات الى بعض الحوادث السياسية والطبيعية التي وقعت في عصره ، بيد أنها مجزأة وموزعة في ثنايا السطور . وهي ، على هذا التجزؤ والتبعثر ، تدل على عناية شكسبير بشؤون عصره عناية لم يستطع التجرد منها بتاتاً ، كما اشارته مثلا في هنري الخامس (٣) الى الجيش الذي ساقته اليزابث تحت قيادة ايرل أوف أسكس « Earl of Essex » لاختضاع ايرلندا الثائرة في (١٥ نيسان ١٥٩٩) وعودته منها في (٢٨ ايلول) من السنة نفسها . وكأشارة الممرضة « The Nurse » في « روميو وجوليت » (٤) الى الزلزلة التي وقعت سنة ١٥٨٠ ؛ ثم ذلك القول في « حلم ليلة في منتصف الصيف » (٥) الذي به يطري اوبرون الملائكة اليزابث ، ويشيد بجلال ملكها وعظمة سلطانها ، ومثل ذلك اشارته في « الملك لير » (٦) الى الكسوف الذي حدث في اكتوبر سنة ١٦٠٥ ، والحسوف الذي سبق ذلك في سبتمبر من تلك السنة .

نستخلص من هذا ان شكسبير كان ابن عصره ومحيطه ، بل انجليزياً أصح ممياً واليزابثياً

-
- ١ - وهي (سبلاين ، وقصة الشفاء ، والعامرة)
 - ٢ - المشهد الاول من الفصل الثاني من هذه المسرحية
 - ٣ - افتتاحية المشهد الاول من الفصل الخامس السطر ٣٠ - ٣٢
 - ٤ - المشهد الثالث من الفصل الاول السطر ٢٣
 - ٥ - هو في الاصل هكذا : « Fair vestal throned by the west » وقد ورد في المشهد الاول من الفصل الثاني السطر ١٥٨
 - ٦ - مسرحية (الملك لير) - المشهد الثاني من الفصل الاول السطر ١٥

الى حد ما في تصويره لكثير من مظاهر الحياة وجوانب الطبيعة البشرية، وفي اشاراته العابرة الى بعض الاحداث السياسية والطبيعية في ذلك الزمن ايضاً .

وانا لا أجد بدعة او غرابة في ان شكسبير تأثر بعض الشيء بالحياة التي كانت تحيط به ، حين ألف تلك المسرحيات . فالفنان بالغا ما ينبغ من العبقرية والالهام لا يستطيع الانطلاق التام والتجرد من بيئته ومألوفه في ما ينتجه من فن . ومهما حاول اخضاع فنه لطبيعته ومزاجه ، فإنه لا يصيب في ذلك كل النجاح ، اذ لا بد أن يظهر عليه علامت البيئة التي نشأ فيها ، وتعلق بفته آثار من الحوادث التي تقع على مرأى منه ، في محيطه وزمانه .

واقد أجاد كارلايل كل الاجادة حين شبه عصر اليزابث بنبتة نامية مورقة تضافرت جميع اجزاها ، الكبير منها والصغير ، على تكوين هذه الزهرة البانعة العبقرة المسماة (شكسبير) !

لكن عبقرية شكسبير لا تتجلى بعظمتها وجبروتها في ما بسطناه وأوضحناه من

وصفه وتصوره للحياة في ذلك العصر او قبله من العصور فحسب ، بل في جميع الازمان ، وعند كل الامم . فقد سما بعبقريته فوق

حقب الزمن ، فتغلغل في الماضي ، وتأثر بالحاضر نتيجة تفاعله معه ، واجتازهما الى المستقبل المجهول ليخاطب عقولاً لم تكون ، ونفوساً لم تخلق بعد !

ولقد وصفنا فيما مر ، مقدراته الابداعية الفائقة وعبقريته الحارقة في خلق الافراد والجماعات ، الامر الذي لا يتأتى الا لمن خبر الطبيعة الانسانية وبلاها ، وعرف اسرار النفس البشرية ووعاها ، بجورها وليس بعرضها . ذلك لان الجوهر خالد لا يفنى بفناء مظاهر الحياة الزائفة ، اما العرض فلا يعمر اكثر من جيل او اثنين على الغالب ، بل لا بد ان يمسي طعاماً للددود ، ان طال الزمن ام قصر . فمقارعة الزمن ومحاوله القبض عليه ، انما هو المقياس الصحيح لخلود الادب ، بل خلود كل شيء في الحياة .

وقد لا يهم الاديب ما في روايات شكسبير من عناية خاصة بعصره او بما سبقه من عصور ، من النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية ، بالقدر الذي قد يهم المؤرخ والسياسي . لان هذه المواضيع في نظر الاديب اعراض فانية زائلة ، لا تثير شعوره

او تغذي عقله وتبعث خياله ، اذ انها تقتصر على فئة واحدة في محيط واحد وعصر واحد ايضاً . انما المهم لديه وصف الطبيعة البشرية بما تنطوي عليه من غرائز ، ومظاهر عاطفية وفكرية

موضوعه
جوهر الانسان

وروحية واجتماعية . فما دام الانسان انساناً يشعر ويتأمل ويتألم بشكل دائم ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، فالأدب الذي يعالج موضوع الانسان ، بجوهره ، أدب سام خالد ، لا يفنى بفناء الساعة التي يتكون فيها .

وهذا العمري ما ضمن لادب شكسبير هذا الخلود ، وهذه الشهرة العالمية العريضة . فما أدبه الا قطعة من نفس الانسان ، وصورة صادقة لقلبه وعقله معاً . فانه لا يترك عاطفة او خلجة او حسالة من اشد حالات النفس حزناً وكمداً ، الى اكثرها غبطة ومرحاً ، بغير وصف دقيق وتصوير واقعي بارع ، موشى بحجة أخاذة من الخيال الرائع . ولم تنفرد مآسيه بتصوير البؤس والكمد والدس والحسد والذعر والألم والبأس والسأم وحب النار والجشع ، بل لم تختص ملامه بتصوير اللذة والجمال والمرح والامل وحب الحياة ، وكل عنصر من عناصر السعادة المطلقة . اذ كل من مآسيه وملامه ، ككل بطل ، بل ككل شخص من اشخاص مسرحياته ، مركب من عناصر السعادة والشقاء ، تلتقي فيه صفات عديدة من الشر والخير ، والقبح والجمال . اذ في ذلك صدق التصوير وبراعة الوصف ودقة الفهم للطبيعة البشرية ، التي أخال بذرتها واحدة لا تختلف في نفوس جميع الناس ، وان تفاوتت فيها عناصر الشر والخير بتفاوت الظروف والعوامل ، ولا سيما عاملا الوراثة والمحيط اللذان يؤثران في نفوس الناس ويصوغان اخلاقهم وطبائعهم صيغاً معينة .

لهذا ترى ان كل شخص من اشخاص هذه المسرحيات يكاد لا يلبث على حال واحد من احوال الحياة ، فهو معرض تارة للبؤس والشقاء واخرى للسعادة والهناء ،

تُصَف به رياح المهوم حيناً، وتهب عليه أنسام النعيم حيناً آخر. وازك لو تحيلت نفسك في الظرف الذي يعيش فيه احد اشخاص مسرحيات شكسبير، فانك غير مستطيع ان تفروه أو تفعل أو تشعر بغير ما يفوه به ذلك الشخص أو يفعله ويشعر به في ذلك الظرف.

ولقد حرص شكسبير غاية الحرص على ان تظهر شخصياته على المسرح سمينة، عبيلة، حية كل الحياة، لا هزيلة عجفاء، تسيطر عليها حالة واحدة، ويرين عليها مظهر واحد، ينبو عنه الذوق والنظر، ولا يملأ النفس او يشبع العقل اشباعاً. فالناظر في مسرحياته المتأخرة على الخصوص يلاحظ تدرجاً محسوساً في نمو الشخصية وتطورها ونضوجها، منذ بدء المسرحية حتى ختامها. فيجد نفسه، بعد ان يقطع شوطاً في مطالعتها، ازاء شخصية لم تسوع على عجل. شخصية كالشمع الشهي ناضجة نضوج الشمع الحلو الشهي على شجره. فهي قوية، نافذة،

بمثلة الجوانب، تفرض نفسها على القاريء فرضاً، فلا يستطيع ان يتغاضى عنها او يهملها وينساها. فلا غرو ان رأيت اعظم الممثلين يبذلون في دراستها غاية الجهد، وينفقون أطول الوقت، ليتمكنوا من فهمها على حقيقتها، واظهارها على المسرح حية، كاملة، لا وجه لانتقادها.

هاك مثلاً كاشيوس «CASSIUS» في مسرحية «يوليوس قيصر»، فهو كما تعلم رجل حسود، غير ان، بل لثيم رواع، بمعن في اللؤم والمراوغة، يطوي في نفسه أنغص السرائر واشنعا، ويكتم أشد النيات اثماً وحقارة، فلا يكشف أحداً بما يضره، جاعلاً بين حقيقة نفسه وبين الناس حجباً صفاقاً من المداهنة، كاشيوس وأستاراً كثافاً من المكر والمخاتلة. انما اين هو وهذا التحفظ والكتمان، من عين قيصر التي تنفذ الى الحقائق والجوهريات؟ فترى قيصر ينظر اليه ذات مرة بطرف خفي، ويهمس (١) في أذن انطوني هذا الوصف الصادق لنفسية كاشيوس:—

« هنالك كاشيوس بنظرته الهزيلة الجائعة ،
انه كثير التفكير ؛ رجال كهذا خطرون ! » (١)
ومع ان انطوني زعم أن كاشيوس رجل روماني نبيل ، وليس ثمة ما يوجب
خشيتيه ، غير ان قيصر يتمنى لو كان كاشيوس اكثر سمجة مما هو ، ويقول انه لا
يحسب لأحد غيره حساباً ، ويستمر في وصفه قائلاً : -

« ... انه يطالع كثيراً ،

ودقيق الملاحظة ، ويستشف الناس من خلال افعالهم .

انه لا يميل للهو والتسلية

كما تفعل يا انطوني ، ولا يسمع موسيقى ،

ويندر ان يبتسم ، واذا ما فعل ذلك ،

كان كالساخر من نفسه ، والهازي بروحه

التي تبتسم لاي شيء في الوجود !

رجال مثله لا تهدأ لهم نفوس

ما داموا يرون في الحياة من هو أعظم منهم ،

ولهذا فانهم خطرون ! »

وكاشيوس شديد الانانية والغيرة ، ولا يبهه الصالح العام . وهو يجسد قيصر ،
ويخشى بروتس ، ويسعي الى اقصائه عن المنصب الذي ينوي قيصر وضعه فيه .
ثم انه لا يحب الخير لروما أكثر من كرهه لها ، لكنه يخفي كل هذا بحذق ودهاء ،
فيداجي بروتس وينودد له ، ويتظاهر امام المتأمرين بالشرف وعزة النفس
والاباء ، وكذلك بحجة روما والتفاني في الاخلاص لها ، والعمل على انقاذها من
الظفيان . ثم في كل حركة يأتيها ، او كلمة يفوه بها ، تشعر انك امام رجل عرك
الحياة عركاً ، ووزن الامور بميزانها الصحيح ، فقد نصح بروتس بالقضاء على قيصر

وانطوني معاً ، وبدعم السامح لانطوني بالتحدث للرعاع بعد مقتل قيصر ، وان
يبقى الجيش متحصناً في مراكزه الدفاعية المنيعه والايجهده بالتقدم به من جيش العدو
في فيليبسي « PHILLIPPI » . وقد لاقى بروتس ما لاقاه من الفشل الذريع والاختفاق
الشنيع بسبب هذه السذاجة في الطبع ، والطيبة في القلب ، وعدم الفهم
الصحيح للناس .

ولقد احسن شكسبير كثيراً ، اذ جمع في مسرحية واحدة نموذجين متناقضين من البشر .
فكاشيوس يمثل نموذجاً ، وبروتس يمثل النموذج المعاكس . فبروتس يكاد يكون
نسيج وحده في كل خصائصه وميزانه ، في سلوكه واخلاقه ، في نزعتيه الوطنية
والفلسفية ، في نبالة قلبه ، وطهارة سجيته ، ونقاوة سريره ، وكذلك في الاستقامة ،
والحزم ، وصرامة الطبع ، وعدم المواربة ، والحيدة عن الحق ، ولست اظن
بروتس يجهل نفسه ، كما يستدل من الحديث الذي جرى بينه وبين كاشيوس . وقد
تذكر ان كاشيوس حاول جهده اقناع بروتس بوجهة نظره ، ألا وهي انقاذ روما من
دكتاتورية قيصر العاتية ، ولم يكن هذا في الواقع هدف كاشيوس الرئيسي .
كما انه قصد الترويج لحركته بين اهل روما بالسعي الى جعل بروتس زعيماً وامراً .
فيصفي بروتس الى كاشيوس الداهية وهو يسرد حججه بمحذق ولباقة . ويظن كاشيوس انه
قد سد على بروتس جميع مغالقات المنطق والتفكير ، وانه حتماً قد حمله على الايمان
بصدق نيته وسهولة تحقيق مطلبه ، من أول مقابلة ، بيد ان بروتس ما عثم ان اعلن
متسائلاً بسذاجة الاطفال وبرائتهم وصراحتهم (١) : -

« الى أي المخاطر تقودني يا كاشيوس

فتطلب الي ان ابحت في نفسي

عما ليس في نفسي ؟ »

وبروتس ، كما صوره شكسبير في المسرحية ، يعيش الحرية الشخصية ، بل أكثر

منها حسرية روما . ولا يجزم عن التضحية بنفسه في سبيل تحقيقها . فقد قال في خطبته في الرعاع : - (١)

« انفضاؤن ان يكون قيصر عائشاً ونموت جميعنا عبيداً ، على ان يكون قيصر ميتاً ونعيش كلنا احراراً ؟ لان قيصر احبني ، فاني ابكي عليه ، لانه كان ناجحاً فاني مغتبط له ، لانه كان شجاعاً ، فاني ابحده ، اما لانه كان طامحاً فاني قتلته ! »

ثم يستأنف خطابه بعد وقفة بيانية قصيرة ، يعلن فيها مقدم انطوني وآخرين يحامون جثة قيصر ، ويقول : -

« اما وقد قتلت اعز صديقي خير روما ، فاني احتفظ بالخنجر ذاته لقتل نفسي ، حين يرى بنو وطني ضرورة لذلك ! »

ولعل من اروع المقطوعات التي جعلها شكسبير على لسان بروتس واكثرها دلالة على نفسه تلك التي قال فيها : - (٢)

« اذا كان الامر يتعلق بالصالح العام ،
فضع الشرف نصب عين ، والموت نصب الاخرى ،
وسأنظر الى كليهما شيئاً واحداً !
واتمنى على الآلهة ان تنجح مسعاي
بقدر ما احب الشرف اكثر مما أخشى الموت ! »

وليس بروتس ككاشيوس العملي الذي خاض غمار الحياة ، وبلا الناس وعرف مداخلهم ومخارجهم ، وتمكن من النفاذ الى بواطن الامور واخترق حجب المحسوسات . بل هو غمر ، ساذج ، وصاحب نظريات ومثل عليا وأحلام ، يقيس كل امر بمقياس

١ - المشهد الثاني من الفصل الثالث ، من السطر ٢٣

٢ - المشهد الثاني من الفصل الاول ، من السطر ٨٥

العقل والمنطق . وقد صورته شكسبير محباً للفلسفة الرواقية « STOICISM » ومطبقاً الكثير من تعاليمها العنيفة الصارمة على نفسه وسلوكه . فهو جلد ، صبور ، هادي ، رزين ، بل عنيف ، قاس غاية القسوة ، لا تهبجه الافراح والمذات ، ولا تستثيره الآلام والأحزان . واني ألمح ان هذا الطراز من التفكير الفلسفي ، وذلك الانصراف للنظريات ، والاغراق في التأمل ، قد اكسبه ، ولا شك ، حساسية في الطبع ، ورقة متناهية في الشعور ، ورسم في اعماق نفسه خيوطاً ناعمة دقيقة من الكتابة الشعرية اللذيذة ، التي هي من سمات الثقافة العالية ، والتي تطرب لها النفس الشاعرة الصافية ، وتتغذى منها اكثر من الفرح العادي ، الذي يروق الدهماء .

وقد صور شكسبير في بياتريس (١) « BEATRICE » وبنديك « BENEDICK » نمطاً آخر من النساء والرجال ، قد لا نجد غريباً علينا . فكل من بياتريس وبنديك ذكي لامع ، وظريف سريع الحاطر . وكل منهما شكس ، مدع ، يحب ان يظهر على الآخر في انميته وذكائه . والسييل الوحيد لهذا ، هو النقاش المؤذي الجارح ، والمنافرة والملاحاة . فقد كان يجري بينهما ، اذا ما التقيا في ناد او مجلس ،

بنديك وبياتريس
مثل ما كان يجري بين خطباء المنافرة في الجاهلية . بل انه كان

يتطور الى حد تتوقع معه حصول خصام شديد وقطيعة تامة . وقد لا يستطيع القاريء لأول وهلة ان يلمح ما وراء هذا السوء والتنكر والعداء الذي يبديه احدهما للآخر ، من تشاكل في الطبع بينهما ، ومثائل في جوهر الاخلاق ، وان كلا منهما يشعر في قرارة نفسه بوحشة وغربة ، بسبب ما جبلت عليه نفسه من الجمال وحب الخير والنبيل والطيب الخالص ، في وسط بيئة كلها سوء وظلام . ولعل هذا التشابه الجوهرى في اخلاقهما هو علة ما كانت ينشأ بينهما من مطارحات ومشاحنات وجدل مؤذ عنيف ، ومفاكة تشبه السباب احياناً . لكنهما لم يعيا هذا السبب ، ولم يدركا مصدر الخصام . فكانت من اليسير على أمير اراقون « PRINCE OF ARAGON » ، وقد لمس طرفاً من الحقيقة ، ان يتمكن من ايقاعها

في شرك الزواج الذي نصبه لهما، بعد ان رسم لذلك خطة مدبرة بارعة . فقد ادرك الامير بتأقب نظره انها متفقان باطناً ، وانها لهذا في معزل عن الناس ، وفي وحشة أيضاً ، وان ذلك بما يسهل انجذاب احدهما للآخر اذا ما توسط في الامر ، وسعى الى تحقيقه من خلصت نيته وصفت سريرته .

وانا لست أدري ما كان لفرويد « FREUD » ان يقوله ، لو درس هذا الموقف ، وتوخى تحليله على أساس نظريته الجنسية المشهورة ؟ اتراه يرضى بهذا التعليل ، أم انه يرد ، مدعيًا ان الدافع الجنسي « LIBIDO » هو السبب الحقيقي لما آل اليه امرهما من وفاق وانسجام ، واخيراً من زواج ، بعد كل ما كان يحدث بينهما من جدل مؤذ وتنافر حاد ؟ لعل فرويد قائل هذا ، ومضيفاً عليه اعتقاده الجازم بان الامير وصحبه الذين نجسهم عوامل قوية في التوفيق بينهما ، لم يكونوا سوى عوامل ثانوية طارئة ، بل ادوات صماء في يد عامل الغريزة الجنسية التي هي كل شيء في الحياة ، والتي تحرك كل ما تلقاه في طريقها ، وتدفعه ، بل تسوقه الى تحقيق اهدافها الطبيعية سوفاً .

ثم يصور شكسبير في السيدة ماكبت « LADY MACBETH » امرأة نبيلة الخلق ، محبة للخير ، الى الحين الذي فيه يغمر هذا النبل ، ويطمس ذلك الحب للخير ويكاد يمحوه محوًا ، خلة خبيثة في نفسها ، بل جد خطيرة ، حينما تتجاوز حد الرزانة والاعتدال ؛ اعني بها الطموح المفرط . فالسيدة ماكبت طامحة ، جشعة ، مغامرة ، تطمع في التاج طمعاً يكاد يذهب بعقلها . وانا لا ادري بالتمام أهو الجشع السيء الذي بنفسها ، ام حبها لزوجها ، وتفانيها في الاخلاص له الذي زين لها سلوك هذا الطريق الوعر ؟

والسيدة ماكبت جريئة ، ناضجة ، ومدبرة حازمة ، اكسبتها الايام خبرة مدهشة وفيها عميقاً للحياة . ولا ريب ان شكسبير خلقها على هذه الصورة لتكمل ما في طبيعة زوجها من نقص . فهو لا يعرف الحزم والبت في الامور ، ولا يضي قدمًا في تنفيذ مآربه . فاذا عرضت له مشكلة ، أو بدا له أمر صعب ، واجهه

ببعض عقله وخياله ، ولا يتعداهما في اول الامر الى قلبه ويده . وليس معنى ذلك انه رعديد جبان ، اذ انه في الحقيقة جريء مقدم ، لكنه في جوهره شاعر ، حالم ، يسترسل في التأملات والتساوير ، ويستسلم للخرافة والوهم احياناً . وهنا تتدخل زوجته بما فطرت عليه من صفات البطولة ، وبما طرأ على خلقها من عوامل السوء والشر ، فتحفزه لانجاز أعماله ، وتنفيذ خطته بسرعة نادرة وبقوة خارقة ، وتسندة وتشد من أزره ، حين يوشك ان يستكين للظروف القاسية .

وتتلخص صفات هذه المرأة في الطور الاول من حياتها ، في تلك النصيحة التي أسدتها لزوجها ، وفيها شم رائحة كاشيوس ، رجل الدنيا المجرّب الحاذق .

استمع الى هذا الحوار (١) الذي جرى بينهما ، بعد ان عقدت العزم على الغدر بالملك دنكن «DUNCAN» حين يضيفها في قصرهما : -

« هو - ان دنكن آت هنا الليلة ، يا حبيبتى

هي - ومتى يفادر هذا المكان ؟

هو - غداً ، كما يقول .

هي - كلا ! سوف لن تطلع الشمس على هذا الغد !

وجهك ، يا سيدي ، ككتاب ، حيث الناس

يقراون شؤوناً غريبة . ولكي تحتال على الزمان

تظاهر كالزمان ، اجعل الترحاب في عينك

وفي يدك ولسانك : أبرد كالزهرة البريئة

انما كن الافعى تحتها ! »

ونمضي السيدة ما كبت في اسداء النصيح لزوجها ، بالتدكر واخفاء ما يضره لضيفه ، وأن يترك تنفيذ الحطة لها .

الى هنا لا يقف القاريء منها موقف العطف والاحترام ، لكن شعوره نحوها

قد يتبدل بالتبدل الذي طرأ على نفسها . اذ ما كاد يمضي بعض الوقت على تلك الجريمة المروعة التي دفعت زوجها لاقترافها ، حتى شرعت عناصر الخير تنتبه في نفسها ، فيتنبه معها ضميرها الحي الطاهر ، ضمير الزوج الصالحة ، والام الرؤوم ، والامراة الضعيفة . فتتألم ، وتتعذب ، وتستخذي حين يباعد الزمان ما بينها وبين زوجها ، ويعتريها الهم والكدر ، ويتسرب الى فؤادها الذعر والوجل . و ككل امراة ، لا تستطيع في النهاية ان تصد أمام الزعازع ، بل كالبناء نجدها تنقض وتنهار تحت ضغط هذا الجرم الفظيع ، الذي لم تعد تدري كيف تصرف صورته من مخيلتها ، أو تمحو ذكراه من ذهنها . بخلاف زوجها الذي شرع يستعيد بعض جراته وصلابة عوده ونشاطه . فتعود اليه اعصابه القوية ، ورجـولته ، ويواجه الحقيقة القاسية بشدة وعناد ، ويثبت أمام اعدائه كما يفعل كل بطل صنيدي . بيد انه لا يفوز في النهاية ، ويجعله شكسبير يلفظ في ميدان القتال آخر خفقة من خفقات تلك النفس المتألمة ضياءً و اشعاعاً .

وأشهد ان شكسبير بلغ ذروة الابداع الفني في شخصية هاملت الفريدة العجيبة . وهي شخصية سحرية غامضة ، تتحدى كل وصف وتحليل ، لشدة ما يكتنفها من الغموض ، ولدقة تركيبها ، وتنوع مظاهرها ، وتشابك ظلالها . فهاملت امير شاب ذو فطرة نقية شفافة نبيـلة ، ومواهب عقلية نادرة ، وثقافة جامعية ممتازة . وهو ايضاً بر بوالديه ، محب لأبيه ، مقدس لذكراه ، ومتصل بأمه كل الاتصال . كما انه على غاية كبيرة من الكياسة والتهديب ، هاملت يجامل الاصدقاء ، ويلاطف من هم دونه في - لم الاجتماع ، ويقدر مزايا الغير ، ويمترف بحقوقهم في الحياة .

هذا من ناحية . وهو من ناحية اخرى ، كئيب الطبع ، حزين الفؤاد ، ومرهف الحس ، حاد الشعور . وهو كذلك متحسب ، متردد ، مسوف ، لا عن جبن في نفسه ، وإنما بسبب هذه الحساسية والرفقة المتناهية في اخلاقه ، ولانه اعتاد الاستسلام للتأمل والتصور والتفكير . فهو من جراء ذلك يزن كل حركة يأتها وزناً

فلسفياً مثالياً ، ويقبس كل خطوة بمقياس الفكر ، قبل ان يقدم على تنفيذ أي أمر ، ويؤخر ، ويؤجل من ساعة الى أخرى ، الى ان تنجلي الحقائق في ذهنه ، وتبين واضحة كالشمس .

وكم كلفه هذا التردد والتحصب ، ووزن الاشياء ، وتقديرها ، وتقليبها على أوجهها الكثيرة ، من جهد ومشقة وضى ! بل كم من نفس أودى بها ، نتيجة هذا التردد والتسويف ، والبطء في البت والجزم ، وعدم ادراك الهدف الرئيسي بقوة وسرعة وحزم ، غير آبه لما قد يعترض سبيله من مشاكل أخرى ثانوية ! فإنه ، وهو يسعى الى الانتقام من عمه ، قد تسبب في ازهاق ارواح سبع ، هم : أمه واوفيليا « Ophelia » ، وبولونيوس « Polonius » ولارتس « Laertes » وكلوديوس « Claudius » ، وصديقه روزنكرانتز « Rosencrantz » وقلدنسترن « Guildenstern » . وما كان أغناه عن امانتها ، لو انه كان يملك ارادة صديقه هوراشيو « Horatio » ، وقوة عزمه وهدوء أعصابه !

وليس يعني أن انطباعه على الاناة والترفق والتأخير والتسويف ، وعدم القطع في تعيين الاسباب او تقدير النتائج ، سيجعل الامور تخرج من يده بنسبة وعلى قدر . كلا ! فان اتصافه بضعف الارادة ، والكآبة ، ووحدة الشعور ، واسترساله في عالم الوهم والخيال ، وانصرافه للتأمل الفلسفي الذي لا ينتهي عادة بصاحبه عند شيء ، لما سبب له بلبلة ذهنية ، وحيرة وارتاباً كآ . فنراه ، حين تفاجئه عوامل جديدة ، وتجاوبه ظروف لم تكن متوقعة ، ينساق الى أقصى طرف ، ويسرع ويندفع الى تنفيذ ما يتبادر لذهنه من حل ، دونما انعام نظر ، ذلك لانه لا يجد من الوقت متسعاً للدرس والتحليل والتعليل . وهذا واضح من اقدامه على قتل بولونيوس بمثل تلك السرعة الحاطفة ، لغير ما سبب معقول .

وهكذا يجب شكيبير ان يجيب ظننا في شاب جامعي مثالي ، لنا الحق كل الحق في أن نرجو منه الشيء الكثير !

فقد شاء أن يفرض عليه واجباً كبيراً ، وان ينيط به مسؤولية جسيمة ، وان

يقذف به من برجه العاجي الى عالم من الحركة والضجيج ، ويزج به في دنيا الآثام
والاجرام ، جاعلاً في يد القدر الالهية العابثة أميراً كريماً ، هائثاً في حياته
الفكرية مغتبطاً ، غارقاً في خواطره الفلسفية ، ماضياً في حبه لوفيليا ، لا يثنيه
عن ذلك شيء . انه حقاً لعب ، ثقیل ، يضعه الشاعر فوق منكب غض صغير ! وما
أجل ما عبر عن ذلك جيته ، شاعر الالمان الخالد اذ قال : « ان مثل شكسبير في
ذلك ، مثل من يزرع سنديانة كبيرة في أصيص أزهار ثمين ، فتنتشر الجذور ،
ويتعظم الأصيص بعد حين ! »

وهذا بالفعل ما حدث لهذه النفس الجميلة . فقد ضاق بالحياة ذرعاً ، وخرج
عن طوره العقلي خروجاً ظنه الناس معه مخبولاً . ولأقى في حياته فشلاً أثر
فشل ، وإخفاقاً تلو إخفاق ، حتى يتعظم قلبه الكبير تحت ضغط تلك الظروف
القاسية ، ويذهب ضحية الحياة والعدو ، وفريسة القدر ، وجور الزمان .

ألا كم في الحياة يا صاح من هاملت ! بل كم في كل منابض من هاملت !
أوليس سر معجزة شكسبير هو في استطاعته ان يرى طرفاً من ذاتنا واضحة
عارية في ذات هذا الشاب الذي عرض فلم حياته في هذه المسرحية العظيمة ؟ بيد
انه مها بلع عدد الذين يشبهون هاملت في الحياة ، فان الذي وهبنا
هاملت سوف يظل واحداً لا يدانيه انسان في مقدرته الفنية العجيبة على
الخلق والابداع !

وما قلناه عن هاملت وغيره يمكن ان يقال عن اياغو ، وشيوك ، وروميو ،
والملك لير ، وعطيل ، وديدمونة ، وروزولند ، وفولسناف ، وغيرهم من عشرات
الشخصيات الفذة البارزة ، التي لو توخينا وصفها وتحليلها ، لانتسح نطاق البحث
اتساعاً كبيراً .

اما الناحية الفكرية والمظهر العقلي لاشخاص مسرحيات شكسبير فعظمتها من
الوصف البارع والتصوير الصادق غير يسير . فهم يتدرجون من أضعف الخلق عقلاً

وأحطهم تفكيراً ، وأضيقهم ثقافة ، إلى أوسعهم ادراكاً ، وأحدهم
 فطنة وذكاء ، وعمقهم فهماً وتأملاً . ففيهم العمال ، كحفاري
 القبور (١) الذين أماتت فيهم طبيعة الحرفة كل حس وشعور ، فلا
 يبهون للموت ولا يصرفهم جلاله عن الغناء والنشيد ؛ بل نراهم يمضون في عملهم
 جادين ، ناشطين ، يعشون بجحاجم الموتى ويعثرون عظامهم البالية . وكذلك الرعاة (٢)
 والحصابون (٣) والحياطون (٤) والبجارة (٥) والتجار (٦) . وفيهم المهرجون
 (CLOWNS) كقولستاف (٧) وتشستون (٨) وفست (٩) ولونسلاوت (١٠) . وفيهم
 أيضاً الجنود والقواد والامراء والملوك ، في معظم المسرحيات التاريخية . وفيهم
 الكهنة (١١) والمحامون (١٢) والاطباء (١٣) . ومنهم أيضاً الفلاسفة ، ومن ينحون

غاذج
 بشرية متنوعة

١ - (هاملت) - المشهد الاول من الفصل الخامس

٢ - (هنري السادس ، ج ١) المشهد الرابع من الفصل الخامس ، وفي (قصة الشتاء) المشهد الثالث من الفصل الثالث .

٣ - (بوليوس قيصر) المشهد الاول من الفصل الاول .

٤ - (ترويض المرأة الشرود) المشهد الثاني من الفصل الرابع

٥ - (هاملت) المشهد السادس من الفصل الرابع ، وفي (عطيل) المشهد الثالث من الفصل الاول ، وفي (بركليس) المشهد الاول من الفصل الثالث .

٦ - (كوميدا الاخطاء) المشهد الثاني من الفصل الاول ، وفي (تيمون اثينا) المشهد الاول من الفصل الاول .

٧ - (FALSTAFF) في (هنري الرابع ج ١ و ٢) المشهد الثاني من الفصل الاول في كلا الجزئين وكذلك (ازواج ونسر المرحات) المشهد الاول من الفصل الاول

٨ - (TOUCHSTONE) في (كما تشاء) المشهد الثاني من الفصل الاول .

٩ - (PESTE) في (البلية الثانية عشرة) المشهد الخامس من الفصل الاول

١٠ - (LAUNCELOT) في (تاجر البندقية) المشهد الثاني من الفصل الثاني

١١ - في (هملت) المشهد الاول من الفصل الخامس ، وفي (ريتشارد الثالث) المشهد الثاني من الفصل الثالث ، وفي (البلية الثانية عشرة) المشهد الاول من الفصل الخامس .

١٢ - في (هنري السادس - ج ١) المشهد الرابع من الفصل الثاني .

١٣ - في (سيملاين) المشهد الخامس من الفصل الاول ، وفي (الملك لير) المشهد الرابع من الفصل الرابع ، وفي (ماكبث) المشهد الثالث من الفصل الرابع .

منعاهم ، فكرياً وعملاً ، كشيرون (١) (CICERO) وهملت ، وجاك (٢) (JACQUE) وفونزالو (٣) (GONZALO) ، الى آخر ما هنالك من اصناف الناس الذين يمتازون جميع مظاهر العقل ، ومرافق الحياة ومختلف الطبقات ، أوسع التمثيل وأصدقها .

٤ - الفهم الادبي

أداته في التأييف لم يكن الشعر سبيل شكسبير وأداته الوجدية في تأليف مسرحياته ، بل ضمن أكثرها بعض النثر ، وقصر الشعر على المواقف الخطيرة التي تقفها الخاصة المتقفة من اشخاص مسرحياته ، بينما جعل النثر في الغالب على السنة العامة الدهماء ، المحدودة الثقافة والتفكير .

وقد اختار من الاوزان ما اهتدى الى استعماله مارلو « Marlowe » من قبل ، أعني به خماسي التفاعيل من الشعر المرسل (٤) ، المؤلف من مقطعين : قصير ، وطويل . الا انه خرج عن ذلك في بعض مسرحياته ، ولا سيما التي ألفها في الطور الاول من حياته ، واستعمل في نهاية بعض المشاهد الرئيسية من مختلف مسرحياته ، بيتين فقط مقفين من الوزن ذاته ، لكي يجلبا بدل الستار في ايدان النظارة بانتهاء المشهد ، ذلك لان المسارح في ذلك العصر كانت خلواً من ستار خارجي ، كما تذكر .

ولم يتقيد شكسبير كثيراً بقواعد العروض وخصوصاً في مسرحياته الاخيرة

١ = في (بوليس قيصر) المشهد الثالث من الفصل الاول .

٢ = في (كما تشاء) المشهد الخامس من الفصل الثاني

٣ -- في (العاصفة) المشهد الاول من الفصل الاول .

٤ = ويعرف بالانجليزية « Blank Verse » وهو من الوزن الخماسي « Iambic Pentametre »

غير المقفى . وهذا يتضح من تقطيع البيت التالي وهو من نظم شكسبير : -

« One touch Of nature makes the whole world kin »

الزاهرة بالمعاني العبيقة ، ولهذا لا تصلح ان تتخذ ناذج في
تدريس هذا العلم ؛ وكان شعره ، ولسوف يبقى على الدوام ، هدفا
لسهام أشباع المذهب الكلاسيكي في انكسارها وخارجها ، بمن يراعون
صحة التركيب ، ودقة التعبير ، وينظرون الى المباني نظرتهم الى المعاني ،
سواء بسواء .

خروج على
علم العروش

هذا من حيث البناء والتركيب . اما اسلوبه في التعبير ، فغاية الغايات في الجمال
والروعة الفنية ، ولا سيما في تلك القطع العالبة النفس ، الآتية على
هامش الحوادث ، فسكاد لا ناهس علاقة او صلة وثيقة بينها وبين
سياق القصة .

غير لا شعر

وبستهويك منه بعض فلتات شعرية يفيض به خاطره ويعبثها الهامه ، وتتميز
بالملاءمة والوحدة والانسجام بين موسيقى اللفظ وجرسه ، وجمال المعنى وعمقه ،
حتى يخيل للقاري ، وهو ينشد بعضاً من هذا الشعر ، كأنما هو يحثسي أجود انواع
الحر . وقد قال شوقي في وصفه . -

شعر من النسق العالي يؤيده من جانب الله الهامه والجماء
من كل بيت كبيت الدهر مسكنه حقيقة من خيال الشعر عذراء

وانه ليمتاز في الطراز العالي من شعره بحسن السبك وجمال الرصف وعدم
اللفو ، فتكاد لا تجد فيه انظافاً قلقاً ، او نايماً مستكراً . ولو حاولت
جهدك ان تبدل لفظاً او تحذفه من مكانه في بعض الابيات الخالدة ،
حسن السبك

لألغيت الاسلوب يختل ، ويفسد جماله الفني فساداً بيناً . لهذا فانه من العسير جداً ،
بل من المستحيل ، ان ناهس سحر المؤانسة والملاءمة بين اللفظة وبين اخواتها من
الالفاظ المجاورة ، او ان نظرب للجرس الموسيقي العذب ، حين نقرأ هذا الشعر
في لغة اخرى .

وقد لا اغالي اذا صرحت بانني لا أعرف بين شعراء العالم قديمهم وحديثهم ،

من يفوق شكسبير شمولاً، وتبايناً، وتفنناً، ودقة، وعمقاً، وصدقاً في التعبير مما يجول في خاطر الانسان من افكار، او يعتلج في صدره من هموم واشجان. كما اكاد اجزم انه لم يقم احد غيره، لا من قبل ولا من بعد، من طرق مختلف الابواب والفنون الشعرية من غنائي وحماسي ووصفي وفلسفي، وتمكن من ان يبرز فيها جميعها، وفي غيرها ايضاً، حتى الذين قصروا شعرهم على باب واحد من ابواب الشعر.

والنقلم يقصر عن استعراض جميع الابواب التي ولجها شكسبير في شعره الانبجاسات شعرية لكنني ساكتفي بايراد نماذج من تلك الانبجاسات والفلمات الشعرية الهائلة التي جاءت على هامش الحوادث، فلم يكن ثمة من سبب متين يؤلف بينها وبين عناصر مسرحياته واجزائها المختلفة.

هذه المواقف، والحق يقال، هي أجود ما عند شكسبير من شعر، وهي التي ستخلد اسمه كأعظم شاعر في الوجود، حتى فيما لو اقتصر انتاجه عليها، ولم يجيء غيرها من الادب السامي.

فلننظر في بعضها، لتأكد من ذلك، ولندرك، ولو بعض الادراك، ان ما نقوله عن هذا الشاعر الغريب، النائي، في جنسه، وبلده، وعصره، والقريب من نفوسنا في فهمه الصحيح لجوهر طبيعتنا، والمهيمن على ارواحنا بعصاه السحرية العجيبة، هو أقل بكثير مما قاله عنه، ويقوله كل يوم بنو أمته، بل الاوروبيون فاطبة.

ففي « تاجر البندقية » (١) قد لا نجد ابرز من مقطوعته في الرحمة، وقد جاءت الرحمة على لسان بورشا « PORTIA » وهي متنكرة في مظهر محام، تدافع عن انطونيوني في القضية التي اقامها عليه شيارك المارابي.

أما الجمال في هذه القطعة فهو في تصويرها الشائق اللطيف لجلال الدين، وجمال

الرحمة ، مما يجيب البرالى النفوس ، ويبعث المحبة والرحمة والحنان في القلوب .
اسمع بورشا تقول : -

« ليس الاكراه من طبيعة الرحمة !
انها تنسكب كالرذاذ على المكان الوطيء .

وهي مضاعفة البركات ،

فهي تبارك الواهب ومن تصببه المحبة ايضاً .

وهي قوية من يد القوي ،

وتزين السلطان أكثر من تاجه ،

فالصولجان يرمز لقوة الحكم الزمني

وما للملوك من هيبة وجلال

يشيران الخوف والفرع في النفوس .

لكن الرحمة فوق قوة الصولجان ،

فهي تقيم عرشها في أفئدة الملوك .

انها من صفات الله ذاته !

وتصبح سلطة الانسان في الارض كسلطة الخالق

حين نلطف الرحمة من حدة العدل وقسوته ! »

وانا لا أجد في كل ما خطته براعة شكسبير مقطوعة لا تمت للقصة بصلة وثيقة

أكثر من التي وصف بها نفسية الشاعر . وقد فاه بها ثيسوس (١) « Theseus »

وهو يخاطب زوجه هيبوليتا « Hippolyta » . ان هي الا ساعة يتيمة من ساعات

الزمان ، نسي فيها الشاعر انه يؤلف مسرحية ويتلو قصة ، فانطلق في

عالم الوحي والالهام ، وانبعثت مشاعره وأخيلته ، وفاضت نفسه بهذا

الشاعر

الوصف البليغ الموجز للشاعر ، كما فاضت في غير هذا بالمعاني الزاهرة البكر .
ولا يبعد ان يكون شكسبير قد تخيل نفسه حين أرسل هذا السحر الحلال : -

«المجنون والعاشق والشاعر يعيشون في عالم واحد من الخيال .
فأحدهما يري من الجن ما لا تستطيع جهنم ان تحواه ،
ذاك هو المجنون ! اما العاشق المهووس
فيبصر جمال هيلين في حاجب فتانه السمراء .
لكن عين الشاعر تنقلب في ذهول عجيب ،
منتقلة من السماء الى الارض ، ومن الارض الى السماء ؛
وحين يجسم الخيال من عالم الغيب صوراً ،
يحولها قلم الشاعر اشكالا
وينح الاوهام أمكنة وأسماء ! »

ثم في القطعة التالية (١) خليط من الشعر الفلسفي والخرافة الطريفة ، يثيره
ترتيل الكواكب
ويبعثه منظر شعري خلاب في نفس لورنزو (LORENZO) ، وقد
جلس الى فتاته اليهودية جسيكا (JESSICA) يتبادلوا اياها أعذب
السمر واحلاه ، ويتسمعان في خلال ذلك الى جوقة موسيقى ترسل أنغاماً ناعمة ، فتزيد
في سحر الجو وفتنته وجلاله :

« ما أحلى البدر مضطجعاً على هذه الضفة !
هنا فلنجلس ، ولنأذن للموسيقى
أن تشف آذاننا ، ان السكون الناعم والليل الساجي
ليزيدان في سحر هذه الانغام !
اجلسي يا جسيكا . تبصري في صفحة السماء ،
كيف ترصعها قطع من الذهب اللامع !

ليس في كل الكواكب التي تشاهدها
من لا ينشد (١) في نجره ، كالملاك
المنتظم في جوقة الشاوروبيم (٢) .
ان نعماً كهذا هو في النفوس الخالدة !
لكن القفص التراي الغاني
ليجسسه عنا ويمنعه ، فلا نستطيع أن نسمعه ! »

وهذه قطعة (٣) تمثل نفس انسان غنية مشرقة ، يجد في حياة المنفى من الدعة والسكون
والامان ما لا يجد في حياة المدينة المملوءة بالقلق والظلم والفساد ، مدينة
في المنفى المظاهر لا الحقائق ، والوجوه لا القلوب . ولهذا فانه يلقي في هذه الطبيعة
المادة المنعزلة من الجمال والاطمئنان ما لم يعهده في حياته الاولى .

اسمع ما يخاطب به الدوق رفاقه في منقام ، في غابة آردن « ARDEN » : -
« الآن ، يارفاقي واخواني في المنفى ،
الا تجدون في حياتنا هذه سعادة
أكثر مما في الأبهة المزخرفة ؟
أليست الحراج هذه أكثر أماناً من القصر الحسود ؟
هنا لا نجيب عن خطيئة آدم ،
ولا نحس بتباين الفصول . وحين ينهشني
الجليد بنابه ، وتعضني ريح الشتاء ، وتعصف بجسمي ،
واتقلص من البرد ، فاني سأبتسم وأقول :

١ - اشارة الى اعتقاد الناس حينئذ بان الكرة الارضية هي مركز الكون وان الاجرام السماوية
تحيط بها في دوائر من الافلاك التي تبعث وهي تتحرك انعاماً مختلف لونا وقوة بحسب
بمدها عن الارض

٢ - اسم لطائفة من الملائكة حسب العقيدة المسيحية

٣ - المشهد الاول من الفصل الثاني من (كما تشاء) السطر ٣ - ١٧

(ليس هذا بزلفى انما هم حكماء يعرفونني حقيقة نفسي !)
عذبة هي عظام الشدائد ،

التي تبدو بشعة سامة كراس الضفدع
الذي انما يحمل في رأسه جوهرة كريمة (١) .
وهكذا حياتنا هذه ، وقد تجردت من الفرع ،
تجد السنة في الاشجار وكتباً في الجداول الجارية ،
وعظام في الاحجار ، وخيراً عميقاً في كل شيء ! ..

انظر الى هذه المقطوعة (٢) التي وضعها شكسبير على لسان يوليسيس
« ULYSSES » احد قواد اليونان في حملة طروادة ، وفيها يعلل تعليلاً فلسفياً للبطل
المستقيل أخيلس « ACHILLES » ما أبداه نحوه أغاممنون « AGAMEMNON » القائد العام
وغيره من الجنود ، من مظاهر الأهمال وعدم الاكتراث . ولعل
حكمة خالدة
في كلام هذا الحكيم أروع الدروس وأجل العزاء لكل عظيم ، او
ذي منصب خطير يعتزل العمل بعد مدة من الزمن ، وينظر الى الناس الذين كانوا
بالامس يتمسحون بأذياله ، واذا بهم قد انفضوا من حوله ، وذهبوا يتملقون من
يخلفه في الامر .

وكم يحدث هذا ! وكم حدث على مرأى منا في الحياة ، فرئينا لهؤلاء الافراد
الذين يلبسون العظمة الباساً ، ويخلعونها ، بل تخلع عنهم كالكساء ! وينظر اليهم
الناس ، وقد تعرت اشكالهم من كساء العظمة الزائفة ، وتجردت من مظاهر
السلطة الكاذبة ، وعادوا الى طبائعهم الاولى وعادت اليهم ، فينفر الناس منهم ،
ويهجرونهم ، باحثين عن مناظر جديدة برافة !

هاك ما يقوله الحكيم يوليسيس :-

١ - اشارة الى الاعتقاد السائد في ذلك العصر بوجود جوهرة ثمينة في رؤوس بعض ذكور الضفادع .

٢ - من مسرحية (ترويلس و كرسيدا) المشهد الثالث من الفصل الثالث - السطر : ١٤ - ١٨٧

« ان للزمان يا سيدي حقيبة على ظهره ، فيها يضع صدقة لحيوان النسيان الهائل الحجم ، المتكون من ألوان جعود الفضل ونكرانه . ان جلائل الاعمال السالفة تبتلع حالما تصنع ، وتندسى حالما تؤدى . والمثابرة يا سيدي تحتفظ بالشرف زاهياً . وعمل البارحة لم يعد ذا قيمة ، بل أمسى كدروع صدى معلق للذكرى الهازئة . ان الشرف يسير في درب ضيق ، لا يسلكها الانسان الا قائماً مندفعاً . فسر على هذه الدرب ، لان حب الظهور ذو الف ولد يطارد بعضهم بعضاً . واذا ما تخلفت ، او خرجت عن الجادة ، ألفتهم كالتيار السريع قد اندفعوا من امامك ، مخلفينك في الورا ، وأسميت كالجواد المجلي ، يسقط في بدء الرهان ، ويظل منظرها حيث هو ، ليدوسه ويعبر من فوقه الفسكل في الخيل .

ان ما يفعله غيرك الان ليقوق ما قدمته بالامس ، ولو كان دونه بدرجات ؛ لان الزمان كالضيف البارح الذي يشيع ضيفه المفارق بهزة يد خفيفة ، وبذراعين مبسوطتين يهرع لاستقبال القادم ! ان الترحاب دائم الابتسام ، اما الوداع فيسير في الارض متنهداً . فعسى الفضيلة لا تنشد مكافأة على ما كانته في الماضي ، لان الجمال ، والذكاء ، وشرف المنبت ، وصلابة العود ، وجدارة الخدمة ، والحب ، والصدافة ، والاحسان ، جميعها خاضعة للزمان الساخر الحسود . ان لمسة واحدة من الطبيعة تجعل العالم واحداً ، كله يجمع على امتداح كل ناشيء جديد ولو كان محبوباً من أشباه غابرة ، ويقيم وزناً للعبار المذهب اكثر من الذهب المغسبر . والعين في حاضرها تطري الشيء في حاضره . فلا تدعشن ايها الرجل العظيم الكامل ، ان رأيت اليونانيين جميعهم قد شرعوا يجلون (أجاكس) (١) ، اذ من طبيعة العين النظر الى الاشياء المتحركة ، أسرع من الساكنة . لقد طلبك الناس في الماضي ، وقد يطلبونك الان ، او بعد قليل ، اذا لم توار نفسك حياً ، وتحبس شهرتك في خيمتك .»
واليك الان قطعة (٢) من النثر الادبي الرائع في موضوع الانسان ، وقد

١ - (Ajax) احد قواد اليونان وقد خاف اخيلا في القيادة

٢ - المتهد الثاني من الفصل الثاني من (مسرحية هاملت) السطر ٣٠٦ - ٣٢٣

جاءت على لسان هاملت الامير المثقف المحزون ، الذي يزعم البعض بانه يصلنع الجنون ، بينما يزعم البعض الآخر انه قد لا يخلو من لوثة او خبل .

اما انا فلا ابرؤه من ضعف عصبي ، ومن شذوذ يبدو في تصرفه بعض الاحيان ، نتج عن تلك الصدمة العنيفة التي هزت نفسه هزاً ، الا وهي مصرع الوالد ، وغدر الأم وخيانة العم . وقد قال فولتير : - « انك حين تصغى لهاملت تتوهم نفسك لربع ساعة في حضرة افلاطون ، أما بقية الوقت فكأنما في مستشفى المجاذيب ! » ولست اظن فولتير معتدلاً في حكمه ، فلو انه عكس الآبة وجعل اقصر الوقت لهاملت الشاذ ، واطوله للفيلسوف فيه ، لربما كان اقرب الى الحقيقة والصواب .

في هذا الكلام الذي صاغه شكسبير على لسان هاملت نثراً ، وهو في روحه وتصويره وتأثيره من اسمى الشعر ، نلمس خطين دقيقين متداخلين ، الاول يبعث ضياءً ، والآخر ظلاماً حالكياً . والحقيقة اني ما قرأت هذا النثر الانسان

الشعري الا تصورت ليلة قمرًا ، لا تخلو من بعض السحاب الذي ما ان يتوارى القمر خلفه حتى يعود فيظل بمجياه المشرق البهي . هذا القمر هو عنصر الاشرار والتفاؤل ، المنبعث من وراء سحب الاسى العميق والتشاؤم . لكن امتنع ما فيه حقاً ، واجسده بالخلود الابدي هو وصف الانسان ، وصفاً بحرك النفس ، ويرفع من قيمة ابن آدم في عين نفسه ، انى كان .

يقول هاملت : -

« اني منذ عهد قريب - لسبب لست ادر كه - زال عني المرح وذهب السرور وهجرت ما اعتدته من ضروب الرياضة واللهو ؛ وحقاً ضغط الوجود علي بعنف ، حتى ليخيل الي ان هذا الكون البديع ، هذه الارض لم تعد تبدو في عيني اكثر من رأس مقفر عقيم ؛ هذه الحيمة الفاخرة ، هذا الهواء ، انظر اليه ، هذا الجلد المعلق ، هذا السقف الرهيب المزين بالنار الذهبية ، انه لا يتراءى لعيني اكثر من مجموعة انجرة قدرة موبوءة .

تبارك الانستان ، ما أجمل صنعه ، وما انبل عقله ، وما ابعد حدود فكره ،

وما أدق شكاه وأطف حركته ، وكم كملاك هو في عمله ، وكاله في ادراكه وفهمه !
انه جمال الدنيا ، ونموذج الاحياء !

اما أنا ، فمالي ولهذا السلالة من الطين ؟ الانسان لا يهبني - كلا ، ولا المرأة
ايضاً ، رغم انك بابتسامتك تتوهمين ذلك .

اما ونحن في صدد الحديث عن هاملت ، فلألفت نظرك الى ذلك الحوار (١)
الحالد الذي جرى بين هاملت وقلدنستون (٢) ، احد صديقيه ، وقد بعته الملك
ليجتس له امر هاملت ، وليستشف ما بنفسه ، باسواب لين حاذق . وانك اذا كرأت
غدر الملك بوالد هاملت طمعاً في التاج ، قد سبب له الماء وقلقاً ، بيد انه لم يلق في
نفسه من الرعب والجزع ما ألقاه هذا التحول المروع الذي لحه منذ عهد قريب في
سلوك ابن اخيه وفي شعوره وطبعه ؛ وهو حائر لا يدري كيف يعلل ذلك ، لانه يعلم
أن هاملت كان غائباً عن الديار يوم مصرع والده . ولهذا نراه لا يهدأ له بال ،
ولا تستقر به الحياة حتى يستبين ما بنفس هاملت ، ويطمئن الى انه يجهل المؤامرة
التي أودت بوالده . فيطرق أبواباً عديدة ، ويسلك مختلف السبل ، ليتوصل الى
الحقيقة ، وانما بغير جدوى . ويعن له أخيراً أن يوسط قلدنستون في الامر ، فيتظاهر هذا
بالجراحة ليخفي غرضه ، ولكنه لا يفلح في تظاهره الكاذب ، لان هاملت تعلم ما وراء المظاهر

الكاذبة ويجري الحديث بينها . ويعجبني فيه تشبيه هاملت النفس البشرية ،
بآلة الموسيقى ، وتذكيره صديقه بأسواب ساخر ، ان العزف على
النفس أدق فناً وأعسر مطلباً من العزف على المزمار ، وليس بمقدور
كل انسان ان ينطق هذه النفس فتبعث الانعام . انما الفنان الماهر وحده القادر على
استنطاقها واستبانة سرها المكنون .

آلة النفس
البشرية

قال هاملت مخاطباً صديقه : -

د - هل لك ان تعزف على هذا المزمار ؟

قلدنسترن : لا أستطيع يا سيدي .

هـ : أرجوك . .

ق : ثق بانني لا أعرف ،

هـ : أتوسل اليك ان تفعل .

ق : لا اعرف كيف ألمسه !

هـ : انه حين كالكذب (١) ، حكم أناملك وأبهامك على هذه النقوب ،

وانفخ فيها بفقك ، فتنتطق بالموسيقى العذبة . انظر ، هذه

هي الموافف .

ق : ولكنني لست قادراً على ضبطها بحيث تخرج نغماً ؛ اذ لست

بذي فن .

هـ : ماذا ، انظر الان كيف تستخف بي ! انك تريد أن تعزف

علي ؛ ونقصد ان تعرف موافقي ، وترغب في انتزاع لباب سري

الدفين ، وتحب ان تنطقني من اعلى نعم في سلم نفسي الموسيقي

حتى أدناه ؛ ان ثمة موسيقى كثيرة ، وصوتاً جميلاً ، في هذه الآلة

الصغيرة ، لكنك لا تستطيع ان تجعلها تتكلم . يا لله ! انظن

العزف علي أسهل من العزف على المزمار ؟ سميتي ماشئت من

الآلات ، فمع انك قادر على اهاجتي ، الا أنك لا تستطيع أن

تعزف علي !

وما دمنا مأخوذين بسحر (هاملت) ، فلأشر الى المقطوعة الفاسفية (٢) الشهيرة

١ - هذه اشارة حاذقة رمي هاملت من ورائها الى تائب قلدنسترن ، وانامه انه عارف قصده

بهذه الزيارة ، ولهذا فان هاملت يستكر فيه هذا التظاهر الخادع .

٢ - المشهد الاول من الفصل الثالث السطر ٥٦ - ٨٨

التي فاه بها هاملت وليس ثمة من يسمعه سوى معشوقته الفاتنة اوفيليا ، المتظاهرة
بعدم الانتباه والاصغاء .

في هذه المقطوعة الشعرية نشاهد هاملت الفيلسوف المتأمل ، ذاهلاً ، مرتبكاً ، حائراً
بين الاقدام على الانتحار والاحجام عنه . وهي فكرة خطيرة ساورته من قبل ،
ولا يستطيع ان يقرر الآن اي السبيلين عليه ان يسلك ، فيقول :

« ان أكون ، او أن لا أكون : تلك هي المشكلة : ترى أيها أنبل ، أن
أحتمل قذائف الدهر الغادر وسهامه ، أم أن احمل السلاح ضد خصم من الآلام ،
وبالمقاومة اضع لها حداً ؟ ان أموت : أن انام ؛ ثم لا شيء ،
الحياة ام الموت وبالنوم نقول اننا قد انهيينا أوجاع النفس وألوف الهزات العنيفة
التي يتعرض لها الجسد . انها نهاية اشبهها حقاً . أن أموت ، أن انام ؛ ان انام !
وربما انني سأحلم : أجل ، تلك هي العقبة ، اذ ان الاحلام التي تتراءى لنا في نوم
الموت ، حين نخلع عنا عناء الدنيا ، ستوقفنا حتماً ! ذلك هو الاعتبار الذي يجعل من
حياتنا الطويلة فاجعة ومصيبة : اذ من ذا الذي يطبق الصبر على سبياط الزمان
وسخريته ، واساءة الظالم ، وازدراء المتكبر ، وألم الحب المهين المحترق ، واعاقبة
تطبيق القانون ، وفتحة المتسلط واذلال اللئيم ، فيسكت الكريم
على ذلك ، بينما بمقدوره التخلص من هذا كله بطعنة خنجر ؟ ومن ذا الذي يقبل
ان يوزح ، ويثق ، ويتصبب عرقاً تحت عبء الحياة المضنية ، لولا ما يتبره مابعد
الموت من عالم مجهول ، لا يعود منه من يسافر اليه ، من الملح الذي يربك الارادة ،
ويجعل الانسان يؤثر احتمال ما فيه من عذاب ، ومن أذى مألوف ، على ما ليس
بالمألوف . وهكذا نرى كيف يصنع التأمل منا جنبناه ، فيفقد العزم في نفوسنا لونه الأصيل ،
ويؤثر فيه القلق الذهني العليل ، وتتعثر من جراء ذلك خطط ذات قيمة ووزن ،
وتضيع في الطريق ، قبل ان تبلغ الهدف المنشود ! »

وفي هاملت (١) ايضاً وصية بولونيوس « POLONIUS » لابنه لآرتس « LAERTES »

وهو موشك على السفر الى فرنسا لانجاز تحصيله . فيضع بولوثيوس نصائح دنيوية
يده على رأس ابنه مباركاؤ وملقباً عليه هذه النصائح الدنيوية الغالية :-

« اطبع هذه القواعد القليلة في ذاكرتك : لا تفض للناس بافكارك ، ولا
تخرج اية فكرة مبتسرة غير موزونة الى حيز العمل . كن أليفاً ، ولا تكن فظاً غليظاً .
والاصدقاء الذين بلاوتهم ، اشدهم الى روحك بعري من فولاذ ، ولا تدنس راحتك برفقة
كل ناشئ مجيد . احذر الدخول في نزاع ، لكن حين تفعل ذلك ، اثبت حتى يشعر الخصم
بقوتك ويحذرك . ألق الى كل انسان سمكك ، ولا تسمع الا القلائل صوتك .
خذ رأي كل شخص ، انا احتفظ بحكمك لنفسك . ألبس من غالي الثياب بقدر
ما يأذن به كيس دراهمك ، ولا تحتر الزاهي والمزخرف ، لان اللباس كثير ما
ينم عن صاحبه . لا تقرض ولا تستقرض ، لانه غالباً ما يفقد المرء بذلك الصديق
والقرض معاً .

لكن فوق كل شيء : كن صادقاً مع نفسك ، فانك بذلك لن تستطيع ان تخدع
الناس ، وهذا يتبع ذلك ، كما يتبع الليل النهار ! »

وفي مأساة « ماكبث » مقطوعتان صغيرتان لا بد من الاشارة اليهما ، الاولى (١)
في وصف النوم ، والثانية (٢) في الحياة .

وهل نجد خيراً من ماكبث من يشعر بضرورة النوم وفائدته للانسان ؟ فهو
بعد ان لطم يديه بدم ضيفه الملك دنكن « Duncan » وهو نائم في قصره ، لم يعد
هو نفسه يعرف ان يدوق طعم النوم الا غراراً . بل انه في الواقع لا يعتقد انه
النوم بامكانه ان ينام بعدما جنت يدها من اثم شنيع ، فلاغرو ان رأيناه يشتهي النوم ،
ويتغزل به في هذا التصوير الدقيق . ولست ادري ماذا زاد علم السيكولوجيا

١ - المشهد الثاني من الفصل الثاني السطر : ٣ - ٤٠ .

٢ - المشهد الخامس من الفصل الخامس السطر ١٩ - ٢٨ .

الحديث على جوهر هذه الحقائق التي يوردها شكسبير عن قيمة النوم وأثره في جسم الانسان .

فقد لاقى ماكبث زوجه اثر تلك الجريمة المروعة ، وذكر لها قائلاً :

« لقد سمعت هاتفاً يهتف بي « لا تم !

فماكبث يغدر بالنوم ! » - النوم البريء ،

النوم الذي يجبك خيوط المم النقوضة ،

موت كل حياة يومية ، غاسل ألم الكد ،

بلسم العقول الموجوعة ، السبيل الثاني للطبيعة العظيمة ،

المغذي الاكبر في ولبية الحياة . »

أما الثانية فقد أنشدها ماكبث حين بلغه موت زوجه ، وفيها ينظر

الحياة

الى الحياة بعين الفيلسوف المتشائم الساخر ، قائلاً : -

«غداً ، وغداً ، وغداً ،

يزحف من هذا الفراغ الصغير من يوم الى يوم

حتى آخر مقطع في سجل الزمان ،

وجميع أيام أمسنا تشير الى السبيل

المفضي الى التراب . انطقني ، انطقني يا شمع الحياة القصيرة !

انما الحياة شبح سائر ، بل يمثل جاهل

يقضي ساعته على المسرح في بخترة وهياج ،

ثم يزول ! انها حكاية

يسردها الله ، مليئة بالصخب والضجيج

ولا تدل في جوهرها على شيء ! »

ويذكرنا تشبيه شكسبير الحياة بالمسرح، بما أورده على لسان جاك « Jacques »
في ملهاة (كإتشاء) (١) من تصنيف عمر الانسان الى سبعة اجيال ؛ فقال :-
العالم مسرح

« جميع العالم مسرح ، وكل الرجال والنساء فوقه ممثلون ، لهم مدخلهم
ومخارجهم . وكل انسان في حياته يمثل ادواراً عديدة ؛ وفصوله تتألف من سبعة
اجيال . أولاً ، الطفل الصارخ المتقيس ، على ذراع حاضنته . ثم التاميد الصغير
بحافظة كتبه وبحياه الصبيح ، زاحفاً الى المدرسة كالبراقة ، بتردد وامتعاض .
ثم العاشق الزافر كالموقد ، والمتشبه بجيسته . وكذلك
الجندي الممتليء بالأيمان الغريبة ، الملتحي كالفهد ، الغيران على شرفه ،
الفجائي السريع الحسام ، الناقد الشهرة المنتفخة ، ولو في افواه المدافع .
وبعد هذا ، القاضي ببطنه المستدير ، وجبته المخططة ، وعيونه الحادة ، ولحيته
المصنعة ، الفاض لسانه بالحكم والامثال الحديثة ، وهكذا يمثل دوره . اما
الجيل الساهس فينتقل الى الشيخ الاحمق الهزيل ، (بيا بوج) في رجله ، ومنظار
فوق انفه ، وكيس على جنبه ، وجورب اشبه بما للصبيان ، وساق منكشمة ،
وصوت قد استحال ثانية الى زعيق الاطفال . اما آخر مشهد ، يحتم به هذا التاريخ
العجيب ، الحافل بالاحداث ، فهو الطفولة الثانية والنسيان المطلق ، دونما اسنان ،
او بصر ، او ذوق ، او اي شيء ! »

ولست اظن احدا طالع (يوليوس قيصر) لا يذكر عدا خطبتي
انطوني وبروتس الشهيرتين ثلاث مقطوعات قصيرة . الاولى ، (٢)
وقد قالها بروتس حين اقتنع بخطر قيصر ، وبضرورة كبح روحه الطامحة
الجشعة ، حتى لو اقتضى ذلك قتله . وهو يعتقد ان قيصر قد يخفي
ما بنفسه من سوء وشر الى اليوم الذي سيصبح فيه قويا ذا شأن
اطاعي الانسان

١ - المشهد السابع من الفصل الثاني من السطر ١٣٩ - ١٦٦

٢ - المشهد الاول من الفصل الثاني من السطر ١٤ - ٢٧

خطير، لان يوم السلطة والقوة في حياة اللئيم شبيه ، كما يقول بروتس ،
« باليوم المشرق الذي يبعث الافاعي من اجارها ! » ثم يستأنف مناقشاته
لنفسه قائلاً : -

« هل نتوجه ؟

اننا بهذا سنضع له حمة ،

بها يدغنا كلما شاء ! »

ويقول : -

« . . . انه لمن البديهي

ان التواضع سلم الطموح الفتي ،

التي الهيايلتفت المرء حين يرقاها ،

لكنه حين يبلغ اعلى درجاتها

يدبر ظهره لها

ويشخص ببصره الى السماء ، مزدرياً الدرجات الاولى

التي بها ارتفع الى الذروة ! »

اما الثانية (١) فهي رد قيصر على زوجه حين اُبت عليه مغادرة القصر بسبب الحلم
الذي شاهدته في منامها فأفزعها وروعها . فلم يأبه قيصر لها ، ورد عليها يقول : -

« يموت الجبناء مراراً قبل موتهم الاخير ،

اما الشجعان فلا يذوقون طعم الموت الا مرة واحدة .

وبين كل العجائب التي سمعتها

« الجبان مقتول

بالخوف ... »

لست اعجب اشياء اكثر من ان الناس يخافون !

فما دام الموت نهاية محتومة

فليات حين يأتي ! »

وفي المسرحية نفسها قول (١) لبروتس في اغتنام القرص، ذهب مثلاً سائراً .

فهو يرى :-

« ان في شؤون الناس مدأ وجزراً ،
فمن ركب المد اوصله النجاح ،
ومن اهمله ، امست رحلة حياته
ضمن مياه ضحلة ، وتعاسة ! »

اغتنام القرص

وفي مقطوعة (٢) اخرى يشبه شكسبير المرأة ، « حين تضرب ويبهج هائجها
وتثور ، بالنبعة ذات الماء العذب النмир ، حين يعكر ذلك الماء ويتلوث ، فلا
فلايستطيع ان ينهل منه الصادي . فالزوج هو سيد المرأة ، وحياتها ، وعائلتها ، ورأسها
وملكها . وهو من اجلها يعرض جسمه للمتاعب الاليمة المضنية في البر والبحر ، ويصل
اليالي العاصفة بالانهر الباردة ، بينما هي تقيم في عشاها الدافئ هانئة وادعة ، ولا يند
الزوج منها غير المحبة ، والنظرة الحلوة ، والخضوع الصادق . وانه لعبري جزاء
المرأة يسير لهذا الدين الكبير . وواجب الزوج على المرأة كواجب الحاكم على الرعية .

والمرأة حين تسمي شكسة ، عاصية ، تكوداً ، لا تختلف كثيراً عن مواطن ثار
على حكومته ، او رجل خان امته . وانه لمن المزري المشين ان تبلغ السداجة في
نفس المرأة حداً تشاكس معه من لا بد من مسالته ، وتطمع في التحكم بمن
وجب عليها خدمته ومحبته وطاعته . ولم كان هذا الجسم الناعم الرقيق الذي لا
يقوى على احتمال الاذى ، اذا لم يكن ما به من طبع هادئاً ، ناعماً ، رقيقاً ؟ »

واحب الآن ان اروح عن نفسك بقطعة (٣) طريفة تحوي خطرات خفيفة الظل ،
بمتعة ، وقد وردت في اول مسرحية ألقاها شكسبير ، كما يظن المؤرخون ،

١ - المشهد الثالث من الفصل الرابع من السطر ٢١٨ - ٢٢١

٢ - (ترويض المرأة الشرود) المشهد الثاني من الفصل الخامس من السطر ١٤٢ - ١٦٨

٣ - (جهد الحب الضائع) المشهد الثالث من الفصل الرابع والسطر ٣٢٧ = ٣٥٤

أثر الحب
وفي حين لم يكن قد تجاوز فيه العقد الثالث من عمره . فمن المحقق
اذن ان شكسبير الشاب المتدفق دماً وفتوة وحياة هو الذي يرى :-

« ان الحب تبعثه اولاً وواحد الملاح ، لا ينحصر اثره في الذهن ، وانما يسري
كالحاطر في كل عضو ، فينشط قوى النفس ، وينحها قدرة جديدة على اداء
أعمالها ، ويضيف الى العين نوراً ثميناً ، فلا يستطيع النسر ان يداني
العاشق في حدة بصره . ان اذن العاشق لتسمع أدق الاصوات . وانه لأرهب
حسباً وأنعم ملساً من قرن البزاقة . ولسانه يفوق لسان باخوس (١) الانيق ،
في ذائقته . وفي الشجاعة ، أليس العاشق هرقل ما يزال يتسلق الاشجار في
المسبريدس (٢) ؟ انه ماهر حاذق كأبي المول (٣) ، وعذب شجي كقيثارة
ابولو (٤) . وحين ينطق تترنم جميع الآلهة ، وتلأ بصوتها السماء نشوة وسروراً .
وعلى الشاعر ان لا يمس قلباً ، اذا لم يلطف مداده بزفرات الحب ، عندها فقط
ستشرف آياته آذان المتوحشين ، وتغرس في نفوس الطغاة الظالمين بذور الرحمة
والانسانية . من نظرات النساء تتعلم هذه العقيدة : انها تضرم في القلب نار
الحرية ؛ انها الكتب ، والفنون ، والمعاهد ، التي توجه العالم ، وتحويه ، وتغذيه .
وبدونها لا يكون الوجود جميلاً ! »

اصغ الى شكسبير يشرح فعل الوراثة الحفسي واثره القوي في النفوس ، كما

١ - Bacchus) اله الخمر عند اليونان .

٢ - حديقة خرافية ما وراء البحر تعوي التفاحات الذهبية الثلاث ، وقد قتل هرقل البطل اليوناني
الخرافي اللتين الحارس لها ، وتمكن من اقتطاعها

٣ - « Sphinx » تزعم الاسطورة اليونانية انه حيوان هائل الخلق برأس امرأة وتنديها ،
وجسم كلب وذئب أفعى وجناحي طير ومخالب اسد وصوت بشري . وهو حاذق في صنع
الالغاز والقائما على الناس ايجلوما

٤ - اله الشمس والشعر والموسيقى عند اليونان

قد يفعل اي عالم سيكولوجي كبير في عصرنا هذا. فقد قص في مسرحية (سمبلان) (١) كيف اختطف النبيل بيلاريوس « BELARIUS » طفلي الملك سمبلان، مع الوراثة اذ رماه باخيانة، ونفاه من قصره عن غير حق. فعاش بيلاريوس في غابة، ولجا مع هذين الطفلين الى كهف، وجعل مع الايام يجذب عليهما، ويعنى بتفشتها، عناية الوالد بأبنائه.

وفي هذه المقطوعة يخاطب بيلاريوس هذين الطفلين، وقد لمح في سلوكهما كثيراً من علامت النبيل وامارات الملك، فيقول :-

« أنت ايتها الافة، ايتها الطبيعة المقدسة ! كيف تتجلين في هذين الطفلين الملكيين وتظهرين ! انها وديعان، لطيفان، كالنسيم يهب تحت البنفسج فلا يجر كه. وهما كذلك خشان بدمها النائر، كالريح الصرصر تعصف بشجر الصنوبر فتحنيه من اعلى الربوة الى الوادي. انه لعجيب حقاً كيف تطبعهما الغريزة الكامنة بهذا الخلق الملكي دونما تعليم، والنبيل والشرف دونما تدريب او توجيه، والكياسة والدمائة بغير مرشد او دليل، والشجاعة التي تنمو في نفسيهما، كالنبته في الحلاء، بيد انها ستؤتى ثمرها كأنها من عرس يد بشرية ! » ..

ثم استمع الى كونستانس « CONSTANCE » ترى ابنا الصغير آرثر « ARTHUR » الذي غاب عنها كل هذا الزمن الطويل، فلا تدري احي هو ام الميت. وهي تشرح للملك فيليب سبب حزنها، حين لامها على الحزن بدل الابن ذلك، فتقول (٢) :-

« ان الحزن ليشغل ما احده غياب ولدي من فراغ،
فيضطجع في فراشه، ويسير معي صاعداً هابطاً،
ويتخذ نظراته الحلوة، ويردد كلماته،

١ - (Cymbeline) المشهد الثاني من الفصل الرابع من السطر ١٦٩ - ١٨١

٢ (الملك جون) المشهد الرابع من الفصل الثالث من السطر ٩٣ - ٩٨

ويذكرني بلطيف شمائله ،
ويفخر بمناعة موقعها الجغرافي ،
وسعادة أهلها . ولا ريب أنه كان يتأجج بالعاطفة القومية الصادقة ،
ويشتعل روحاً وطنياً ، حين جاء بهذا الوصف البارع (١) :-

جزيرة
الصولجان

«هذا العرش الملكي المهيّب ، هذه الجزيرة ذات الصولجان ،
هذه أرض الجلالة ، هذه أريكة المريح (٢) ،
هذه جنة عدن الثانية ، هذه نصف الفردوس ؛
هذا المعقل الحصين ، وقد شادته الطبيعة لنفسها
ضد الفساد ، ويد الحرب ؛
هذا النسل السعيد من الناس ، هذه الدنيا الصغيرة ؛
هذا الحجر الكريم يرصع بجرأ من لجين
يقوم لها مقام سور منيع ،
أو كخندق يحيط بقصر ،
لرد كيد الدول الحاسدة ؛
هذه البقعة المباركة ، هذه الارض ، هذه المملكة ، هذه انكلترا !»

* * *

تلك هي الجزيرة البريطانية يا قارئ الكريم ! وذلكم عبقرية العظيم في فنه
الادبي !

١ - (ريتشارد الثاني) ، المشهد الاول من الفصل الثاني ، السطر ٤٠ - ٥٠ .

٢ - الى الحرب عند الرومان

ولست أشك اننا بهذه الزهرة القصيرة السريعة التي قمنا بها معاً في روضة شكسبير
 الغناء ، الرحبية الارحاء ، قد استمتعنا بجو عبق طلق ، وأصغينا الى أعذب ما لقلب
 بشري ان يفيض به من الاناشيد والالخان ، وانتعشت أرواحنا
 حديقة الحياة انتعاشة من ينتقل من حجرة مظلمة خائفة الى الطبيعة النضرة البهية
 الواسعة ، الحلوية صنوف الاشجار ، وضروب الرياحين والازهار ، وجميع ألوان
 الطير الشادي .

ويقيني أنك بعد ان أخذت هذه الباقية الادبية الصغيرة بيدك ، وشممت ورودها
 اليانعة ، وضممتها الى صدرك ، وابتهجت بها نفسك ، سيحفزك دافع حقيقي قوي
 لزيارة الحديقة التي اقتطفت منها . وهي حديقة لا نهاية لحدودها ؛ وليس يكفي عمر
 واحد ، او اثنين ، لاستقصاء كل ما بها ، لانها حديقة الحياة الزاهرة ، المتجددة مع
 الايام ، الخالدة الى آخر الزمان !



١ - (الجمهورية اللبنانية - بيروت - دار النشر اللبنانية - ١٩٦٥) - ١
 ٢ - (الجمهورية اللبنانية - بيروت - دار النشر اللبنانية - ١٩٦٥) - ٢

هل الفصل الرابع

دراسات متنوعة



وانت أنتك أنا بده الوجة الصيرة السريعة التي قضاها معا في روضة كسير
 الغناء ، البحية الارجاء ، قد استمتعنا بجو عيني طلق ، وأصغينا الى أعذب ما لقلب
 بشري ان يفيض به من الاثنيدي والاعلان ، وانتعشت أرواحنا
 الشمامسة من ينقل من حجرة مظلمة خائفة الى الطبيعة البصرة اليبسة

حديقة الحناء

البراسمة ، لطارية حشوف الاشجار ، والاشجار والأزهار ، وجمع ألوان
 الطير الشادي

حديقة الحناء

ورضيت أنك بعد ان أخذت هذه الباقة الالوية الصيرة بيديك ، ورضيت وتوددها
 البانعة ، وحسبها الى صلتك ، وانجبت بها نفسك ، سيجفرك واقع حقي قروي
 لزيارة الطبيعة التي اقتطعت منها . ومن عذبة لا نهاية لعمودها ، وليس يكفي عمر
 واحد ، أو اثنين ، لا يستغنى كل ما فيها ، لا تاحديقة الجاه الزاهرة ، المتجددة مع
 الأيام ، والحالدة الى آخر الزمان !



هل ألف شكسبير مسرحياته ؟

قد يحظر لك بعد أن فرغت من مطالعة هذه الفصول المتعلقة بحياة الشاعر ، وما بعد حياته ، وتحليل عبقريته المتجلية بهذا التراث الادبي السامي ، أن تسأل عن حقيقة شكسبير ، هل هو شخصية تاريخية بالفعل ؟ وهل هذا الادب من انتاجه ؟ لانه على الرغم من سعة شهرته وبعديته ، وذيوع اسمه في جميع أرجاء المعمورة ، ما يزال في أذهان بعض الكتاب ومؤرخي الادب ، مبهم الشخصية ، ومجهول الهوية ؛ فلا غرابة إن شاهدنا الكثيرين منهم في انكلترا وخارج انكلترا ، ولا سيما في اميركا بلد كل غريب وجديد ، يرتابون في أمر تأليف شكسبير للمسرحيات المنسوبة اليه ، فيطالبوننا في كل يوم بمؤلف لها ، مؤيدن آراءهم بالبراهين المتكافئة والحجج المصطنعة .

ولقد بلغ من خطورة هذه المسألة ما جعل الادباء ينقسمون الى مدرستين : الاولى تناصر شكسبير وتعزده قضيته ، وتعرف « بمدرسة المستقيمي الرأي » (١) ، والثانية « غير الستراتفوردية » (٢) ، وهذه تعاكسه وتناوئه ، وتجرده من المواهب الفكرية ، وتهمه بالابادة والجهل ؛ وترى من العار اعزاء هذه المؤلفات الرائعة الى شخص كشكسبير ، قروي ، وضيع النسب ، حقير المنبت ، وعامي ، لم يتح له ان يتلقى تعليماً عالياً . بل انها لا تستطيع ان تتصور العبقرية تنشأ في الاكواخ وتنمو وتزهر في غمرة من البرؤس والفقير والكدر في الحياة . في هذا يتفق اشباع هذه المدرسة ، بيد انهم ليجتلفون كل الاختلاف في تعيين مؤلفها .

اما زعيم الادباء الذين تنسب اليهم هذه المسرحيات ، فهو الفيلسوف والنائر والمحامي الانكليزي الشهير فرنسيس بيكن (١) . وأول من وضع أسس النظرية البيكونية (٢) ، فهو هربرت لورانس (٣) الذي ألف سنة ١٧٦٩ كتاباً سماه « مجازفات في الذوق السليم » (٤) . بيد أن ما ورد فيه من آراء في هذا الموضوع لم تثر اهتمام النقاد ومؤرخي الادب ، ولم تحرك لهم ساكناً طيلة نصف قرن أو أكثر ، حتى عادت مرة ثانية للا ظهور في كتاب عنوانه « سحر التنزه في الباخت » (٥) نشره سنة ١٨٤٨ الأديب جوزيف س . هارت (٦) ، فأثار بذلك الشكوك في علاقة شكسبير بهذه المسرحيات . ثم نشرت مجلة « تشمبرز جورنال » (٧) في ٧ أغسطس ١٨٥٢ مقالا موضوعه « من ألف مسرحيات شكسبير ؟ » (٨) . وألحقته المس ديليا بيكن (٩) بمقال في مجلة (Putnam's Monthly) في يناير سنة ١٨٥٦ ، عاجلت فيه هذه المسألة ودعت بقوة وعنف الى عزوها الى فرنسيس بيكن ، بدلا من شكسبير . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى شرح نظريتها في كتاب نشرته سنة ١٨٥٧ تحت عنوان « كشف القناع عن فلسفة مسرحيات شكسبير » (١٠) ، مع مقدمة محايدة الروح ، للقاصي الاميريكي الشهير ناثانيل هورثون (١١) .

١ - Francis Bacon ١٥٦١ - ١٦٢٦ «

٢ - « The Baconian Theory »

٣ - (Herbert Lawrence)

٤ - (Adventures In Common Sense)

٥ - (The Romance of Yachting)

٦ - قصص الولايات المتحدة في سانتا كروز (Joseph C. Hart)

٧ - (Chamber's Journal)

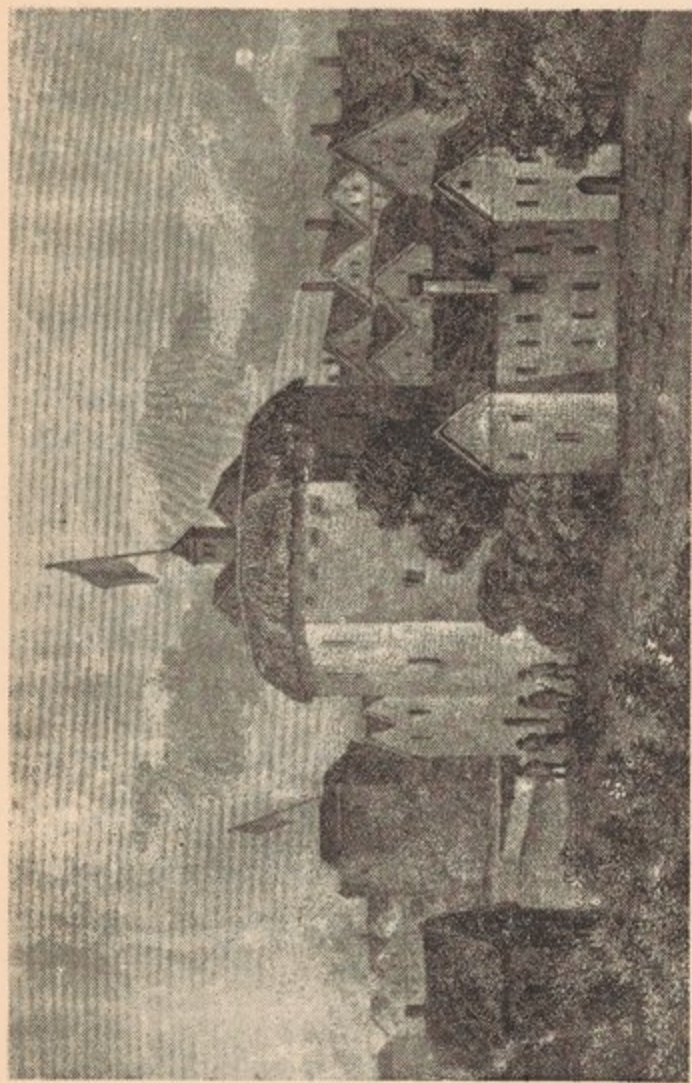
٨ - (Who Wrote Shakespeare ?)

٩ - (Miss Delia Bacon)

١٠ - (The Philosophy of the Plays of ShaKespeare unfolded)

١١ - (Nathaniel Hawthorne)

تكون التي فيها يكن بها افرق مثل من النظر اليكوية بعد انما
لم تكن طويلا بعد كتابها هذا بل الوقت عام ١٨٥٩ مناصه بطون .



مسرح الكرة

(The Globe Theatre)

(انظر صفحتي ٢٢ و ٢٤)

وقد ظهرت بعد
وامر كما كان
وغيره من
وكذا الجوانب
في الطول
اولا ان السر

استقر
ملا في
ان يفسر

(SIR T. MARTIN)
(SIR GEORGE GREENWOOD)
(SIR THOMAS MATTHEWS)

فتكون المس دليلاً بيكن بهذا أقوى مناضل عن النظرية اليبكونية . بيد أنها لم تعش طويلاً بعد كتابها هذا ، بل توفيت عام ١٨٥٩ مصابة بالجنون .

وقد ظهرت بعد ذلك مئات المؤلفات في الموضوع ذاته ، لأدباء من انكلترا واميركا ، كالورد بنزانس (١) ، والسرت . مارتن (٢) ، والسرجورج قرينود (٣) ، وغيرهم ، ممن عززوا موقف بيكن ، وحموا على شكسيير وزعزعوا مكانته ، وكادوا يمحوون اسمه من الوجود محوآ .

ويبني انصار بيكن حججهم على نقاط كثيرة ، ألخصها في ما يلي :

أولاً : ان السر توبي ماثيوز (٤) بعث سنة ١٦٢١ برسالة الى فرنسيس بيكن يمدحه فيها ، ويعتبره « انبع من انجبت الامم ، ومن عاش على هذا الجانب من البحر في العصر الحاضر ، والذي ، رغم ان له اسم سيادتكم ، الا انه يعرف باسم آخر . »

ثانياً : ان في هذه المسرحيات بعض فقرات ومفردات تدل على تبهر مؤلفها في الفلسفة وعلم القانون ، بشكل لا يمكن ان تعزى معه الى شكسيير ، كما يظهر من ترجمة حياته المعروفة .

ثالثاً : في هذه المسرحيات مشاهد وايات من الشعر تشهد بان ناظم عقدها ارستقراطي النشأة والنزعة ، كاحتقاره الرعاع وازدرائه طبقة العوام مثلاً في مسرحيتي « يوليوس قيصر » و « كوريولانس » ، مما لا يمكن ان يصدر عن شكسيير القروي ، ذي النسب الوضع .

(LORD PENZANCE) - ١

(SIR T . MARTIN) - ٢

(SIR GEORGE GREENWOOD) - ٣

(SIR TOBIE MATTHEWS) - ٤

رابعاً وأخيراً : ان ما في نسب شكسبير من ضعة ، وفي نشأته من حقارة ، وفي علمه من نقص ، وفي خلقه من مغمز ، وما يحوط حياته كلها من غموض وابهام ، لا يبعث على الاعتقاد بانه هو مؤلف هذه المسرحيات التي تشهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ، ونبوغ لا يدانيه نبوغ . ولا يرون من هو جدير بها اكثر من بيكن الفيلسوف العظيم الذي شغل اذهان اهل زمانه ، وملا أسماعهم وابصارهم بنتاجه الفكري الفذ .

ولا يقف انصار شكسبير ازاء هذه الحجج مكتوفي الايدي حائرين ، بل انهم يجيبون على كل منها ، ويفندونها ، واحدة ، واحدة . فيقولون في الرد على الحجة القائلة ، بأن السر توبي ماثيوز لم يعن برسائله بيكن الفيلسوف ، وانما عنى صديقه الراهب اليسوعي توماس ساوثويل (١) الذي كان يعرف بلقب « بيكن » . ويرون انهم لوسموا - جدلا - بأن السر توبي قصدي بيكن بالفعل ، فليس في هذا دلالة قاطعة على ان بيكن هو مؤلف المسرحيات ، وليس شكسبير . ويعتقدون ان العاطفة الجاحمة ، عاطفة الصداقة العمياء ، ذات التعميمات السكاذبة والاحكام الجارفة ، هي التي دفعته الى مثل هذا الاغراق في المدح والاطناب .

اما ما يتعلق بانتاجه الادبي ، فليس في كل ما تحدر الينا من شعر بيكن ما يدل على انه ذلك الشاعر المبدع الذي اليه يمكن اعزاء تلك الحرائد الفريدة ، ولا سيما ما تخلل منها المسرحيات الاخيرة . كما ليس ثمة أي تشابه بين ما اتسمت به هذه القصائد من اسلوب وتصوير وخيال ، وبين شعر بيكن المعروف لدينا .

اما المفردات والفقرات الواردة في مسرحيات شكسبير ، والدالة على تبصر في العلم ، وتبحر في الفلسفة والقانون ، والملم بأغلب الفنون ، فلم تك مقصورة على شكسبير او بيكن وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين في عصر اليزابث

والملك جيمس الاول ايضاً . فالذي يميز الارتياب في أمر شكسبير على هذا
الاساس الضعيف الواهي ، يميز كذلك الشك بغيره من الكتاب والشعراء .
وأنصار شكسبير ، مع ذلك ، لا يرون في هذه المسرحيات ما يدل على الملم واسع
بالعلوم والفنون أو تعمق في الفلسفة والقانون ، الملماً وعمقاً يصح معها أن ينسب
تأليفها الى بيكن صاحب النظريات الفلسفية والنثر الادبي الرائع . بل انهم لا
يستطيعون أن يروا وجهاً للتوفيق بين ادعاء خصوم شكسبير بان هذه المسرحيات
تدل على معرفة عميقة وعلم واسع ، وبين ما آخذه عليه صديقه ومعاصره الشاعر
بن جونسون من نقص في الثقافة والتعليم .

أما الادعاء بان مؤلف المسرحيات لا بد أن يكون ارستقراطي الدم
والنشأة والنزعة ، كما يتبدى من موقفه من الرعاع في « يوليوس قيصر »
و « كوريولانس » ، فليس بالحقيقة الراهنة التي يمكن أن يستند اليها في دعم هذه
النظرية السخيفة .

فما مسرحيات شكسبير الا مملكة كبيرة ، واسعة الارحاء ، فيها الملوك والنبلاء
والرعاع والدمماء ، وفيها الجنود وأهل الحرف والصناعات والآلهة والجن والاشباح .
وكل منهم يفكر وينطق ويتصرف حسباً توحيه له طبيعته وظروفه وأخلاقه ، غير
خاضع في ذلك لوجهة نظر الشاعر أو فلسفته الخاصة به . وبهذا امتاز شكسبير عن
جميع الشعراء ، وبالخيال الممنح والفهم الصحيح لدخائل النفس البشرية ، على تباين
مظاهرها وتلون اشكالها . وما الرعاع الا من هذا البشر الذي صورته بمثل هذه
البراعة والدقة والاتقان .

ثم ان الاهداء ، وقصائد الرثاء ، والاطراء ، ومخاطبة القراء ، وقد نشرت كالم في
المجموعة الاولى لمسرحيات شكسبير سنة ١٦٢٣ ، لا تترك مجالاً للشك بان شكسبير
هو مؤلفها الحقيقي ، وليس بيكن أو أي كاتب آخر . هذا بعض ما يجيء به أنصار
شكسبير من الردود على خصومهم . ولم أعثر لهم على رد يدحضون به الزعم
الحاطيء بان العبقرية لا تنشأ في الاكرواخ ، ولا تنمو في غير المعاهد العالية . ولو

شأنه أن يفعلوا ، لقالوا أنه زعم غير وارد ، وباطل من أساسه ، إذ من يستطع ادراك كنه العبقرية والوقوف على طبيعتها وجوهرها ، والاحاطة بدقائقها وأسرارها ؟ فما دام علم السيكولوجيا الحديث عاجز عن الكشف عن حقيقتها ، فما الذي يدفع أولئك الحُصوم الى تقييدها بالزمان والمكان ، واخضاعها لقواعد وشروط ؟ بل من قال ان العبقرية حبس على القصور والمعاهد العلمية الراقية ؟ أو انها تأنف النمو في الاكواخ ، والعيش في أجواء الحياة الفسيحة ، والتعرض لنور الشمس الساطع الهبي ، واستنشاق الهواء الطلق القوي ؟ يا ليت هذا القول كان صحيحاً ، اذن لشاهدنا القصور والجامعات تنفح العالم عاماً بعد عام ، أجيالا كثيرة من العباقرة الخالدين !

ويتجاوز أنصار شكسبير حد الدحض والتفنيد ، الى الاتيان بمجج ايجابية دامغة تؤيد رأيهم في هذا الموضوع . كقولهم مثلا ان حياة شكسبير ليست محوطة بالابهام كما يدعي خصومه . وان ما نعرفه من الحقائق عن حياته لا كثر جداً بما نعرفه عن غيره من كتاب الدراما المعاصرين له .

ويصرحون أيضاً ان في أيديهم وثائق وسجلات عديدة تبرهن على اتصال شكسبير بالمرح وانشغاله بالتمثيل مدة ليست باليسيرة . وقد ورد في بعض هذه المسرحيات ما يدل على وقوفه على دقائق المسرح (١) وطول باعه في فن التمثيل . وليس في ترجمة بيكن ما يستدل منه على شغف بالتمثيل ، أو تعلق بالمرح ، أو انشغاله بامرهما ، في أي طور من اطوار حياته .

اما ادعاء خصوم شكسبير بأن ما في مسرحياته من مفردات قانونية ، يؤكده ليكن - وهو من رجال القانون - الحق في تأليف المسرحيات ، لحجة ضعيفة

١ - كتالغين هاملت الممتلين اصول التمثيل في تلك المسرحية - المشهد الثاني من الفصل الثاني

واهية يسهل دحضها . فقد كانت لندن في عصر اليزابث مكتظة برواد المسرح من طلاب حقوق وغيرهم . فكان شكسبير يجد فرصة مجالستهم وتبادل الاحاديث معهم ، ولا بد ان اكثرها كان يدور حول القضاء . هذا عدا تجاربه واختباراته الخاصة في هذا الموضوع ، كابن تاجر ، وملاك ، ورجل دنيا ، طالما ساقته الظروف الى المحاكم لتبابعة قضاياه .

ومن البيئات الواضحة التي يعتمدها انصار شكسبير في الرد على خصومه ، وورد اسمه في بعض النسخ الاولى من مسرحياته ، مفردة (QUARTO) ، وفي مقدمة مجموعة مسرحياته ، كما ذكرنا ، وكذلك في قصيدتي « فينس وادونيس » « ولو كريس » والصونينات ، ومذكرات معاصريه ، وخصوصاً فرنسيس ميرز (١) في كتابه « بالادس نيميا » (٢) ؛ وروبرت قرين (٣) في تهكمه اللاذع على شكسبير لدى ظهوره في لندن ككاتب مسرحي ، وكذلك في قصيدة بن جونسون الرثائية ، والأهم من هذا في ذلك النقد الذي تناول به فن شكسبير الادبي في مقاله الذي ظهر في مجموعة مسرحياته سنة ١٦٤٠ ، تحت عنوان « الغاب » ، او اكتشافات في الناس والمادة » (٤) ، وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في مكان آخر (٥) . وكل هذا يؤيد تأييداً مطلقاً ان وليم شكسبير هو الذي ألف تلك المسرحيات ، وليس شخص آخر غيره ، كما يدعي خصومه .

وقد ظهر مؤخراً مرشحون آخرون لمسرحيات شكسبير عدا فرنسيس بيكن ،

١ - (FRANCIS MERES)

٢ - (PALLADIS TAMIA)

٣ - (ROBERT GREENE)

٤ - (TIMBER, OR DISCOVERIES MADE UPON MEN AND MATTER)

٥ - راجع هذا تحت عنوان (شكسبير والشعراء والمعاصرون) ص ٢٥ من هذا الكتاب ، وايضاً

منهم ايرل اوف روتلند الخامس (١) وايرل اوف داربي السادس (٢) ، والسر انطوني شايرلي (٣) ، وكذلك ادوارد دي فير ، ايرل اوف اكسفورد السابع عشر (٤) . فقد وضع ج . توماس لوني (٥) سنة ١٩٣٠ كتاباً سماه «اثبات شخصية شكسبير في ادوارد دي فير ايرل اوف او كسفورد السابع عشر» (٦) . كما ظهر كتاب آخر من تأليف مونتاجو دوغلاس (٧) اسمه ايرل اوف او كسفورد كشكسبير» (٨) . وقد طالعتُه فلم ينقع غلتي بما جاء فيه من آراء عقيمة مختلفة، وهو يجمع باختصار كل ما يمكن ان يقال عن هذا الايرل ، او يبرهن على انه مؤلف مسرحيات شكسبير .

وقد يعن لك في هذا الصدد ، ان تتساءل ، جاداً او هازلاً ، عين حظ « شخينا زبير » من هذه المسرحيات . ولست بحاجة الى القول بانها خرافة طريفة ، اكبر عامل في خلقها وشيوعها على ألسنة العوام واشباه العوام هذا التشابه الظاهر بين اسمي شكسبير والشيخ زبير . مع هذا ، ان كنت من انصار هذا الشيخ واعوانه عن حق او باطل ، او من هواة النظريات الخيالية ، فقد تستطيع ان تدعم نظريتك بذكر « السيدة السمراء » (٩) التي اشار اليها شكسبير في صونيتاته ، ولك عندئذ ان

١ - (FIFTH EARL OF RUTLAND)

٢ - (SIXTH EARL OF DERBY)

٣ - SIR ANTHONY SHIRELY

٤ - (EDUARD DE VERE, THE SEVENTEENTH EARL OF OXFORD)

٥ - J. THOMAS LOONEY

٦ - (SHAKESPEARE IDENTIFIED - EDUARD DE VERE, SEVENTEENTH EARL OF OXFORD)

٧ - MONTAGU DOUGLAS

٨ - (THE EARL OF OXFORD AS SHAKESPEARE)

٩ - « THE DARK LADY »

تسأل « وهل ينبت اقليم انكافرا غير الشقر من النساء؟ » ثم هنالك الحبل وكلف شكسبير بها ، كما يتجلى من رعايته حيول رواد المسرح في اثناء مشاهدتهم التمثيل . وكذلك ما جاء في مسرحياته من امتداح لجزيرة العرب ، وتغنن بسائها ، وطيرها الخرافي الفونيكس (١) « PHOENIX » ، وزهرها وشجرها .

كل هذه بعض الشواهد التي تستطيع ان تذكرها في تعزيز النظرية الشيخزبيرية ان احببت ان تكون من انصارها ، وخطر لك ان تشير بذلك ضحك الناس وسخرتهم .

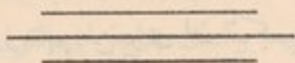
ولقد غرب عن البال ان اذكر لك ان من المؤرخين من يعزو الى شكسبير نحو اربعين مسرحية اخرى ، ومنهم من يرى ان شكسبير لم يؤلف كل مسرحياته وحده ، وانما شاركه في ذلك كتاب آخرون كيميونت ، وفلتشر ، ومارلو ، ومانسجر ، ولا سيا في « تيطس اندرونيكس » وثلاثة اجزاء « هنري السادس » ، و « تيمون اثينا » و « بيركليس » و « هنري الثامن » .

واعود الآن الى خصوم شكسبير وانصاره ، فأوكد انك بعد دراسة حجج الفريقين ، وتمحيصها بكل دقة وعناية ، سوف ترجح كفة المدرسة الستراتفوردية وتميل معي الى الاخذ بآراء اتباعها .

ذاك ، وليس يضير هذه المسرحيات ويقلل من قيمتها ، او يهيننا كثيراً من كان مؤلفها ، ما دامت هي بين ايدينا ، نرتع في نعيمها الخالد . فلنذر المتخاصمين في خصامهم ، والمتنازعين في نقولاتهم وآرائهم المتضاربة ، ولنظل - أنت وأنا -

١ طير خرافي ذو ريش ذهبي وأجر ، يذكره الشعراء عادة كرمز للغلود ، لانه - كما تذكر احدى الاساطير - بعد ان عاش خمسة او ستة قرون في الصحراء العربية حرق نفسه ، ثم بعث من خلال الرماد ليعيش مرة ثانية دورة جديدة من العمر

نعب من هذا الينبوع الروحاني السامي بقدر ما يتيسر لنا .
 وقد قال شكسبير : « ما قيمة الاسم ؟ ان ما نسميه وردة ، سيظل بأسم
 آخر يفوح بالأرج الزكي ! » (١)



« What's in a name ? That which we call a rose, —
 By any other name would smell as sweet. »
 في مسرحية (روميو وجوليت) المشهد الثاني من الفصل الثاني : السطر ٤٣ - ٤٤ :

شكسبير والادب العربي

يقف من يتعمق في دراسة الادبين العربي والانجليزي على ظاهرة غريبة ، حرية باهتمام من يعنون بدراسة الآداب الغربية ، أعني بها التماثل الظاهر بين ما يرد في كلا الادبين من قصص وحكم وآراء فلسفية ؛ وهو تماثل يبعث على الاعتقاد بأن احد الادبين لابد ان اقتبس من الآخر ، او تأثر به الى حد بعيد .

ففي مسرحيات شكسبير مثلاً من هذه القصص والحكم والامثال ما يشعر القارئ بأن مؤلفها كان ملاماً بعض الشيء بالادب العربي ، ولا سيما القديم منه . ولا نقول العكس ، لان هذه القصص المتشابهة جاءت في الآداب العربية قبل الانجليزية بعهد طويل .

ولست اقصد الزعم ان شكسبير نقل حكمه وآراءه الفلسفية عن الادب العربي . اذ ان الشاعر في كل آن ومكان ، وفي أي حال او ظرف من حالات الحياة وظروفها ، لا يخرج عن كونه انساناً يحس بما يحس به غيره من الشعراء عند الامم الاخرى ، وان اختلفوا لغة وعرقاً . فالحياة والطبيعة البشرية اللتان هما مصدر الادب ، ثابتتان في اصلهما ، ولهذا كانت الادب الذي يصور لنا جوهر الحياة ، وطبيعة الانسان ، ثابت لا يتغير بتغير البيئات والازمان . فنحن حين نطالع شعراً او حكمة في الشعر العربي القديم ، قد نعثر في شكسبير مثلاً على تعبير قريب منه كل القرب . وكم من حكمة استوقفتني وانا ماض في مطالعة شكسبير ، فتذكرت شيئاً شبيهاً بها في أدبنا . يقول كاشيوس لبروتس في معرض العتاب : -

Cassius to
Brutus

« A FRIENDLY EYE COULD NEVER SEE SUCH FAULT. » (١)

اوليس هذا تماماً كقول الشاعر العربي (٢) :- « وعين الرضى عن كل عيب كليله ! »
ويقول شكسبير على لسان قيصر :-

« COWARDS DIE MANY TIMES BEFORE THEIR DEATHS.
THE VALIANT NEVER TASTE OF DEATH BUT ONCE. »

واسمع ما يقوله الخوارزمي :-

« الجبان مقتول بالخوف قبل ان يقتل بالسيف ، والشجاع حي وان خانه
الدهر ، وحاضر وان غيبه القبر . »

ويضع شكسبير على لسان دوقه غلوسستر (DUCHESS OF GLOUCESTER) في
مسرحية « ريتشارد الثاني » (٣) هذا الكلام :-

« THAT WHICH IN MEAN MEN WE INTITILE PATIENCE
IS PALE COLD COWARDICE IN NOBLE BREASTS. »

أولاً يذكر هذا بقول شاعرنا ابي الطيب :-

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجيء اليها اللثام
وقد أمضي الى النهاية في سرد الابيات التي عثرت عليها في خلال دراستي
لمسرحيات شكسبير ، وذكرتي بأبيات اخرى في ادبنا تأملتها في الفكرة والتصوير
والأداء . ومن هذا نستنتج ان شكسبير والمتنبى ، وكذلك بيرون ودانتي
والمعري ودي موسيه وشلي والبحثري وبوشكين ودانتي وغيرهم من عمالقة الادب
وامراء الشعر العالمي ، جميعهم كرعوا من ينبوع النفس البشرية ، واستقوا من معين
الحياة ، فاختلفت في صدورهم احساس واخيلة وخواطر متماثلة في المعنى ، بعض
التماثل ان لم يكن كله ، وان اختلفت بما اسبغوه على تلك المعاني من اثواب

١ - المشهد الثالث من الفصل الرابع من (يوليوس قيصر) السطر ٩٠

٢ - المشهد الثاني من الفصل الثاني من مسرحية (يوليوس قيصر) السطر ٣٢ - ٣٣

٣ - المشهد الثاني من الفصل الاول ، السطر ٣٣ - ٣٤

قشبية منمقة .

ولست اظنني مغالياً ان اعتبرت اول مقاييس العبقرية الصحيحة في كل بلد ، وفي كل ميدان من ميادين المعرفة والفن ، الترفع عن القشور الزائفة والتجرد من الهنات الحقيرة التافهة ، والانضوا تحت لواء مملكة الانسان ، وهي اوسع حدوداً وارفع مكانة واخطر شأنًا من جميع الممالك التي تتراءى لنا على المخططات الجغرافية ، متباينة الالوان .

وقد لا يصدق ما ذهبنا اليه من تعليل لهذا التشابه الذي نلاحظه بين الحكم والامثال ، على القصص والاساطير الواردة في آداب العالم . فالحكمة والمثل هما نتيجة تفاعل الانسان مع بيئته ، وثمره احتكاكه بالظروف والاحداث التي يلاقيها في حياته اليومية ، فتمتلئ بها نفسه ، وتختمر في ذهنه ، وتفيض على لسانه درراً خالدة . اما القصص فتنتقل من فرد الى فرد ، وترحل مع الانسان من قطر الى قطر ، وتتحد من عصر الى آخر ؛ ولا حرجة على الاديب من تضمين نتاجه قصة عامية ، مها كان مصدر هذه القصة ، شريطة ان يعرف كيف يارنها بمزاجه وشعوره ، ويعرضها في صورة فنية جديدة .

وانني لأذكر انني استمعت وانا طالب ثانوي الى محاضرة بمتعة القاها في القدس الاديب الكبير البروفسور بيزا « PROF. BEZA » قنصل رومانيا السابق في فلسطين . وكان موضوعها « شكسبير والقصص الشعبية الشرقية » (١) ، وقد سرد فيها طائفة من القصص التي جعلها شكسبير محوراً لبعض مسرحياته ، ذاكراً في الحين ذاته ما يماثلها من الحكايات الشائعة على ألسنة العوام في الشرق . واستنتج اخيراً ان هذه الحكايات لا بد ان تكون قد تسربت الى الغرب عن سبل شتى ، كافتوحات العربية ، او الرحلات الفردية ، او الصليبيين العائدين الى وروبا ، ناقلين معهم الشيء الكثير منها ،

فانتشرت في جميع البلدان الاوروبية، وبلغت انكاثرا ، مدونة او مروية ، فاستطاع شكسبير ان يضمن مسرحياته بعضاً منها .

ولقد ذكرت قول البروفسور بيزاهذا ، حين درست مسرحية « ماكبث » ، وعثرت فيها على قصتين وجدت ما يماثلهما في أدبنا . ولست اخال احداً طالع « ماكبث » ولا يتذكر قصة زرقاء اليمامة والشجر المتحرك . فقد ضمن شكسبير مسرحيته فكرة الغابة المتحركة ، كما وردت في حكاية زرقاء اليمامة مع أبناء قبيلتها .

وانك لتذكر ان ماكبث بعث جندياً ليستطلع له امر العدو ، فاعتلى هذا ربوة عالية تشرف على جيش ماكدوف (١) ابن دنكن الملك القليل ؛ وبدلان أن يشاهد جيشاً لجباً يلا ساحة القتال ، رأى غابة كثيفة تسير نحوه رويداً رويداً ، فعاد الرسول ينبيء مولاة بما شاهد ، فتذكر ماكبث نبوءة الساحرات الثلاث اللاتي ظهرن له مؤخرأ وتنبأن له بأنه سيهزم حين يشاهد غابة برنام (٢) تدنومن تلة « دنسان » (٣) . وما كانت غابة برنام التي شاعدها جندي الطليعة تزحف ، الا جيش مكدوف مستتراً بأشجار اقتطعها ، فحمل كل جندي شجرة يسير تحتها متنكراً ، لمفاجأة جيش ماكبث ، والايقاع به على حين غرة . وهكذا أسفرت المعركة عن انهزام ماكبث ولقاء حتفه على يد الابن الثائر لدم والده ؛ فتحققت بذلك نبوءة السواحر .

وصاحب الاغاني (٤) يذكر كيف كانت الزرقاء ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلا ، وكيف ان قوماً من العرب غزوا اليمامة ، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا « كيف لكم الوصول ، مع الزرقاء ! » فاجمعوا على اقتلاع شجر

١ - Macduff

٢ - Birnam wood

٣ - Dunsinane Hill

٤ - الاغاني ج ٢ : ص ١٣٢

تستتر كل شجرة منها فارساً اذا حملها ففعلوا ذلك وساروا بها ، فأشرفت كعادتها ، فسألها قومها ما ترى ، فأجابت « أرى شجراً يسير . » فقالوا « كذبت أو كذبتك عينك » واستهانوا بقولها ، فلما أصبحوا ، صبحهم القوم فاكتسحوا أموالهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقيل أخذوا الزرقاء ، وقلعوا عنها .

ولا حاجة الى الاشارة الى وجه الشبه الكبير بين هاتين القصتين ، بما لا يترك مجالاً للشك بان شكسبير قد تأثر بالقصة العربية ، اذ من غير المعقول ان يحدث توارد الخواطر في قصة مطولة ومحبوكة العناصر كهذه .

أما القصة الثانية ، ويشير اليها نيكلسن (١) المستشرق الانجليزي الشهير في كتابه « تاريخ العرب الادبي » (١) في سياق البحث عن الحياة العامة في القسم الجنوبي من جزيرة العرب .

ولقد وردت هذه القصة في قصيدة « أسعد كامل أو ابو كرب » التي أطلق عليها نيكلسن اسم « قصيدة الساحرات الثلاث » (٢) ذلك لما بينها وبين خرافة الساحرات الثلاث اللواتي يثلن ذلك الدور الرئيسي في مسرحية « ماكبث » من تشابه كل وتشابه عظيمين . والقصيدة ، كما سترى ، موضوعة في قالب أقرب الى العامية منه الى الفصحى . وقد نقلها فون كريمير « Von Kremer » المستشرق الالماني الى الالمانية ، ونشرها في كتابه « Altarobische Gedichte » ، ونقلها كذلك نيكلسن الى الانجليزية في كتابه المذكور (٣) .

وفي هذه القصيدة يخاطب أسعد ابنه (حسناً) ، ويوصيه بأن يكون بطلاً ؛ ويسرد له في سياق الحديث قصة الساحرات الثلاث ، كيف صادفته غلاماً ، فمزجت

Literary History of The Arabs, By Nicholson - ١

The Ballad of the Three Witches - ٢

Literary Hist. of The Arabs P. 19 - ٣

له الكبرى أولاً دواء ، وناولته ، فشرب ، وقدمت له الوسطى ضبعاً برياً امتطاه
وذلك . ثم جاءت الصغرى تمرضه ، فتجنّبها . ولما أيقن فيه هذه الجرأة النادرة ،
والمقدرة على مقارعة الحُطوب ، تنبأن له بعهد سعيد ، ومستقبل باهر يتسم فيه ذرى
المجد . وهكذا تتحقق النبوءة ، فيصبح أسعد ، على ما جاء في القصيدة ، قائد
جيش كبير ، ثم ملكاً تهابه الأعداء .

وانت تذكر ان ماكبث كان في اول عهده قائداً مغواراً في عسكر الملك
دنكن « Duncan » ، ولما عاد هو وبانكو « Banquo » مظفرين من ساحة القتال ،
اعترضتها في الطريق ثلاث ساحرات في اشكال نساء ملتحيات ، كان دأبهن القيام بأعمال
سحرية خارقة ، ولهن مقدرة على قراءة المستقبل ، ومعرفة الغيب ، فتنبأن ان
سيكون ماكبث أولاً من الشرفاء ، وان يعتلي العرش بعد ذلك . وبعد مرور فترة وجيزة
يتحقق الشطر الاول من هذه النبوءة ، فيختار الملك قائده ماكبث ليكون شريفاً
« Thane » ، ثم تسول نفس ماكبث له التطلع الى العرش ، فيدعو الملك
« دنكن » الى وليمة في قصره ، ويقضي عليه وهو يغط في نوم عميق ، ثم ينصب
نفسه ملكاً على الشعب .

ومن يدرس ما جاء على لسان هؤلاء السواحر في مسرحية « ماكبث » من
اقوال غامضة مضطربة ، ويقابل ذلك بحديث الساحرات الثلاث في القصيدة العربية
يلقى تشابهاً يدعو حقا للفرابة . فساحرات « ماكبث » من شأنهن جمع الادوية ومزجها
وطبخها ، واستعمالها في جميع شؤونهن السحرية (١) . وهذا يشبه ما جاء عن
ساحرة ، « أسعد » الكبرى التي ذكرت القصيدة انها : -

جاءت اليه الكبرى بأسقية شتى وفي بعضها دم كدر

ثم ان الضبع الذي قدمته الساحرة او الجنية الوسطى « لأسعد » هو من مطايا

ساحرات « أسعد » . وفي مسرحية « ماكبث » تشير الساحرة الاولى (١) الى امرأة بجار صادفتها في طريقها ، وذكرت ان زوجها صاحب « النمر » قد سافر الى حلب . ولو سلمنا مع شراح شكسبير ان « النمر » هو اسم مركب ، فما علاقة مدينة حلب العربية ، والبعيدة عن شاطئ البحر ، بهذا المركب الذي ذكرته الساحرة ، لو لم يكن بين هاتين الخرافتين من علاقة وسبب ؟

أما وقد بسطنا بعض وجوه الشبه بين الخرافتين ، فمن المستحسن الاثبات بقصيدة اسعد كامل كلها ، ليتسنى لك مقابلتها مع الخرافة الشكسبيرية بدقة وتفصيل .

ولست أجزم ، وإنما اظن بما يشبه اليقين ، ان هذه الخرافة وغيرها من الحكايات التي نجد لها ما يماثلها في مسرحيات شكسبير ، قد تسربت الى الغرب ، ووصلت انكلترا مشوهة ، فتناقلتها الالسن ، ودون معظمها الكتاب والمؤرخون « كرفائيل هولنشد » (٢) صاحب كتاب « التواريخ » (٣) المشهور ، الذي يعتقد ان أيدي كثيرة اشتركت في تأليفه . ومن هذا الكتاب ، ومن غيره من كتب التاريخ ، اقتبس شكسبير معظم الحقائق التي نسج حولها مسرحياته التاريخية وبعض مآسيه « كالمملك لير » و « ماكبث » وغيرهما .

وهذا بحث طريف ، وجددير بقلم اخصائي في الادب الشعبي ، وذوي اطلاع واسع على ادب شكسبير والصادر التي استقى منها ، كالبروفسور بيزا الذي ألمعت اليه في أول الكلام .

واليك الان قصيدة « أسعد كامل » :

١ - السطر السابع من المشهد الثالث من الفصل الاول

٢ - Raphael Holinshed « توفي عام ١٥٨٠ »

٣ - The Chronicles of England, Ireland & Scotland « ظهر سنة ١٥٧٧ »

الدهر يأتيك بالعجائب و
بيننا ترى الشمل فيه مجتمعاً
لا ينفع المرء فيه حيلته
انى زعيم بقصة (عجب)
يأتي بتصديقها اللبالي و
يكون في « الأسد » (١) مرة رجل
مولده في قرى ظواهر همدان بتلك التي اسمها « خمر »
يقهر أصحابه على حدث
حتى اذا أمكنته صولته
أصبح في هيوم (٢) على وجل
رأوا غلاماً بالامس عندهم
أن يفقدوه لا در درهم
حتى اذا أدركته روعته
جاءت اليه الكبرى بأسقية
فقال هاتي الي أشربها
فناولته فما تورع عن
فنهنته الوسطى فنازلها
قالت له هذي مراكبنا

الايام والدهر فيه معتبر
فرقه في صروفه القدر
فيا سيلقاه لا ولا الحذر
عندي لمن « يسترد هذا » الخبر
الايام ان المقدور ينتظر
« ثم » له في ملاوكة الحظر
همدان بتلك التي اسمها « خمر »
السن « ويحقرهم » فيحتقر
وليس يدري ما شأنه البشر
وأهله غافلون ما شعروا
أزرى لديهم يجمله الصفر
لو علموا العلم فيه لا فتخروا
بين ثلاث وثلاثه صخروا
شتى وفي بعضها دم كدر
قالت له ذر فقال لا أذر
حصاه حتى اماده السكر
كأنه الليث هاجه « الزعر » (٣)
فاركب فشر المراكب الحمر

١ - الاسر

٢ - أنهموم

٣ - الدهر

فقال حقاً صدقت ثم سما
فدق منه جنباً فغادره
ثم أتته الصغرى تمرضه
فمال عنها بمضجع ضجر
كان اذ ذاك بعد صرغته
فقلن لما رأين جرأته
في كل ما توجهه بوجهها
وانت للسيف والسنان وفي
«وان» انت المهريق «كل» دم
فارشد ولا تستكن في «خمر»
فلست تلتذ عيشة ابدأ
نحن من الجن يا ابا كرب
فما بلوناه فيك من تلف
ثم اتى اهله فأخبرهم
فسار عنهم من بعد تاسعة
فحلل فيها والدهم يرفعه
حتى اتته من المدينة تشكو الظلم
«ادت» اليه منهم ظلامتها
فأعمل الراي في الذي طلبت
فوق ضييع قد زانه القمر
فيه جراح منها به اثر
فوق الحشاييا ودمعه درر
لا يتساوى الوطاء (والزعر) (١)
من شدة الجهل تحته «الابر»
اسعد انت الذي لك الظفر
وانت يشقى بحربك البشر
الابدان تبدو كأنها الشر
اذا ترامى «بشخصك» السفر
ورد ظافراً فانها الظفر
ولالأعادي عين ولا اثر
يا تبع الخير هاجناً «الدغر»
عن عمد عين وانت مضطرب
بكل ما قد راي فما اعتبروا
الى ظفار وشانه «الفكر»
في عظم الشان وهو يشتم
تجرو به ثأرها وتنتصر
«فكان» كل بذاك يأتمر

مع شكسبير

في مسرحيته « هنري الخامس »

كلمة تعريف

لا حاجة الى التذكير بان مؤلف هذه المسرحية هو شاعر الكون الذي حرك بفته الشعري كل وتر من اوتار القلب البشري ، والذي نشأ من منبت وضع ، ونال من علوم المدرسة النزر اليسير ، فكان بذلك فخر الاكواخ ، وعز المنابت الوضيعة ، والمثل المحتذى للنبوغ الكامن الذي يشق طريقه نحو النور ، رغم الفقر والظلم والبؤس في الحياة .

يعزو مؤرخو الادب الانجليزي الى شكسبير نحواً من سبع وثلاثين مسرحية ، تقع تحت ثلاثة مواضيع رئيسية : المآسي « Tragedies » ، ومن اشهرها « ماكبث » و « الملك لير » و « هاملت » و « عطيل » و « روميو وجوليت » و « يوليوس قيصر » و « كوربولانس » وغيرها . ثم الملاهي « Comedies » ، « كقصة الشتاء » و « كوميديا الاخطاء » و « العاصفة » و « كما تشاء » و « سمبلين » ، واخيراً المسرحيات التاريخية « Historical plays » ، وفيها تناول شطراً كبيراً من تاريخ بريطانيا ، وكذلك من تاريخ روما القديم ، فكان في بعضها خاضعاً للحقائق التاريخية ، وفي اغلبها تجاوز التاريخ ، وانساق مع العاطفة والخيال ، مغلباً في ذلك الحس الادبي والفن الدرامي على الحقيقة العالمة المجردة .

هنري الخامس والتاريخ

تدور حوادث هذه المسرحية حول معركة اجنكورت « AGINCOURT » الشهيرة

التي فيها انتصر الانجليز على الفرنسيين . وهي واحدة من سلسلة معارك كثيرة حدثت بين هاتين الامتين في حروب المئة سنة .

اما سبب هذه الحروب ، كما يروي التاريخ ، فهو ادعاء ادوارد الثالث ملك انجلترا انه الوريث الشرعي لعرش فرنسا بحكم ان والدته ايزابلا كانت شقيقة آخر ملك من السلالة التي حكمت فرنسا في القديم . بيد ان فيليب السادس ملك فرنسا لم يرضخ لهذا الادعاء الخيالي ، فكان ذلك مدعاة لقيام ادوارد الثالث بغزو فرنسا عام ١٣٤٦ ، والانتصار عليها في معركة « كريسي » « CRACY » المعروفة . لكن الحرب مالبثت ان عادت للتجدد مرة ثانية في عهد هنري الخامس الذي تلقى من ملك فرنسا رفضاً باتاً للادعاء القديم بعرش فرنسا وبعض مقاطعاتها ، مما اثار غضب الملك الانجليزي ، ودفعه الى اقتحام الساحل النورماندي على رأس جيش يبلغ عدده نحو ١٤ الف جندياً معظمهم من الرماة . فالتجم والفرنسيين في معركة اجنكورت وذلك في ٢٥ اوكتوبر عام ١٤١٥ ، وهزمهم شر هزيمة ، بفضل ما ابداه الرماة من جرأة وفن في القتال ، حتى ان المعركة لم تستغرق اكثر من ثلاث ساعات ، حسبما جاء في كتب التاريخ .

درس الامة

عاش شكسبير في عصر كانت فيه بلاده مرتعاً خصباً للشقاق العنصري والطائفي والاقليمي . فثمة نزاع قائم بين الكاثوليك والبروتستنت ، وكذلك كراهية وبغضاء وشحناء تعتلج في صدور سكان الاقاليم المختلفة كالانجلترا وويلز وايرلندا واسكوتلندا بعضهم لبعض . بيد ان الساعة كانت حرجة كل الحرجة ، فأساطيل اسبانيا تستعد في كل لحظة لمحو عار المهزيمه النكراء التي لحقتها بها أساطيل بريطانيا بالامس . وما من سبيل لمجابهة الخطر الداهم بغير التآلف والتكاتف والاتحاد .

ولهذا فقد اراد الشاعر الملهب بالروح القومية ان يلقن امته درساً بليغاً في الوطنية الصحيحة ، وفي معنى التضحية ونكران الذات ، فصور لهم تصويراً ادبياً حياً ناطقاً ما حققه الاجداد من المجد والسؤدد والفخار حين نبذوا عنهم الشقاق ،

وتظهرت قلوبهم من اضرار الفردية ورجس التعصب الذمير .
فيختار شكسبير حقبة مجيدة من تاريخ بلاده موضوعاً لمسرحيته ؛ ويجعل
الجيـش الذي يغزو فرنسا خليطاً من مختلف الطوائف والاجناس التي تقطن الجزر
البريطانية ، ويعقد لواءه للملك شاب بطل ، يمثل في نزعته واخلاقه الشعب البريطاني ،
الرضي الوديـع ابان السلم ، والعنيف العنيد القوي الشكيمة في خلال الحرب .
وهكذا يقوم الشاعر بالنصيب الاكبر في صنع امته وتكوينها وتوجيهها ؛
بمطرقة الفكر ، ونار العاطفة الملتبهة المطهرة ، يعمل على صهرها في بوتقة من الشعور
الموحد ، حتى تكتسب تلك الاخلاق التي بها اشتهرت وسادت ، وشقت سبيلها الى
قلوب الاعداء والاصدقاء معاً .

الكورس « THE CHORUS »

لقد ضمن شكسبير هذه المسرحية عنصر « الكورس » الذي ابتدعه واستعمله
كتاب الدراما الاغريقية في القديم كصوفوكليس وغيره ، ليساهم بدور فعال في
التمثيل كأنه واحد من الاشخاص . بيد ان شكسبير لم يتخذ هذا الغرض ، وانما
لوصف المشاهد التي يصعب اظهارها على المسرح بامكانياته الضئيلة في ذلك العصر ،
وكذلك لوصل الاحداث التاريخية المتباعدة الازمان ، ولتزويد النظارة بمادة تغذي
خيالهم ، ما دام الكاتب عاجزاً عن ذلك بأية حيلة مسرحية اخرى .

فيظهر الكورس في مستهل بعض الفصول ليشرح للنظارة ما لا سبيل الى
عرضه امامهم على ذلك المسرح المعروف آنئذ « بالكورة » (١) ، والذي أشار
اليه شكسبير في افتتاحية هذه المسرحية « بالحلقة الحشبية » (٢) ، ويناشدهم ان
يستعينوا بعين الخيال على رؤية ما لا يمكنهم رؤيته بالعين المجردة ، فيتصورون الجندي كأنه

« The Globe Theatre » ١

« The Wooden O » - ٢

جيش لجب ، والساحة الضيقة كأنما هي ميادين قتال مترامية الاطراف ، وجداري المسرح كأنهما شاطئاً إنجلترا وفرنسا ، وأمواج البحر تصطق ما بينهما . وان يتخيروا ، وهم في مقاعدهم او واقفون حول المسرح ، الملوك يتحدثون ، والجنود يتسامرون ويتفكهون حول مواقفهم وداخل خيامهم في المعسكرات ، والنبال تملأ الاجواء صغيراً ، والحيل تكرر وتفر ، وصخب المدن المحاصرة ، وأنين الانكسار والانهزام ، ونشوة الانتصار ، وهناءة السلام .

عرض موجز

عالج شكسبير حوادث تلك الحقبة بأسلوبه الشعري المتدفق حياة وحماساً ، ورسم بريشته السحرية البارعة لوحات فنية خاطفة ، أولاً لمجلس عقده ذلك الملك الشاب ، فور اعتلائه العرش ، مع رؤساء الدين والشيوخ والنبلاء للنظر في امور الدولة واحوال الشعب . وفيه نلمح كيف يجعل شكسبير هؤلاء النبلاء يستخفون بالملك الفتى الذي لم يكن يرجى منه بعد وفاة والده العظيم حنكة ودراية ومقدرة على تصريف شؤون الملك والرعية .

ثم نشاهد الملك يستقبل الرسل الذين بعثهم ولي عهد فرنسا (١) حاملين للملك هدية أميرهم المكونة من طابات قنس ؛ كأنما يريد أن يقول للملك الشاب « أله بهذه الدمى الصبانية ، عن فكرة التطلع الى مقاطعات كان يحكمها أسلافك في فرنسا من قبل ! » ويهتز هنري الخامس لهذا السواك النابى المفاجيء ، ويأمر الرسل أن يعودوا في الحال الى بلادهم ناقلين الى أميرهم بدل هدية بمائة ، نبأ اعلان الحروب الضروس التي لا هوادة فيها ، على فرنسا .

وفي فصل لاحق يصور الشاعر حزم الملك وحكمته وحذره وذلك بقيامه بتطهير أرجاء مملكته في ساعة الخطر من الخونة والجواسيس . فيصدر حكمه

بإعدام ثلاثة من النبلاء الأذنباء ، هم : الورد سكروب (١) ، والمرتوماس قري (٢) ، وإيرل أوف كامبردج (٣) ، وذلك بتهمة الخيانة العظمى .

ويرتفع الستار في الفصل الثالث عن ذلك الهجوم العنيف الذي يشنه الانجليز على أسوار ميناء هارفليور (٤) ، والملك هنري على رأسهم ، يستحشهم بكلام حماسي مثير ، يكاد لروعته وجمال أسلوبه يكون على لسان كل انجليزي الى هذا اليوم . وفيه يهيب بجنوده الى الاندفاع صوب الثغرة في سور تلك المدينة ، لينفذوا منها الى الداخل ، أو يموتوا ! في محاولتهم فتتملى ، الثغرة بجثثهم .

ولقد خطر لي ان أقوم بنقل هذا الخطاب الى العربية لكي تتمكن من وضع أنفسنا في الجو الذي يريدنا الشاعر ان نكون فيه ، حين نطالع هذه المسرحية ، أو نشاهدها على المسرح أو الشاشة البيضاء ، ولتضرم في نفوسنا شعوراً كالذي ينشأ في نفوس الانجليز حين يرددون هذه القصيدة لأنفسهم .

يقول هنري الخامس مخاطباً جنوده (٥) :

« مرة ثانية نحو الثغرة ايها الاحباء ، مرة ثانية !

أو املاؤها بجثث قتلانا !

لا شيء يخلق بالانسان في السلم

كالوداعة والسكينة والحلم !

Lord Scroop - ١

Sir Thomas Gray - ٢

Earl of Cambridge - ٣

Harfleur - ٤

« Once more unto the beach , dear friends , once more ! » - ٥

(في المشهد الاول من الفصل الثالث)

لكن حين تدق ساعة الحرب ،
 فلنقلد النمر في عمله ؛
 لنشد العضل ، ولندفق الدم في الاعضاء ،
 ولنخف الطبيعة الهادئة تحت ستار من السخط العنيف ؛
 ولنكسب العين مظهرأً مربعاً ،
 ولنعدعها تظل من الحدقة كالقنبلة النحاسية ،
 ولنجعل الحاجب يغمرها كما تغمر الامواج الصخرة الناتئة !
 هياوا الاسنان ووسعوا الحياشيم ؛
 أوقفوا التنفس ، واحنوا الارواح الى اقصى مداها ! (١)
 قدماً ، قدماً ، ايها الانجليز الشرفاء !
 الذين تحدرت دماؤهم من آباء محاربين ،
 وقفوا قديماً على هذه الشواطئ ، من الصبح حتى المساء ،
 كل منهم كالاسكندر في مضاء عزيمته وشدة مراسه ،
 وردوا السيوف الى الاغهاد حين ولى الاعداء الادبار !
 لا تخزوا الامهات ، واذكروا اجداداً خلفوكم ،
 اثبتوا انكم نسل رجال ذوي دم عظيم ، واذكروا كيف تشن الحروب .
 وانتم ايها الرماة الطيبون !
 الذين في انجلترا تكونت سواعدهم ، اظهروا اليوم معدنكم ،
 ذرونا نقسم انكم خليقون بنشأتكم ؛

اذ ليس بينكم من هو وغد أو جبان ،

فلا تومض عينه باللمعة الكريمة ؛

انكم تقفون متهينين ككلاب الصيد المتحفزة للانقضاض ،

وها الصيد أمامنا يجري ، فانطلقوا صارخين معي

« الله والقديس جورج لهزوي وانجلترا ! »

ولقد كان شكسبير بارعاً في تصويره مظهرأ من حياة الجيشين المتقابلين في معسكرهما ، في الليلة المظلمة الماطرة التي سبقت معركة اجنكورت . وفيها شاهد ولي عهد فرنسا يسير بين جنوده مشجعاً ، مؤانساً ، ملاطفاً . وكذلك يفعل هنري الخامس ، فيتخطر بين الحيام مرحاً ، نشيطاً ، رابط الجأش ، عظيم الثقة بالنصر ، معلناً عن ذاته تارة ، ومتنكراً اخرى ، ليختبر لنفسه مدى ثقة جيشه بملكه .

ولقد أتبع لي ان أشهد عرضاً سينمائياً لهذه المسرحية ، فما أثر في نفسي ، واخذت بجامع قلبي ، وملائي رهبة وروحانية وخشوعاً ، اكثر من منظر الملك وهو ساجد في الحلاء بين الحيام ، وبصوت متهدج يضرع الى « اله الحروب ان يقسي قلوب جنوده وينتزع من نفوسهم الجبن والفرع امام جحافل العدو الكبيرة ، وان يتغاضى عن اخطائه السياسية ولو لذلك اليوم فقط ، ان لم يكن أبداً ! »

وارجو ان يعذرتني القارئ ان قدمت له بعض هذه الصلاة كما فاضت من فم الملك ؛ لان آية ترجمة لها ، مها كانت بارعة ، لا يمكن أن تثير في نفسك ، ما يثيره انشادها في الاصل من لذة ومتاع .

يقول الملك هنري الخامس :

« O God of battles ! steel my soldiers' hearts »

Possess them not with fear . Take from them now

The sense of reckoning, if the opposed numbers

Pluck their hearts from them . » (١)

وفي تلك الليلة ايضاً يتيح لنا شكسبير أن نصغي الى ذلك الملك وهو يتحدث الى نفسه في خلوته . فقد سبق ان سمع هذا الملك، وهو يقوم بزيارة جنوده متخفياً ، البعض منهم يبدوون مخاوفهم من انهم اذا ما وقعوا أسرى في أيدي العدو لن تدفع عنهم فدى فيعودون الى بيوتهم ، وانهم يحملون الملك جميع التبعات والمسؤوليات الناتجة عن ذلك .

فينطلق الملك بهذه المناجاة الطويلة (١) التي تسكاد تمثل شعور كل ملك جليل في هذا الوجود :

« Upon the king I let us our lives, our souls,
Our debts, our careful wives,
Our children , and our sins , lay on the king ! »

هاك الخطاب كله مترجماً :

« على الملك ! فلنلق حياتنا ، نفوسنا ،

ديوننا ، هموم ازواجنا ،

ابنائنا ، وآثامنا نضعها على عاتق الملك !

جميعها علينا ان نحملها . ابتهما الحال الصعبة ،

يا تسأم العظمة الراضخة

لقول كل احق لا يفكر بغير صالحه ، !

لا حد لهدأة القلب

التي يشتهيها الملك ، وينعم بها الشعب !

وما الذي عند الملك وليس عند الآخرين

سوى الأبهة ، سوى الأبهة الرسمية ؟

وما انت يا صنم الأبهة ؟

أي اله انت ، فتقاسين

من الآلام اكثر من عبادك ؟

ما أجرك ؟ ما دخلك ؟

ايتها الابهة ، أرني قيمتك !

ما جوهر قدسيك ؟

هل انت شيء الا مكانة ودرجة ومظهر

تثير الرهبة والفرع في الآخرين ؟

بيننا انك اقل سعادة، وانت مرهوبة الجانب،

من الذين يرهبونك ؛

وما الذي ترشفيه غالباً بدل رحيق الولاء

غير التملق السام ؟ امرضي مرة ايتها العظمة العظمى ،

ومري أهبتك ان تسعفك بالعلاج ،

أفتظنين انك ستطفئين حمى أحشائك

بما تفيض به ألسنة المادحين ؟

هل تستطيعين وانت تملكين ركلة السائل

ان تملكي صحتها البدنية ؟ كلا ايها الحلم الفارغ ،

المداعب خيال الملك في وسنه :

انا ملك وعثرت عليك ، واعلم يقيناً

انه لا التاج ، ولا الصولجان ، ولا السيف ،
ولا الكساء الملكي المذهب المجوهر ،
ولا صوت المنادي أمام الملك ،
ولا العرش الذي يجلس عليه ،
ولا موج الفخفخة المتحطم على صخرة الوجود -
ليست هذه كلها ، ايها الابهة الزاهية
ليست هذه كلها مستلقية على فراش الجلالة
يمكنها ان تهنا في نومها كالعبد الشقي ،
يحسسه الممتلي وذهنه الخالي ،
يخذ الى الراحة اذ شبع من فئات خبزه ؛
فهو لن يشهد ليلة مرعبة كأنما هو في جهنم ؛
بل ينهض مع الشمس ويواكبها
كالجياذ التي تجر عربتها في سياحتها اليومية (١)
وفي الليل يستسلم للكرى كأنما هو في السماء ؛
وهكذا يدأب وراء السنة المنطلقة على الدوام ،
بعمل مفيد ، حتى تأتي ساعته ،
ومع انه ليس لهذا العبد تلك الابهة ،

١ - اشارة الى الاسطورة اليونانية القائلة ان آله الشمس « Phoebus » يسير في عربة تجرها الجياذ وقد وردت هذه الاشارة في كثير من اشعار شكسبير ولا سيما في اغنيته المشهورة:

فانه ، منفقاً الايام بالكد ، والليالي بالسكون ،
ملك في وضعه وحياته .

فالعبد ينعم في سلام ، ولا يعلم

ما يقاسيه الملك من ضنى الحرص على هذا السلام .

« ولا تنس وانت تطالع هذه المسرحية ان تقف عند خطاب الملك هنري الذي
القاءه على جنوده قبل بدء المعركة بقليل ، ولا سيما قوله (١) :-

« نحن الفئة القليلة ، نحن الفئة السعيدة ، نحن عصبة الاخوان !

لأن من يسفك دمه اليوم معي

سوف يكون أخي ! »

« We few , we happy few , we band of brothers .

For he to-day that sheds his blood with me

Shall be my brother . »

أولا يذكر هذا (بفئة) معركة بريطانيا التي خلدتها نشرتشل بجملته
المشهوره « لم يشهد تاريخ الصراع البشري ان فئة كبيرة كهذه كانت مدينة لفئة قليلة
كتلك ، مثل هذا الدين الكثير ! »

وتبلغ حوادث القصة الأوج في معركة اجنكورت التي رسم منها شكسبير
مناظر خاطفة . وبعد انكسار الجيش الفرنسي تجري الاحداث بسرعة فائقة الى
مستقر لها ، حتى تقف بنا عند ذلك المشهد الطريف ، وفيه يجمع شكسبير بين الملك
الانجليزي والاميرة (كاترين) « Katherine » ابنة ملك فرنسا ووصفتها (ألس)
« Alice » . وهنا يضع الشاعر على لسانيهما حواراً غزلياً شائقاً باللغة الانجليزية ، تنطلق
غليظة جافة من فم الملك الانجليزي ، والفرنسية العذبة الرشيقة ، تنساب كالموسيقى

الساحرة من بين شفتي الاميرة الفرنسية الرقيقة . والوصيفة (ألس) بينها بالمامها اليسير
بالانجليزية ، والعيون المشرقة ، والقاب الرفاقة بالحب ، جميعها تعمل يداً واحدة
على ترجمة ما يعجز عن الافصاح عنه لسانا الملك والاميرة .

وهكذا تنتهي المسرحية بنصرين اثنين مبدئين ، يحققهما الانجليز في ميدانين من
ميادين الحياة ، هما ميدان الحرب ، والحب الذي افضى الى زواج الملك الانجليزي
الشاب من تلك الاميرة الفاتنة الجميلة . فلا غرو ان تمنع الحكومة الفرنسية في عرض هذا
الفلم أو تمثله على مسارح بلادها ، بعد ما رأيناه من تمجيد الشاعر لبطولة أمته ، وتخيلده
عظمتها في هذه المسرحية الخماسية الخالدة .



صونيات مكسبير

(The Sonnets)

تعريف الصوناتا

لا بد قبل الدخول في الموضوع مباشرة من كلمة في الصوناتا، شكلها، وموضوعها، وشيء من تاريخها، ليسهل على القاريء تفهم هذا البحث العويص الشائك .

والصوناتا لون جديد في الادب لم تعرفه أوروبا في شكله الحالي ، قبل القرن الرابع عشر ، كما يعتقد . وليس في الادب العربي قديمه وحديثه ما يشبه الصوناتا . وهي مقطوعة شعرية ، خفيفة الظل ، لطيفة المعنى والمبنى ، غنائية الطابع ، موسيقية الجرس والايقاع ، شعرية الالفاظ ، خصبة التصوير والخيال . وهي كذلك زاخرة بصنوف الاستعارة ، وجميع محسنات البديع والبيان ، وتشرح عاطفة الشاعر او فكرته ؛ وتعبّر عن حبه ، او شجته ، او مرجه ، او عتابه . وكان مدارها الرئيسي في الاصل ، الحب ، بيد أنها خرجت من نطاقه ، وتناولت مواضيع شتى ، تختلف باختلاف أمزجة الشعراء وظروفهم . وهي ليست وحدة واحدة ، فقد يفيض موضوعها الى ما يليها ، ولا ينتهي الا بالثانية أو الثالثة ، أو ما بعدهما . ولهذا كان يقتضي نظمها صنعة فنية دقيقة ، وكذلك جهداً أدبياً متكلفاً لابرازها في صورة منمقة مزينة ، يستطيع معها الشاعر التأكد من ان الشعور بالجمال الفني الذي يغمر كيانه سينتقل بالعدوى الى نفوس قرائه .

وتتكون الصوناتا من أربعة عشر بيتاً من الشعر ، يتألف كل منها من أحد عشر مقطوعاً في الايطالية ، واثني عشر في الفرنسية ، وعشرة في الانجليزية . ويختلف

بناء قافيتها حسب انتهائها الى احدنوعيها الرئيسيين: « الايطالية » و « الاليزابثية » .

وتعرف الاولى عادة بالبتراكية (١) نسبة الى بتراكيك (٢) « Petrarch » الشاعر الطلياني الخالد الذكر ، والذي اليه يعود الفضل الاول في ابتداعها واستعمالها بشكها النهائي في تلك المقطوعات الشعرية (٣) التي بها تغزل في حبيبته لورا « Laura » .

اما الثانية فقد اشتهرت باسم شكسبير (٤) نسبة الى الشكل الذي جرى عليه هذا الشاعر في نظم صونيتاته .

وقافية الصوناتا (البتراكية) مبنية في الثانية الابيات الاولى (٥) حسب هذه القاعدة : -

(٦) « A · B · B · A · A · B · B · A »

اما الستة الابيات (٧) التالية فمبنية على قافيتين او ثلاث مختلفة وتتضمن الثانية الابيات الاولى عرضاً لعاطفة الشاعر او فكرته ، اما في الستة الاخرى فيحاول الشاعر الخروج من نطاق الخيال المبهم الى تحديد تلك العاطفة او الفكرة .

اما بحر الصوناتا « البتراكية » فمن نوع الايامبك « IAMBIC » ، المؤلف من مقطعين ، صغير و كبير ، ولا تختلف في هذا عن الصوناتا « الشكسبيرية » الامن حيث احتواء البيت منها على أحد عشر مقطعاً بدلاً من عشرة ، كما هو في صوناتا شكسبير ، كما ذكرنا . واكثر من استعمالها من شعراء الانجليز ، ملتن ، ووردزورث ،

١ - « PETRARCHIAN »

٢ - ١٣٧٤ — ١٣٠٤

٣ - اسمها الاصلي في الايطالية « RIME IN VITA E MORTE DI MADONNA LAURA » OR

« CANZONIERE »

٤ - (SHAKESPEAREAN)

٥ - يعرف بالانجليزية (OCTAVE)

٦ - اي ان الابيات الاول والرابع والخامس والثامن من روي واحد ، والباقية من روي آخر

٧ - ويعرف بالانجليزية (SESTET)

ولا سيما الاول الذي حرص على التقيد بقواعدها ، بكل دقة .

اما الصوناتا « الشكسبيرية » فهي من البحر المعروف بالانجليزية « بالايامبيك بنتا ميتر » (١) ، اي الخماسي التفاعيل ، المؤلف من مقطعين ، صغير و كبير ، وهو البحر الذي استعمله شكسبير في تأليف مسرحياته ، كما شرحنا ذلك تحت موضوع « الفن الادبي » .

اما قافية الصوناتا « الشكسبيرية » فمبنية على هذه الشاكلة :
(A-B-A-B.C-D-C-D.E-F-E-F.G-G.) (٢) ، أي انها مكونة من ثلاثة رباعيات وثنائي واحد (٣) .

ولقد كانت ايطاليا المهـد الاول للصوناتا ، كما بينا ، ثم انتقلت الى اسبانيا مع كثير من مظاهر الحضارة واشكال الفن المختلفة ، ومن ثم الى البرتغال وفرنسا ، حتى حطت رحالها في إنجلترا ، في القرن السادس عشر .

وأول من دل ادباء الانجليز عليها ، الشاعر ان الايرل أوف سري (٤) ، والسـر توماس وايات (٥) . فانتقلت من يد شاعر الى آخر ، مبدلين فيها ومحورين ، حتى خرجت عن أطوارها الاصيلي ، وموضوعها الرئيسي ، وهو الحب ، كما هو ظاهر في صونيتات بترارك .

واشهر من طرق هذا اللون الجديد من الادب ، الشاعر السر فيليب سديني (٦)

(IAMBIC PENTAMETRE) = ١

٢ - اي ان ثمة قائلًا في الروي بين البيت الاول والثالث ، والثاني والرابع ، والخامس والسادس ، والسادس والثامن ، والتاسع والحادي عشر ، والعاشر والثاني عشر ، والثالث عشر والرابع عشر

(THREE QUATRAINS & A COUPLET) = ٣

(١٥٤٧ - ? ١٥١٧) EARL OF SURREY -- ٤

(١٥٤٢ - ? ١٥٠٣) SIR THOMAS WYATT -- ٥

(١٥٨٦ - ١٥٥٤) SIR PHILIP SIDNEY -- ٦

في مجموعة مقطوعاته الشهيرة، المعروفة « بالراعي والنجم » (١) التي ظهرت عام ١٥٩١ اي بعد وفاة ناظمها، شأن معظم نتاجه الادبي . وقد أوحى السر فيليب سديني بشخصيته الشعرية الفذة وصونياته هذه ، الى الكثيرين من الشعراء ، فأقبلوا على الصوناتا ، ونسجوا على منواله ، حتى ان نحواً من عشرين مجموعة من الصونيات لشعراء مختلفين برزت للوجود بين عامي ١٥٩٧ و ١٥٩٧ . ومن اشهر هؤلاء الشعراء ، ادمند سبنسر (٢) ، وتوماس واطسن (٣) وصاموئيل دانيال (٤) ، وميخائيل درايتن (٥) وغيرهم . وكانت تتأرجح آتئذ بين التقليد والابتكار في الشكل والموضوع ، حتى تناولها قلم الشاعر الاكبر ، فعبث بها ماوسعه العبث ، وأصبحت في يده شيئاً جديداً ، غير ما كانت عليه حين عرفها الشعر الانجليزي لأول مرة ، فيكون شكسبير بذلك زعيم هذا النوع من الصوناتا الذي يعرف بالـ « . ولقد نظم نحو مئة واربع وخمسين صوناتا ، في بعضها صنعة فنية وترويق وتذيق ، مما يجعلها تمس القلب ، وفي البعض الآخر توخى الابهام ، ولكنه في معظمها حلق ماشاء له التحليق في سماء الفن والحبال ، حتى اضحت صونياته وكأنها صندوق يحوي اثنى جواهر الشعر الغنائي « LYRIC » في عصر اليزابث وما بعده من عصور .

مقائى مجردة

لا بد باديء ذي بدء من تذكير القاريء بكتاب « بالادس تيميا » (٦) الذي

١ -- (ASTROPHEL & STELLA)

٢ -- EDMUND SPENSER (١٥٥٢ ? ١٥٩٩)

٣ -- (THOMAS WATSON) (١٥٥٧ ? ١٥٩٢)

٤ -- SAMUEL DANIEL (١٥٦٢ - ١٦١٩)

٥ -- MICHAEL DRAYTON (١٥٦٣ - ١٦٣١)

٦ -- (PALLADIS TAMIA)

نشره الاستاذ الجامعي فرنسيس ميرز (١) عام ١٥٩٨ ، والذي فيه أطرى شاعرية شكسبير وأشاد بعبقريته الفنية في مسرحياته وأشعاره ، كما شرحنا ذلك بأسهاب حين بحثنا موضوع « شكسبير والشعراء المعاصرون » .

ولم ينس ميرز أن يشير الى هذه « الصونيتات السكرية أو المحلاة » (٢) المنتشرة سراً بين الخواص من أصدقاء شكسبير .

ومن قول ميرز هذا ، ومن ظهور اثنتين من صونيتات شكسبير لأول مرة في مجموعة القصائد « The Passionate pilgrim » التي جمعها ونشرها وليم جاجرد « William Jaggard » عام ١٥٩٩ ، نعرف ان شكسبير نظم معظم هذه الصونيتات ، قبل ظهورها في شكلها النهائي عام ١٦٠٩ .

وتذكر كتب تاريخ الادب الانجليزي ان الناشر توماس ثورب « Thomas Thorpe » حصل في ٢٠ مايس ١٦٠٩ على اجازة رسمية لنشر هذه المجموعة في كتاب خاص ، دون علم شكسبير اورضاه ، كما يظن . وانه جعل اهداءها الى « الموحي (٣) بهذه الصونيتات ، المستر « W. H. » ، الذي له السعادة والخلود المرجو » .

وليس من المظنون ان الترتيب الذي ظهرت به هذه الصونيتات في نسخة « ثورب » هو ذاك الذي به نظمت أولاً . وهذا في حد ذاته مشارجدل ونقاش بين الادباء ، لانه بدون العثور على النظام الاصيل لها ، لا نستطيع متابعة الشاعر في شرح عواطفه واختباراته ، مسلسل كما وردت حين نظمها في الاصل .

١ - (FRANCIS MERES)

٢ - (SUGARED SONNETS)

٣ - في الاصل هي : « THE ONLY BEGETTER OF THESE INSUING SONNETS »

وقد يكون معنى Begetter (المنتج ، او الحاصل على ، او الموحي ب) وقد اثار الاختلاف في تفسير معناها بليلة في اذهان الكتاب

وقد اعتاد مؤرخو الادب ان يقسموا صونيات شكسبير الى سلسلتين منفصلتين ، الاولى وتنتهي بالصوناتا السادسة والعشرين بعد المئة ، وهي مكونة من اثني عشر بيتاً ، على غير عادة شكسبير في جميع صونياته المكونة احداها من اربعة عشر بيتاً (١) . والثانية ، وتبدأ بالسابعة والعشرين بعد المائة ، وتنتهي بالرابعة والحسين بعد المئة .

أما في السلسلة الاولى فيخاطب شكسبير رجلاً بل بالأحرى شاباً من منبت نبيل ، وذا جمال بارع فتان . ويناشده بشدة والحاح أن يتزوج ، اعلم بذلك ينبغي نسل يرث هذا الجمال . وفيها تنال على ذهن الشاعر خواطر وافكار كثيرة ، متناقضة ، وكعواطفه مضطربة ، فيعود يؤكد للمخاطب انه انما سيخلد فقط في شعر شكسبير . ويصف كذلك غرامه وتعلقه بهذا الشاب وحزنه الشديد حين يفرق الزمان ما بينهما . وفي بعض هذه الصونيات يشكو من تعذيب حبيبه ، ويشرح ما يسببه فراقه له من عدم تمكنه من رؤية جمال الصيف وفتنة الربيع . وفي بعض الاحايين نراه يؤنب شاباً لأغراقه في المذات ، ولانه استطاع ان يكسب فؤاد خليمة الشاعر في أثناء غيابه ، بيد أن الشاعر ليغفر له ذلك . وفي عدد من هذه المقطوعات نلمح الكآبة تغمر نفس الشاعر ، فيبدي بأسه وقنوطه وجزعه لهذا الفساد الذي يسود زمانه ، ويحاسب نفسه ويوبخها على اثم اقترافه ، ويعلن عن تبرمه وسأمه من حرفة التمثيل ، ويتوقع دنو أجله . ويتخلل الصونيات اشارات تدل على أن هذا النبيل هو نصير « Patron » الشاعر ، لكنه يوجه اليه عتاباً أليماً لانه يناصر شعراء آخرين منافسين له . وفي آخر هذه السلسلة يؤكد ثباته على حبه وصداقته للمرأة كان ذلك أم للرجل ، على السواء .

أما في السلسلة الثانية فيخاطب الشاعر امرأة سمراء ، متغزلاً بهذه السمرة الفاتنة ، والشعر الفاحم ، والعينين السوداوين ، . وفي نحو اثنتي

عشرة مقطوعة ينقد هذه الخلية « السراء » لانها تزدرى مايبديه نحوها من عواطف حارة ، ولانها ايضاً ذات علاقات كثيرة مع رجال آخرين . ولم ينس الفكرة التي ذكرها في السلسلة الاولى ، فيعاتب امرأة ما ، لانها احتالت على صديقه وأخضعته لاغرائها . وفي بعضها يتردد اسم « Will » ، فيتلاعب به . وقد يكون هذا اختصاراً « لوليم » اسم شكسبير ، او رجل آخر غيره .

أُسْرُ

هذه حقائق أولية عن الصونيتات مجردة من كل تعليل او تأويل ، وعليها بنيت نظريات عديدة وآراء شتى . فقد اراد شكسبير ان يكون اسمه ، حيث ماورد ، محوطاً بهالة من الخيال والتقدير والاجلال ، وان يجعل كل ما يتعلق به موطن شك واستغراب ، ومثار تساؤل واستفهام مطردي النمو مع الايام . ولم يشاء ان يستثني صونيتاته من هذا . فانها منذ ظهورها عام ١٦٠٩ وهي موضع درس وبحت واستقصاء ، ومدار جدل عنيف ونقاش في جميع الاوساط الادبية ، في انجلترا وخارجها .

وكم من شكوك ، وكم من اسئلة أثيرت حولها ، ما يزال نقاد الادب ومؤرخوه عاجزين عن الوصول الى اجوبة صحيحة لها . هل تشرح هذه الصونيتات اختبارات الشاعر الحقيقية ؟ أم هي مجرد خواطر أدبية وتأملات خيالية بعيدة عن الحقيقة والواقع ؟ فاذا كانت بالفعل تعبر عن اختبارات شكسبير ، فمن هم يا ترى الاشخاص الذين يخاطبهم فيها ؟ من هو هذا « Mr. W. H. » ؟ من هو الشاعر الذي يضايق شكسبير بما يبديه نحوه من منافسة حادة مؤذية ؟ من هي السيدة السراء ؟ هل الصونيتات التي بين ايدينا مرتبة ومسلطة حسب التاريخ التي فيها ظهرت للوجود ؟ وما هو الترتيب الصحيح لها ؟ متى نظمها شكسبير ؟

اسئلة كثيرة تتوارد على الذهن ، وحاول ، ويحاول الكتاب كل يوم الوصول الى اجوبة صحيحة لها . وقبل الشروع في الاجابة على بعضها ، لا بد من تذكير

القارىء، وتحذيره من الانغماس في ناحية البحث العلمي الجاف من هذا الموضوع، فيلهمه ذلك عن ادراك المتعة والجمال في هذا اللون من الادب الجديد. ذلك أن صونيات شكسبير خير نموذج للطابع الغنائي (Lyricism) الذي شق طريقه الى الشعر الانجليزي بواسطة الصوناتا، في عهد اليزابث.

أهمية

يتلخص موقف مؤرخي الادب ونقاده من موضوع هذه الصونيات في مذهبين مختلفين، احدهما لفريق يرى فيها مجرد أخيلة شعرية وخواطر تقليدية، كالتي طرقها معظم شعراء الصوناتا في إنجلترا وخارجها. والثاني لفريق آخر يعتقد أنها تعبر عن حوادث واختبارات واقعية حدثت للشاعر في حياته، ولهذا فإنه ينعم النظر في كل فكرة وكل لفظة ترد في هذه الصونيات ويفسر ها على ضوء ترجمة حياة شكسبير.

اما الفريق الاول فلا يظن ان ذهن الشاعر المنصرف بكليته للدراما، والمنشغل بالتمثيل، قادر على انتزاع ذاته من هذا الموضوع التجريدي الخطير واللون الرفيع من الادب الموضوعي «OBJECTIVE»، لينتقل منه الى الوجداني «SUBJECTIVE»، والعكوف على تسجيل لمحات من مظاهر حياته واختبارات في مقطوعات شعرية. كما يرى ان الصوناتا الانجليزية في عصر اليزابث كانت ترجع أصداً كثير من المشاعر والصور والافكار التي تردت في الصوناتا الايطالية أو الفرنسية، اللتين كان يعنى كتابها بجمال التركيب وحسن الاداء، ويتنافسون في ابراز المعاني في ابي مظهر، ويفتنون في هذا، ويتحمسون له اكثر من تحمسهم للتعبير عن مشاعر وآراء جديدة مبتكرة تشرح نزعاتهم الفلسفية في الحياة. ولهذا نجد معظم المواضيع التي طرقها شعراء الصوناتا في اوربا، في القرن السادس عشر، ذات طابع ولون واحد تقريباً، ولم يكن موضوعها مقصوداً على فريق دون آخر، بل ملكاً للجميع. ومن غير المعقول، كما يقول اصحاب هذا الرأي، ان يخرج شكسبير على ذلك، رغم ما يلمسونه في مجموعة صونياته من تفوق في مجال الفن الادبي، ولا سيما الغنائية

الشعرية المعروفة في الإنجليزية بـ « LYRICISM » .

اما الفريق الثاني فيرى ان الصوتانات بلغت مجدها المتوج حين وصلت الى يد شكسبير فكانت ذلك المفتاح الذي به « فتح قلبه » كما ذكر الشاعر وردزورث في احدي صونيتاته (١)، وانها لم تكن بالحقيقة سوى نتيجة التفاعل الذي تم بين قلب الشاعر وخياله ، ولهذا فقد انطوت صونيتات شكسبير على كثير من الاختبارات الحقيقية ، بأجل قالب في عرفته الصوتانات في عصر اليزابث .

ولست أحب أن انحاز الى أحد الطرفين ، بل أريد ان اسلك سبيلاً وسطاً بين اولئك وهؤلاء ، فلا أقول برأي الذين يفصلون فصلاً باتاً بين حياة الشاعر وبين ثمرات فكره ووجدانه . كما لست أشابع الذين يجهدون انفسهم ، ويتكفون المشقة في تعليل كل ما ورد في هذه المقطوعات كأنما هو يمثل حقائق راهنة في حياة شكسبير . والواقع انني لست استطيع ان اصدر حكماً تاماً على هذه المقطوعات بجموعها ، فأحدد انها كلها من هذا النوع او ذاك ، اذ منها ما يشرح عواطف الشاعر وآراءه وتجاربه في الحياة ، ومنها ما يعالج فكراً مجردة ، وخواطر غير متأثرة بالبيئة بحوادث معينة يمكن ان تكون قد وقعت للشاعر في حياته .

هذه محاولة للاجابة على السؤال الرئيسي الذي تثيره هذه الصونيتات ، ولست ازعم انها كاملة او انها قريبة من الكمال ، لانها لو كانت كذلك لما ظل هذا الموضوع مدار درس وبحث ، ومثار نقاش دائم عند الكتاب في جميع البلدان .

اما حقيقة الشخص الذي يخاطبه شكسبير في هذه المقطوعات فحقاً مشكلة المشاكل وعقدة العقدة . ولو ضربنا صفحاً عن بعض الاسماء التي رشحها بعض الكتاب المفرضين ، لالفينا مؤرخي الادب يجمعون على اسمين من ابرز الاسماء . وعلى اساسهما ينقسم النقاد

١ - (With this Shakespeare unlocked his heart) راجع هذا في

الصوتانات ذات العنوان التالي : « Scorn not the Sonnet »

الى مدرستين ، الاولى ترى انه لابد ان يكون « هنري ريوثسلي » (١) المعروف بلقب الايرل اوف ساوثبتن نصير شكسبير وصديقه . والثانية تقول بل انه « وليم هربرت » (٢) الملقب بالايرل اوف بيمروك . وكلاهما شابان نبيلان ، ومعاصران لشكسبير ، كما تعلم .

اما اتباع المدرسة الاولى فيستندون في نظريتهم الى ان شكسبير نفسه كان قد اهدى قصيدته « فينس وأدونيس » و « لو كريس » الى الايرل اوف ساوثبتن ، وانه نال منه نحو الف جنيه في احدى المرات ، كما ذكر المؤرخ نيكولاس رو « NICHOLAS ROWE » ، وان التاريخ المعاصر لم يذكر ان الشاعر صادق احد غيره من نبلاء عصره .

اما المدرسة الثانية فتري ان شكسبير انما يخاطب الايرل اوف بيمروك ؛ ويستدل اتباعها على ذلك من التشابه بين الحرفين الاولين من اسمه وهو « WILLIAM HERBERT » وبين اسم الشخص الذي اهديت اليه هذه الصوتيات « MR. W. H » . وهم يؤيدون ذلك باعتقادهم ان « السيدة السراء » المعنية في هذه المقطوعات هي ماري فتن « MARY FITTON » خلية الايرل اوف بيمروك . ويزعمون كذلك ان الاسم الاول « وليم » لأقرب شيء الى ذاك الاسم « WILL » الذي يردده شكسبير في القسم الاخير من السلسلة الثانية من صوتياته ، لاهيابه ، عابثاً ؛ وان هذا النبيل كان فعلاً يجذب على شكسبير ، والا لما اقدم « همنقر » (٣) و « وكوندل » (٤) ناشرا المجموعة الاولى لمسرحيات شكسبير « FIRST FOLIO » على اعدائها الى هذا الايرل وشقيقه معاً . ويقولون اخيراً ان النبيل كان جميل الصورة ، ووسيم الخلق ، وقد ورث هذا عن امه

(Henry Wriothesley or Earl of Southampton) - ١

(William Herbert or Earl of Pembroke) - ٢

(Heminge) - ٣

(Condell) - ٤

1564

April 3

8

22

26

Edwardus filius Thome Spofors

Benedicta filia Thome Flemming

Johannes filius William Brooks

Guilhelmus filius Johannis Spafers

وثيقة عماد شكسبير

مقتبسة من سجل أبرشية سترايفورد وهي مكتوبة باللاتينية ، وترجمة السطر
(انظر صفحة ٧)
الاخير : (ابريل ٢٦ . ولیم بن جون شكسبير)

الى صندوقه الاول والى اول فان يكون عري او يوشى ولا يعرفه
 طلب الاول اول ما يتردد مع شكه ومثله . والثالثه قول بان اول
 حررت . (هـ) اطلب بالاول اول بوزن . وكل ما هناك فكلان . ومما ان

20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21
20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21
20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21	20/21

جيد انه يتبع

لما فترت . فبينما في وقت رمى في اعمقها عند فترتها لم يكن في حقيقته

(في حقيقته فترت في زمانه . فبينما في وقت رمى في اعمقها عند فترتها لم يكن في حقيقته)

شقيقة الشاعر الجنّتلمان السرفيليب سدني، وهي السيدة التي عنها شكسبير في احدي صونيتاته حين ذكر « بأنها استعادت في ابنها نيسان حياتها » ، فليس غريباً أن يوحى جماله الفتان لشكسبير - وهو من عبدة الجمال - بنظم هذه المقطوعات التي يتروّد فيها ذكره. وهذا في رأيهم معنى « BEGETTER » التي وصف بها « ثورب » الشخص الذي اليه اهدى هذه الصونيتات .

هذا ملخص لحجج المدرستين . والظاهر انه من العسير جداً الجزم بترجيح رأي فريق على آخر ، اذ لكل من النييلين انصار اقوياء ، فلا بد اذن من ترك هذه المسألة للزمان ليكشف عن الجواب الصحيح لها . وغفر الله للناس (ثورب) ، الذي لم يذكر اسم المهدي اليه الصريح !

اما عن السيدة السمراء «The Dark Lady» فطائفة من مؤرخي الادب تعتقد ان شكسبير لاقر في حياته، بل في الواقع أحب « سيدة سمراء » ، ربما كانت « ماري فتن » خليعة الايرل اوف بيمروك كما ذكرنا سابقاً . ودليلهم على ذلك ما كانت تتصف به من مزايا شديدة والتي وصفها الشاعر في خيلته - ذكاه نادر وبديهة حاضرة ، وثقافة فنية عالية ، وأنوثة مسترجلة .

بيد ان طائفة اخرى تنفي هذا على اساس ان « ماري فتن » لم تكن سمراء ، وانما شقراء كما يتبين من رسومها الكثيرة ، وأن التاريخ والرواية لا يذكران انها كانت على صلة مع شكسبير . وهم يعللون ذكر شكسبير لسيدة سمراء وليس شقراء مثلاً، بأنه كان يستملح هذا اللون في النساء ويفضله على غيره ، كما يستدل من اشاراته الكثيرة للنساء السمراء في بعض مسرحياته (١) ، فلاعجب أن يتروّد ذكر هذا التفضيل في صونيتاته ايضاً .

١ - ربما كان وصف المرأة الواردي (كاتشاء) المشهد الخامس من الفصل الثالث السطر ٤٤ - ٦٠ ؛
يمبر عن رأي شكسبير في جمال المرأة المحب الي نفسه ، ومما هو جدير بالملاحظة
وصفه لشرها الحرييري الاسود . مما يؤيد ذوقه الحاس في تفضيل المرأة السمراء على غيرها . وارجع
كذلك (جهد الحب الضائع) المشهد الثالث من الفصل الرابع سطر ٧ : ٢٠ - ٢٦٩

وكما تضاربت آراء مؤرخي الادب ونقاد شكسبير في المواضيع الآتفة الذكر، تضاربت كذلك في تحديد شخصية الشاعر المنافس لشكسبير في الظفر بعطف نصيره الشاب النبيل. فمنهم من يعتقد انه « بارناب برنز » (١) خريج جامعة أو كسفورد، وشاعر الصونانا المجيد. ومنهم من يرشح ميخائيل درايتن الذي قضى تلك الليلة مع بن جونسون في بيت شكسبير. بل منهم من يضيف الى ذلك اسم شاعر مغمور الذكر هو « جرفس مار كهام ». بيد ان اغلبهم يرجحون الشاعر « جورج تشابن » (٣) الذي ترجم الايلاذة والأوديسا الى الانجليزية، ونشر شطراً من الاولى عام ١٥٩٨، فأجذب بذلك شعور النبيل المخاطب في هذه المقطوعات، وصرفه عن الاهتمام بأمر شكسبير ولو لبعض الحين. لهذا فهم يعتبرونه اكثر الشعراء أهلية وكفاءة لمنافسة شكسبير في مضمار مصادفة النبيل واكتساب عطفه ومودته. اما في ما يتعلق بترتيب هذه الصونينات، فالسواد الاعظم من نقاد شكسبير يعتقدون انه نظم اكثرها في عدة مجموعات متفاوتة الحجم، وانا موصولة الفكرة والموضوع. ويرون انها بمجموعها تؤلف سلسلتين رئيسيتين، كما ذكرنا، الاولى: وفيها يخاطب صديقه النبيل، والثانية: وهي التي تدور حول « السيدة السمراء ». بيد انهم لا يتفقون على رأي واحد في الترتيب الذي جرى عليه شكسبير في نظمها. ولا يعتقدون ان النسخة التي اخرجها « ثورب » لأول مرة عام ١٦٠٩، تمثل النظام الاصيل الذي انتهجه شكسبير في تأليفها.

وقد جرت اول محاولة للخروج على نسخة « ثورب » ١٦٤٠، حين نشر بن جونسون هذه الصونينات مرتبة ترتيباً جديداً. ومنذ ذلك الحين والكتاب يطالعوننا بنسخ منها مختلفة الترتيب والتبويب والتنسيق، ويقيني انهم سيظلون يفعلون ذلك الى

١ - Barnabe Barnes (1569? - 1609)

٢ - Gervase Markham (1568 - 1637)

٣ - George Chapman (1559? - 1634)

ما شاء الله . ولست اظنهم منتهين الى نتيجة حاسمة في هذا الموضوع .

نماذج من الصونيات

لقد آن لي ان أنهي من هذا البحث الشاق الطويل الذي قد يهيم مؤرخي الادب ويفيد طلاب شكسبير أكثر من القارئ العادي .

ولكي أرفه عن ذهنك بعض ما ألم به من عناء متابعة هذا الموضوع الذي ربما يبدو لك جافاً ، لا بد لي من اطلاعك على نماذج من صونيات شكسبير مترجمة ، اعدك حين تتذوقها وتستمتع بها ، ستحاول ان تطالعها في أصلها .

والحقيقة يا قارئ العزيز اني ما أقدمت مرة على ترجمة شيء لشكسبير الا تذكرت المثل اللاتيني القائل : « انما المترجم خائن » . فالمترجم مهما كان طويل الباع في الترجمة حاذقاً فيها ، فانه لن يكون مخلصاً أميناً صادقاً كل الصدق في النقل . ذلك أن أدب شكسبير ، أو اي شاعر آخر عالمي ، ليس مجرد صورة او فكرة يستطيع كل انسان ان يلبسها ثوباً جديداً فتبدو فيه كما في ثوبها القديم . انه هذا ، مع شعور فني ، وخيال مجنح ، وثرثرة من الالفاظ في اعبقرية في الملاءمة والمزاوجة والجرس والايقاع . وهو كذلك روح رفاقة بالعاطفة الصادقة ، ريانة بعبير الجو الادبي الالهامي الذي به يتلى فؤاد الشاعر ، ويفيض أدباً رفيعاً ، خالداً على الدهر ،

وفي المقطوعة التالية ، وهي من السلسلة الاولى من صونيات شكسبير ، يشبه الشاعر اقبال صديقه عليه ثم اعراضه عنه ، بشروق الشمس ثم احتجابها وراء السحب القائمة . واحب ان ألقت نظرك الى الصورة الشعرية الخلابة في البيت الثاني ، وهذا « التملق » الذي يستعيره لوصف اشراق الشمس فوق رؤوس الجبال .

الك ما يقوله شكسبير :

« كم من صبح مجيد شاهدته طالعاً !

يتملق قنن الجبال بظرفه الملكي ،

لائماً المروج الحضراء بمعياء الذهبي ،
موشياً السيول الشاحبة بكيميائه السماوية !

ثم يأذن للسحب الدنيئة
ان تطفو فوق وجهه العلوي ،
مخفية عن الارض الكثيبة طلعت البهية ،
فيتسلل للمغيب متنكراً ذليلاً !

كذا شمسي في صباح مبكر بزغت
مزهرة بالنصر على حاجبي !
لكنها وآسفاً غربت ، ولم تكن لي سوى ساعة ،
اذ حجبتها بعض الغيوم عن ناظري !

لكن حي لها لن يتضاءل ،
فقد تخجبت شمس الارض كما تفعل شمس السماء !

وفي الصوناتا التالية يخاطب شكسبير صديقه الشاب النبيل ذاكرآ له انه
« أي الشاء » لن يفنى بفناء جسده . وانه ، كما ينبثق الفجر من لجة الليل
الحالكة ، أو كما تشع النار من خلال الرماد ، هكذا الشاعر سوف يبعث بعد
موته ، حياً في شعره .

وغاية الشاعر من ذلك واضحة في البيتين الاخيرين ، ألا وهي الاستزادة من
عطف صديقه ومودته .

ولا تنس ان تنعم النظر في الصورة الشعرية الاولى ، فهي خصبة باستعارة
الشجرة لعمر الانسان ، وفصل الربيع بطيره الشادي وشجره الاخضر لزمن
الشباب ، والشتاء للشيوخوخة . فشجرة الحياة ، مورقة ، بانعة ، نضرة ، تفرد فوقها

الاطيار في الربيع ، لكنها تسمى عارية من الورق ، خالية من الطير ، حين يقبل الشتاء بقره وزمهريره .

يقول الشاعر : -

« في هذا الحين من السنة

حين نبصر أوراقاً شاحبة ، أو لا نبصر منها شيئاً

أو القليل متعلقاً على الغصون المترجفة برداً ،

تلك الاجواق العارية ، الخاوية ، حيث الاطيار شدت فوقها طرباً

في سوف تشاهد الصبح طالماً

بعد ان تؤذن الشمس بالمغيب ،

ويذهب سواد الليل بنورها بعد حين ،

ويجئ الناس للراحة والسكون

في سوف تلمح اشتعال النار ،

بعد ان تهمد على رماد شبابها ،

كأنه فراش تلفظ فوقه انفسها

فيهلكها الذي أوراها .

هذا ما سوف تراه فيزيد من مودتك ،

وتحب من ستفارقه بعد قليل حباً جميلاً ! ،

وهذه صوناتا ثالثة ، وفيها يعدد الشاعر الاسباب التي من اجلها لا يرضى ان يشبه صديقه بالصيف الجليل . ويبدو لي ان صيف انجلترا لا بد ان يكون شبيهاً بربيع الاردن في اعتدال الطقس وصفاء الجو وفتنة الطبيعة . وفي الايات الاخيرة يني

الشاعر صديقه بأنه سيخلد في قصيده .
واليك ما يقوله شكسبير :

« هل أفاونك بيوم صيف ؟

انك لا بهي واكثر اعتدالاً :

فالرياح الهوج ترعص براعم أيار الخلوة ،

وبرهة الصيف مداها قصير .

أحياناً تكون الشمس حادة الاشراق ،

وكثيراً ما يعتم حياها المنير ،

وكل جميل قد يفقد بعض جماله ،

بسبب ثقل الطبيعة الكثير .

لكن صيفك الازلي لن يزول ،

ولا يفقد شيئاً من حسنه وروائه ؛

والموت لن يفخر بأن يراك تمشي في ظلاله ،

حين تنمو مع الايام في هذا النشيد :

فما دام الناس احياء والاعين ترى ،

فان هذا الشعر حي ويمتلك الحياة ايها الصديق !

ونوحى الي المقطوعة التالية والاخيرة بان شكسبير ليس شخصاً واحداً فعسب
بل شخصين ، او بالآخرى مظهرين ، عادي وغير عادي . فالعادي منه ككل
الناس يحب ويكره ، ويحزن ويفرح ، ويحوج ويشبع ، ويشور على الظلم ويساند الحق ،
وتلاقي سفينة حياته تارة انواء شديدة وزعازع وامواجاً صاخبة هداية ، وأخرى
أجواء لطيفة ، وانساماً بليلة عليلة ، تهدي النفس وتدهش الروح ، وتوقظ الجبال ، وتبعث

الآمال . اما الانسان غير العادي منه فهو العبقري الخالد ، الذي هز بفنه الادي
جميع أوتار النفس البشرية . على الانسان العادي منه ، كان يعيش غير العادي
ويتغذى . ومن الانسان الذي عاش على مسرح الحياة كما تعيش عامة الناس ، نبتت
عبقريته وأزهرت ، وصارت شيئاً غير مألوف بين جميع الخلائق البشرية ، في كل
مكان وعلى مدى الازمان .

وهذه الصوناتا تصور لنا « مقطعاً » من حياة شكسير العادية المألوفة ،
وفيها نشاهد الشاعر النادب حظه ، الكفور ، الجزوع ، المغبون . كما نشاهد الشاعر
وقد نفخ عنه غبار اليبس والكد ، وعاوده السرور وحب الحياة . واحب ان ألفت
نظرك الى الصورتين اللتين رسمهما الشاعر للتعبير عن هاتين الحالتين اللتين اختبرهما
في حياته . فهو في الحالة الاولى كالقبرة التي من عاداتها الكف عن الشدو والغناء
حين تهبط الى ارضنا المقفرة العابسة . ويشبه نفسه في الحالة الثانية ، (أي حينما يتذكر
صديقه) ، بالقبرة حين تعطي الجو قبل منتصف الصبح لتستقبل الشمس بالحانها
العلوية الساحرة ... اسمع ما يقوله شكسير :

« حينما ارى نفسي زرياً في أعين القدر والبشر ،

وابكي وحدي حالتي المنبوذة ،

وازعج السماء الصماء بصرخاتي غير المجدية

واتطلع الى نفسي وانذب حظها ،

متمنياً لو كنت غني الآمال كذلك الانسان ،

لي ماله من ملاحه الشكل وكثرة الخلان ،

مشتهاً فن هذا ، ومدى نفوذ ذلك ،

فأراني اقل الناس رضى بما يهبج النفس ؛

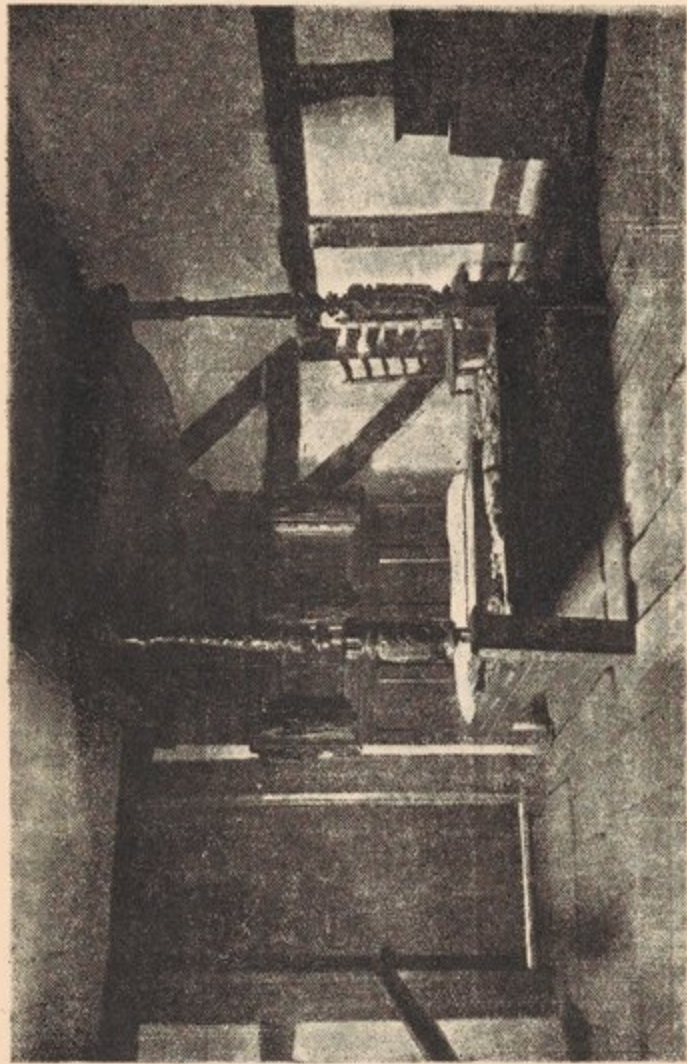
ورغم اني بهذه الافكار أكاد ازدرى ذاتي ،

لكن حين يلمع طيفك في الجبال ،
اصبح كالقبرة تحلق في الفضاء ،
مرتلة ترنيمه الفجر عند بوابة السماء ،
لان ذكراك الجميلة تجلب لي كل التراء ،
فلا أرضي عندها بحال الملوك !

* * *

الى شكسبير

ها قد بلغنا نهاية الشوط وغاية المظاف ؛ ورحق علينا ان نودع شكسبير قبل
مفارقتة بمقطوعة شعرية نجعلها مسك الختام لهذا الكتاب
وهل ثمة خير من صوناتا « الى شكسبير » (١) ، ولانيو ارنولد (٢) ، مخاطبها
الشاعر الذي عشنا معه في هذه الصفحات ، مودعين ، ومفتدين : -
غيرك يجيب على سؤالنا ، أما أنت فحر طليق
نسأل ونسأل فتبسم وانت صامت ،
ايها المعرفة الشائخة ، فتشاهق الجبال ،
الكاشف عن هامته الملكية للنجوم ،
والمثبت خطواته الراسخة في البحر ،
والجاعل سماء السموات مسكنه ،
ليترك مادون حد الغمام العائم حول سفحه ،



موزج سربر نوم
كالدي أوصى به شكسبير لزوجه ، كما جاء ذلك في وصيته (انظر ملحة ٣٩)

مادة بحث فاشل للإنسان ؛

عكذا أنت ، يامن عرفت النجوم وضياء الشمس ،
وثقت نفسك ، وسبرت غورها ، وكرمتها ، وخلقت لها الضمان ،
فقد سرت في الارض مجهولاً . ذلك أفضل !
جميع الآلام التي على الروح الخالدة ان تعانيها ،
جميع الضعف المضي والاحزان التي تنحني
تلقى لسانها الأوحده في ذلك الحاجب المظفر !



(انتهى الكتاب في ٢١ آب ١٩٥٠)

كلية الحسين - عمان

المملكة الاردنية الهاشمية

« أسماء مسرحيات شكسبير وما يقابلها في العربي كما اصطلحت عليها في هذا الكتاب ، وهي مرتبة حسب التسلسل التاريخي الذي به ظهرت أولا (١)

Henry VI, part 11	* هنري السادس ج ٢	١
Henry VI, port 111	* « « « ٣	٢
Henry VI, port 1	* « « « ١	٣
Richard 111	ريتشارد الثالث	٤
The Comedy of Errors	كوميديا الاخطاء	٥
Titus Andronicus	* تيطس اندرونيكس	٦
The Taming of the Shrew	* ترويض المرأة الشرود	٧
Two Gentlemen of Verona	سيدي فيرونا	٨
Love's Labour's Lost	جهد الحب الضائع	٩
Romeo & Juliet	روميو وجولييت	١٠
Richard 11	ريتشارد الثاني	١١
Midsummer - Night's Dream	حلم ليلة في منتصف الليل	١٢
King John	الملك جون	١٣
Merchant of Venice	تاجر البندقية	١٤
Henry IV Part 1	هنري الرابع ج ١	١٥
Henry IV Part 11	* « « « ٢	١٦
Much Ado About Nothing	جعبعة ولا طحن	١٧
Henry V	هنري الخامس	١٨
Julius Caesar	يوليوس قيصر	١٩

١ - لم أعين التواريخ التي فيها ألف شكسبير مسرحياته لان هذا خارج عن نطاق كتابنا ،

ومن اراد ذلك فليراجع كتاب العلامة (SIR EDMUND CHAMBERS)

وهو : (WILLIAM SHAKESPEARE : FACTS & PROBLEMS) ج ١ : س ٢٧٠ ، ومنه

اقتبنا هذا الترتيب للمسرحيات

As You Like It	كما تشاء	٢٠
Twelfth Night	الليلة الثانية عشرة	٢١
Hamlet	هاملت	٢٢
The Merry Wives of Windsor	أزواج ونسر المرحات	٢٣
Troilus & Cressida	ترويلس و كريسيدا	٢٤
All's Well That Ends well	خير ما ينتهي بخير	٢٥
Measure For Measure	كيل بكيل	٢٦
Othello	عطيل	٢٧
King Lear	الملك لير	٢٨
Macbeth	ماكبت	٢٩
Antony & Cleopetra	انطوني و كليوباترا	٣٠
Coriolanus	كوروليولانس	٣١
Timon of Athens	* تيمون أثينا	٣٢
Pericles	* بركليس	٣٣
Cymbeline	سمبلين	٣٤
The Winter's Tale	قصة الشتاء	٣٥
The Tempest	العاصفة	٣٦
Henry VIII	* هنري الثامن	٣٧
The Two Noble Kinsmen	* القريبان النبيلان	٣٨

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة	الفصل
الاهداء كلمة شكر المقدمة		
والد شكسبير ٦ ، الشاعر في المدرسة ٨ ، مدرسة ثانية ٩ ، زواجه ١١ ، الى لندن ١٢ ، في لندن ١٤ ، أعوان الشاعر ١٦ ، الشاعر وديفانت ١٩ ، الشاعر والتمثيل ٢١ ، شكسبير والشعراء المعاصرون ٢٠ ، رجل الدنيا الطموح ٣١ ، أحداث مؤثرة ٣٤ ، وأخيراً الى ستراتفورد ٣٠ ، وصيته ٣٧ ، وفاته ٤٠ ، المجموعة الاولى من مسرحياته ٤٣ ، خطه ٤٥ ، رسم الشاعر ٤٧ . (حلقات مفقودة ٥٢ ، شخصية شكسبير منذ وفاته : = نارنجية ٥٣ ، توماس فلر ٥٤ ، جون أوبري ٥٤ ، جون وورد ٥٦ ، انطوني وود ، رينشارد يفز ، وليم هول ٥٦ ، نيكولاس رو ٥٧ ، آدمند مالون ٥٩ ، هوليبويل - فلبس ٦٠ ، الدكتور والاس ٦٠ ، السير سدي في بي ٦١ ، السير آدمند تشبرز ٦١ ، النقد الادبي ٦١ ، في القرن السابع عشر ٦٣ ، في القرن الثامن عشر ٦٤ ، في القرن التاسع عشر ٦٥ ، اشجار بدل الغابة ٦٧ ، شكسبير خارج انكلترا ٦٨ ، بواسطة الممثلين اولاً ٦٩ ، فولتير ٦٩ ، في فرنسا ٧٠ ، في ألمانيا ٧٠ ، صوناتا للملحن ٧٢ ، درايدن ٧٣ ، كارلايل ٧٤ ، مركب نقص ٧٦ ، دوفر ولسن ٧٧ ، تبارك الانسان ٧٩) .	٤ ٢	
عقبقرية شكسبير : = كلمة عامة [شهرة مطبقة ، للزمان بأكمله ، كأحد أولئك العيان .]		٨٢
(غير عامد ، تطور وارتقاء ، يتدفق بالجلود والرديء ، يجب ايقافه ، معان ضحلة ، تصمص	مقال شكسبير الادبية	٨٤ ٨٦

فهرس الكتاب - تابع

الموضوع	الصفحة	الفصل
منقولة وغير واقعية ، عبث بقانون الوحدات الثلاث ، تقيد بالمرح ، عدم مفاهة المرأة عدم وجود مخرجين ، خلوه من فلسفة أو عقيدة دينية ، نقص في الثقافة والعلم ، كفى المرء نبلا ، ردود على هذه التهم)		
عناصر عبقرية : ١ - خلق الافراد (وثنية - استماعه ، ثلاث طوائف	٩١	
الطائفة الاولى ، الطائفة الثانية ، ١ - رجال ، ٢ - نساء ، الطائفة الثالثة)	٩٢	
٢ - خلق الجماهير (تقيية الجماهير ، مشهد غوغاه	٩٥	
شعب جائع ناثور ، رفوعه ناستكبر ، اسقاطه ونفيه ، في بيت خصمه ، أم عظيمة تؤنب ، سعر الجوع ، يصور الواقع)		
٣ - مرآة صادقة (صورة للحياة ، في الماضي ،	١٠٢	
في عصر شكبير ، في كل زمان ، موضوعه جوهر الانسان ، كالنور الشمي ، كاشيوس ، بروتس ، بندك وياتريس ، السيدة ماكبث ، هاملت ، نماذج بشرية متنوعة)		
٤ - الفن الادبي (أدواته في التأليف . خروج	١١٩	
على عا العروض . مخرلا شعرة ، حسن السبك . تتول وعمق . انبجاسات شعرية . الرحمة . الشاعر . ترتيب الكواكب . في المنفى . حكمة خالدة . الانسان ، آلة النفس البشرية . الحياة أم الموت . نصائح دينوية . النوم . الحياة . العالم مسرح . افاعي الانسان . الجبان مقتول بالخوف . اغتنام الفرص . المرأة . أثر الحب . فعل الوراثة . الحزن بدل الابن جزيرة الصولجان . حديقة الحياة)		
دراسات متنوعة :		
هل ألف شكبير مسرحياته ؟	١٤٠	٤
شكبير والادب العربي	١٤٢	
مسرحية (هنري الخامس)	١٤٢	
(كلمة تعريف . هنري الخامس والتاريخ درس للامة ، الكورس ، عرض موجز)	١٦٢	

فهرس الكتاب — تابع

الموضوع	الصفحة	الفصل
(تعريف الصوناتا ١٧٤ ، حقائق مجردة ١٧٧ ، أسئلة ١٨٠ ، اجوبة ١٨١ ، ناذج من الصونيات ١٨٦ ، الى شكسير ١٩١ قائمة باسماء مسرحيات شكسير	١٨٤	صونيات شكسير

« قائمة بالاختفاء التي وردت سهواً في هذا الكتاب »

خطأ	صواب	صفحة	سطر
لبنة	لبنة	١٠	١٠
فلا غرر	فلا غرو ان	١٣	٢١
هارنقون	هارنقتن	١٧	١١
قد	وقد	٢٢	١
وابنتاه	وابنتيه	٤٢	١١
عامودين	عمودين	٤٤	٧
ثيوبولاد	ثيوبولد	٤٥	١٥
على الفن من شيء	من الفن على شيء	٤٧	٦
الشاعر كبطل	البطل كشاعر	٧٤	٥
تهمين	تهمين	٧٤	٢٠
الثلاثة	الثلاث	٨٨	١٤
الاشراف	والاشراف	١٠١	١
العالي	الاعلى	١٢٠	١٤
كيت الدهر	كآي الذكر	١٢٠	١٥
تتعلم	تتعلم	١٣٦	١٣
أن	أنه	٥٢	٤

مراجع الكتاب

(BIBLIOGRAPHY)

- 1 - A Life of William Shakespeare, by Sir Sidney Lee (14th Edition - July 1931)
- 2 - William Shakespeare : A Study of Facts and Problems. By Sir E. K. Chambers. 2 vols. (Oxford Press - 1950)
- 3 - The Cambridge History of English Literature. Edited by Sir A. W. Ward and A. R. Waller. Volume V - 1943
- 4 - The Facts About Shakespeare. By W. A. Neilson and A. H. Thorndike (New York, Macmillan Co. - 1931)
- 5 - Shakspeare and His Predecessors. By Frederick S. Boas. (London - John Murray, Albemarle Street) - 1896
- 6 - Prof. Byron Smiths' Lectures on Shakespeare, (Delivered in Classroom at the American University of Beirut)
- 7 - On Ten Plays of Shakespeare, - and - Ten More Plays of Shakespeare. By Stopford A. Brooke (Constable & Co. Limited London) 1932
- 8 - Shakespeare. By George Saintsbury (Cambridge University Press) - 1934
- 9 - A History of English Literature. By Emile Legouis and Louis Cazamian - (2 vols. in one - New York, The Macmillan Company, 1930)
- 10 - The Essential Shakespeare. By Dover Wilson (Cambridge University Press - 1942)
- 11 - The Complete Works of William Shakespeare Student's Cambridge Edition, Edited by W. A. Neilson 3d Edition. (وهي النسخة التي اشترت اليها في حواشي هذا الكتاب)

فردوس الکلاسیک اور جدید ادب

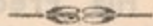
WITH

SHAKESPEARE

By

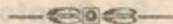
JIRIYIS OUSUS - B. A. & NORMAL CERTIFICATE

(Hussein's College - Amman)



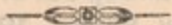
ALL RIGHTS RESERVED

FOR AUTHOR



Published by **Muheddin Badawi**

August : 1950



(AL-FOUNOUN PRINTING PRESS - AMMAN)

THE HASHEMITE KINGDOM OF THE JORDAN



DATE DUE

J. Lib.

~~2 NEW YORK~~



~~822-33-Sh52YqA...~~

الفسوس، جريس

مع شكيبير

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031594

American University of Beirut



~~822-33-Sh52YqA...~~
~~822-33-Sh52YqA...~~

822.33
Q581mA
c.1